تاريخ
فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق

تأليف

الإمام محمد بن عمر الواقدي

(١٣٠ - ٢٠٧هـ)

تحقيق

عبد العزيز فياض حرفوش

تاريخ

فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق



١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



دار البشائر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - هاتف: ٢٢١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩ - ص . ب: ٤٩٢٦

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أولادي ...
وإلى الأجيال القادمة من أبناء أمتنا العربية العظيمة ليفخروا بأجدادهم العظام الذين قاموا بالفتوحات في بلاد الشام والجزيرة والعراق .

والله الموفق

المحقق

عبد العزيز حرفوش

المقدمة

يكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن الجزيرة فتحت سنة ١٧هـ ، في خلافة عمر بن الخطاب ، ولكن ابن اسحٰق جعل الفتح سنة ١٩هـ[١] ، وهذا التاريخ غير دقيق لأن أبا عبيدة بن الجراح أمير الجيوش ببلاد الشام تلقى أوامر الخليفة بفتح الجزيرة سنة ١٧هـ[٢] ، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ مع عدد كبير من الصحابة .

ومما يؤكد ذلك أن الروم حشدوا جيوشهم لغزو حمص مركز قيادة العرب المسلمين سنة ١٧هـ واتفقوا مع سكان الجزيرة على نجدتهم ، وتقديم العون لهم ، واتجهت الحشود نحو حمص ، فاضطر أبو عبيدة بن الجراح لضم مسالحه وجيوشه المتفرقة إلى حمص ، وجاءه خالد بن الوليد بجيشه من قَنسرين لمواجهة الروم . فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بالموقف ، وطلب منه النجدة لأنه أُحيط به في حمص[٣] .

فأمر عمر ، عامل الكوفة سعد بن أبي وقَّاص ، أن يبعث جيشاً إلى حمص لنجدة المسلمين في الشام بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي ، فسار القعقاع في أربعة آلاف فارس إلى حمص ، وخرج عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام يريد الجابية منجداً للمسلمين[٤] . وأمر الخليفة سعداً أن يُسرِّح عياض بن غنم الفهري بجيش إلى الجزيرة لفتحها . لأنه علم بنجدات أهل الجزيرة للروم في

---

(١)و(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٣ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ١/ ٩٧ .

(٣)و(٤) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٣ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ١/ ٩٧ ، والمنتظم ٤/ ٢٢٣ .

حمص ؛ فخرج عِياض بجيشه في إثر القعقاع ابن عمرو فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض[1] .

فسلك سهيل بن عدي بجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة . فلما علم أهل الجزيرة المنجدين للروم في حمص ، بوصول جيش المسلمين إلى بلادهم ، غادروا حمص إلى الجزيرة ، وطلبوا الصلح من عياض بن غنم وكان في وسط الجزيرة ، فقبل منهم الصلح وعقد لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض لأنه أمير القتال[2] .

وخرج عبد الله بن عِتبَان إلى نصيبين بالمسلمين ، فتلقاه أهلها بالصلح على شروط صلح الرقة (الجزية) . فقبل منهم بعد موافقة عياض على الصلح[3] .

وتوجه الوليد بن عقبة بأمر الخليفة عمر إلى عرب الجزيرة ، كقبائل تغلب وإياد بن نزار وتنوخ . ليستنفرهم إلى جانب إخوتهم العرب المسلمين ضد الروم . فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا بطوناً من إياد بن نزار ، ارتحلوا إلى أرض الروم فكتب الوليد بن عقبة بشأنهم إلى عمر بن الخطاب[4] .

فكتب عمر بن الخطاب إلى ملك الروم كتاباً جاء فيه : « إنه بلغني أن حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنَّهُ ، أو لَنَنْبذَنَّ إلى النصارى ثم لنخرجنَّهم إليك »[5] فأخرجهم ملك الروم ، وأعادهم إلى الجزيرة وعليهم أبو عدي بن زياد ، ولم يقبل الوليد بن عقبة من تغلب إلا الإسلام ، فأمره عمر بن الخطاب أن يقبل منهم الجزية ويعاملهم كما عامل تنوخ[6] . وتمكن أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وجيش المسلمين من

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٤ ، وإعلام النبلاء ١/ ٩٧ ، والمنتظم ٤/ ٢٢٣ .
(٢)و(٣)و(٤) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٤ ، وإعلام النبلاء ١/ ٩٨ ، والمنتظم ٤/ ٢٢٣ .
(٥)و(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥ .

هزيمة الروم . قبل وصول القعقاع بن عمرو مع أهل الكوفة إلى حمص بثلاثة أيام ، عندها أمر عمر بن الخطاب بإشراكهم في الغنائم[١] .

ثم جمع عياض بن غنم كتيبتي سهيل بن عدي وعبد الله بن عتبان إليه ، وأمرهما بالتوجه إلى الرها وحران لفتحهما فأجابهم أهلهما إلى الجزية ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً وأيسره فتحاً[٢] فقال عياض شعراً[٣] : [البحر الكامل] .

مَــنْ مُبلــغُ الأقــوام أن جُمُــوعنــا   حَــوتْ الجـزيـرةَ يَـوم ذاتِ زِحَـامِ
جَمعُـوا الجـزيـرةَ والغِيَـاثَ فَنَفَّسُـوا   عَمَّــنْ بِحمــصَ غَيَــابَــةَ القُــدَّامِ

وكتب عمر بن الخطاب من الجابية إلى عياض بن غنم ، بأنه بعث إليه مدداً بقيادة حبيب من مسلمة الفهري ، وأمره أن يصرف عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ومن معهما من جند الكوفة إلى بلادهم ، وأن يستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة ، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة[٤] .

وذكر ابن الأثير ، أن أبا عبيدة بن الجراح استخلف قبل وفاته على الجزيرة وحمص وقنسرين عياض بن غنم ، فأَقرَّهُ على ذلك الخليفة سنة ١٨هـ في منتصف شهر شعبان وكتب له بولايته فأتم فتح الجزيرة كلها[٥] .

وكان عمر بن الخطاب ، قد عزل خالد بن الوليد عن عمله في قنسرين وكتب بذلك إلى أبي عبيدة في حمص ، وأمره أن يقيم عليه الحد ويحاسبه بشأن مالٍ أعطاه للأشعث بن قيس الشاعر . ويروى أن خالداً وعياضاً أدربا في بلاد الروم وأصابا أموالاً عظيمة ، ولما رجع خالد إلى قنسرين مَدَحَهُ الأشعث بن قيس فأعطاه عشرة آلاف ؛ فوصل الخبر إلى عمر فعزله[٦] . وقدم خالد إلى المدينة

---

(١) أعلام النبلاء ١/ ٩٨ ، والمنتظم ٤/ ٢٢٣ .
(٢)و(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤ ، والمنتظم ٤/ ٢٢٣ .
(٤)و(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥ ، إعلام النبلاء ١/ ٩٩ .
(٦) المنتظم ٤/ ٢٣٠ ، إعلام النبلاء ١/ ١٠٠ .

فحاسبه عمر . وكتب إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ، ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع[1] .

ونقل ابن الفقيه الهمذاني عن الزهري قوله : لم يبق بالجزيرة موضع قدم ، إلاّ فتح على عهد عمر بن الخطاب ، على يدي عياض بن غنم ففتح مدن : الرقة ، وحران ونصيبين وقرقيسياء وآمد وقردى وباز بدى وأرزن وسنجار[2] .

وأجمع المؤرخون ، أن جيش عياض فتح بالس والرقة وجملين وماردين ورأس العين بعد معركة مرج رعبان ، ومقتل الملك شهرياض ، على يد النعمان بن المنذر الغساني[3] .

وكان عياض بن غنم قائداً عاماً لفتوح الجزيرة ، وأن جيشه افتتح ما بيد الروم بالجزيرة صلحاً وعنوة[4] ؛ وذكر البلاذري أن عياض بن غنم فتح ميافارقين وكفر توثا ونصيبين عنوة . في حين فتح مدينة آمد صلحاً ، وكذلك طور عبدين وماردين ودارا على مثل صلح الرها[5] ، وغدر أهل سمياط وانتقضوا فحاربهم عياض وحصرهم وأعاد فتح مدينتهم[6] .

ولما كان فتح أرض الجزيرة ضرورة استراتيجية عليا من أجل حماية الفتوحات الهامة والواسعة التي أنجزتها الجيوش الإسلامية في بلاد الشام . أقاموا بها ، وطبعوها بطابعهم ، وقسّموها وسمُّوا أقسامها بأسماء قبائلهم التي

---

(١) الطبري ٤/ ٦٨ ، إعلام النبلاء ١/ ١٠١ .
(٢) مختصر كتاب البلدان ص١٣٢ .
(٣) الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٣٤ ، تاريخ مختصر الدول ص١٠١ ، وابن خلدون ٢/ ٤/ ٩٥٥ .
(٤) الخراج لأبي يوسف ص٣٩ .
(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص١٨٠ ، ومعجم البلدان ٥/ ٣٩ .
(٦) إعلام النبلاء ١/ ٩٩ .

ما زالت حتى أيامنا[١] هذه ، وصارت مسرحاً لمعارك المسلمين ضد الروم . ونهاية فتوحاتهم وانتصاراتهم في بلاد الشام .

وقال ابن حوقل : الجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه ، كانت معدن الأبطال ، وعنصر الرجال وينبوع الخيل[٢] .

وتشمل الجزيرة ، الأراضي الواقعة بين نهري دجله والفرات ، وتبدأ من تكريت على دجلة ، وتمتد إلى الحديثة وعانة على الفرات . ثم تتجه شمالاً إلى منابع النهرين دجلة والفرات ، اللذين يقتربان من بعضهما عند المنابع ، وتقوم على ضفتي النهرين مدن وقرى هامة تنسب إلى إقليم الجزيرة وهي خارجة عنها ونائية منها[٣] .

وتنقسم الجزيرة إلى مناطق ثلاث تفصل بينها ممرات مائية ، لاعتبارات سكانية وسياسية وهي :

آ ـ ديار ربيعة ، وتضم كوراً ومدناً هي : بلد ، نصيبين ، باعربايا ، رأس عين ، دارا ، سنجار ، قردى ، بازبدى ، كفر توثا والخابور وماردين[٤] .

وتقع ديار ربيعة شرقي ديار مضر وتتألف من الأراضي الواقعة شرقي نهر الخابور المنحدر من رأس العين ، والأراضي المحصورة بينه وبين نهر نصيبين المتجه إلى دجلة[٥] .

وقرقيسياء ، مدينة هامة على الخابور في ديار ربيعة[٦] .

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص٩٥ ، معجم البلدان ٢/ ٤٩٢ .
(٢) صورة الأرض لابن حوقل ص١٨٩ .
(٣) صورة الأرض ص١٩٠ .
(٤) الخراج ، لقدامة بن جعفر ص١٤٥ .
(٥) العراق في العصر البويهي ، محمد حسين الزبيدي ص ٧١، ومعجم ماستعجم ٢/ ٥٦٨ .
(٦) صورة الأرض لابن حوقل ص٢٠٥ .

ب ـ ديار مضر : وتقع في وسط اقليم الجزيرة ، وتشمل السهول القريبة من شرقي الفرات وقصبتها مدينة الرقة ، وتليها حران في الكبر ، وكانت بلد الصابئة ؛ ومدينة الرها في شمال هذه البقعة ، وتشتهر بكثرة ينابيعها ، ويتبع لها مدن سميساط وجسرمنبج وسروج[١] .

جـ ـ ديار بكر تقع أراضيها غربي نهر دجلة ، إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين ، ثم إلى حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وقد يتجاوز دجلة إلى مدن اسعرد وحيزان وحينى ، وما تخلل ذلك من البلاد ولا يجاوز السهل[٢] .

ويتبع لديار بكر ، ميافارقين وآمد ونصيبين واسعرد وحيزان ودبيس وجزيرة ابن عمر[٣] .

وبعد أن قدمنا فكرة عن الجزيرة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، فإنه ينبغي أن نلقي الضوء على كتابنا موضوع التحقيق لمؤلفه الواقدي . وفيه يتناول فتوحات المسلمين لبلاد الجزيرة كلها وبعض مدن ارمينية .

هذا الكتاب : « تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق » .

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه الكتاب الوحيد المستقل في تاريخ فتوح الجزيرة ، حيث تناول أخبارها ، منذ أن تلقى عياض بن غنم الفهري أوامر الخليفة عمر سنة ١٧هـ بفتح الجزيرة ، وحتى الانتهاء من الفتح وعودة عياض إلى حمص ووفاته .

في حين أن فتح الجزيرة ورد في المصادر التاريخية الأخرى ، مختصراً للغاية مع اختلاف في الروايات عن تاريخ فتحها فابن اسحق جعله سنة ١٩هـ وغيره

---

(١) الأعلاق الخطيرة لابن شداد ٣/ ١/ ٥ ، ونخبة الدهر لشيخ الربوة ص١٩١ ، وصورة الأرض لابن حوقل ص٢٠٣ .
(٢) معجم البلدان ، ٢/ ٤٩٤ .
(٣) الأعلاق الخطيرة ٣/ ١/ ٦ وتاريخ ابن خلدون تاريخ ٥/ ٥/ ١١٥٤ .

جعله سنة ١٨هـ ، ولكن الواقدي ، بما عرف عنه من الدقة في ترتيب رواياته للأحداث ، وإيراده أسماء الرجال الذين قاموا بالفتوح ، وأسماء الذين استشهدوا منهم ، وذكره لرجال السند ، واهتمامه بالتفاصيل الجغرافية لأماكن البلاد المفتوحة ، قد أوصلنا بشكل منطقي إلى أن فتح الجزيرة حدث سنة ١٧هـ[١] .

وقد أورد في هذا الكتاب أسماء أماكن ، وأديرة وبيع ، وحصون لم ترد عند غيره في كتب التواريخ والمعاجم الجغرافية ، كما أن رجاله من المقاتلين في الفتوح . ولم أجد ترجمة لكثير منهم في المصادر الأخرى ، وقد انفرد بذكر معارك خاضها المسلمون في الجزيرة وأرمينية ، لا نجدها عند غيره مثل معركة مرج رعبان الفاصلة ، التي أدت إلى انهيار مقاومة الروم بشكل نهائي ، وهزيمتهم ومقتل شهرياض ملك رأس عين ، ودخول المسلمين إليها ، وكذلك معركة مرج وسطان قرب خلاط في أَرمينية ، وأورد قصصاً وحيلاً وأساليب عسكرية لجأ إليها القادة المسلمين في فتح الحصون ، وأعطى ملك حلب السابق الذي أسلم وشارك في الفتوح بالجزيرة دوراً هاماً (واسمه عبد الله يوقنا) .

ولكن نقلة الأخبار عن الواقدي ، أوردوا أخباراً خاطئة ولكنها محدودة وقليلة مثل : مشاركة يزيد بن أبي سفيان بفتح الجزيرة ، وهذا لا يستقيم أبداً مع سير الأحداث . حيث كان يزيد أميراً على دمشق ومات سنة ١٨هـ . وأشركوا خالد بن الوليد في فتوح الجزيرة مع عياض بن غنم وهذه مسألة فيها نظر ، لأن خالداً كان أميراً على قنسرين بعد فتح حلب وتولى حرب الثغور ، وأَدرب سنة ١٧هـ مع عياض ابن غنم وأصابا غنائم عظيمة . وكان قائد المسلمين أبو عبيدة ابن الجراح في حمص يصدر أوامره لجميع قادته . فليس مستبعداً أن يكون خالد قد شارك في فتح الجزيرة في سنة ١٧هـ وقبل أن يعزله عمر بن الخطاب

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٣ .

عن عمله ، ويستدعيه إلى المدينة ليحاسبه ؛ وربما عاد خالد إلى الشام من المدينة ، ليكون بإمرة عياض بن غنم خليفة أبي عبيدة بن الجراح على حمص وقنسرين والجزيرة . خاصة وأن خالداً مات بحمص بعد نهاية فتح الجزيرة بقليل(١) .

ويشتمل الكتاب على ستة فصول دون مقدمة وهي :

١ ـ فتح أرض الخابور ومدنه وقراه .

٢ ـ فتح ديار ربيعة .

٣ ـ فتح ديار مضر .

٤ ـ فتح بلاد أرمينية .

٥ ـ فتح حصون جزيرة ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة .

٦ ـ فتح الموصل والاسماعيليات ونينوى وأعمالها .

النسخة المعتمدة :

وهي من مصوّرات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقمها ٢٨٩٦ مقاسها ١٥ × ١٢ سم وعدد صفحاتها ٢٣٥ ورقة ، وفي كل صفحة ١٣ سطراً .

وهي مصورة عن مخطوطة سراي أحمد الثالث رقم ٢٨٩٠/ ٢ لسنة ٨٩٩هـ وليس فيها ما يدل على تاريخ كتابتها واسم ناسخها ، وهي نسخة تامة . ذكرها الأستاذ فؤاد سنركين في كتابه تاريخ التراث العربي / المجلد الأول/ الجزء

---

(١) ذكر اليعقوبي في تاريخه أن عمر بن الخطاب ولى خالد بن الوليد على الرها وحرّان والرقة وتل موزن وآمد فأقام بها سنة ثم استعفى فأعفاه وقدم المدينة فاقام بها أياماً وأضاف أيضاً رواية الواقدي عن وفاة خالد بحمص وأن خالد أوصى إلى عمر بن الخطاب فلما علم عمر بوفاته بكاه ، وبكته حفصة وآل عمر . فقال عمر : حُقَّ لهنَّ أن يبكين على أبي سليمان وأظهر عليه جزعاً . / انظر تاريخ اليعقوبي ١/ ١٥٧/ .

الثاني من ص١٠٠ ـ ١٠٦ عند ذكره لآثار الواقدي المخطوطة .

وكتبت المخطوطة بخط فارسي جميل . والعنوان مكتوب بخط جليل . وصفحة العنوان مزخرفة بزخارف إسلامية ، وفي وسط الصفحة وردة مثمنة كتب داخلها « تأليف العلامة قاضي القضاة محمد بن عمر الواقدي رحمه الله » . وفي أعلى الصحفة شريط مستطيل كتب عليه بخط جميل « كتاب فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق » .

وتبدأ الصفحة الأولى من الكتاب بالبسملة ، والكتاب بدون مقدمة ، ويظهر خاتم على صفحة العنوان ، وعلى الصفحة الأولى فوق البسملة ، وداخله كتابة لم أستطع قراءتها . والمخطوطة كتبت بخط واضح ولم نجد في متنها أو نهايتها ما يشير إلى اسم ناسخها ، أو الأصل المنقول عنه ، وليس في خاتمة الكتاب ما يشير إلى ذلك ، إلا ما أكده المؤلف من أن رواياته وأخباره عن فتح الجزيرة كانت على التمام والكمال بلا زيادة ولا نقصان . ولا تخلو المخطوطة من التصحيف والأخطاء ولكن ليس فيها سقط .

ولم أعلم بوجود نسخة أخرى من الكتاب إلا ما ورد في فهرس معهد المخطوطات العربية رقم ٢/ ٣٦١ و٢/ ٣٥٨ ، وما أورده الأستاذ فؤاد سنركين في كتابه تاريخ التراث العربي .

عملي ومنهج التحقيق :

قمت بنسخ المخطوط ، وصححت وضبطت نصوصه ، وقسمته إلى ستة فصول بحسب الموضوعات الواردة فيه ، وقسمت الحاشية في كل ورقة إلى قسمين : للتخريج والتعريف بالأعلام وأسماء الأماكن . وترجمت لعدد كبير من الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب ، وشرحت الكلمات التي تحتاج إلى شرح ، ورجحت الصواب وبحثت عنه وأثبته .

وصنعت جميع الفهارس المطلوبة في نهاية الكتاب. لتسهيل وتيسير

الاستفادة من الكتاب للقارئ وللباحث .

وعلى وجه الإجمال اعتبرت هذه المخطوطة لكتاب الواقدي أصلاً ، عملت ما استطعت على تصويبها وتوثيقها ، وخرجت الأخبار والأحاديث والأشعار والآيات القرآنية الكريمة ، وبذلت في ذلك جهدي . وحسبي أني أرضيت ضميري ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها والكمال لله تعالى .

ـ والحمد لله على كل حال ـ

دمشق في ٥ رجب ١٤١٦ عبد العزيز فياض حرفوش

٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٥م

ترجمة المؤلف

حياة الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧) (٧٤٦ ـ ٨٢٣م) :

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي السهمي الأسلمي بالولاء ، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٠هـ . في أواخر خلافة مروان بن محمد الأموي . وينسب الواقدي إلى جده واقد . وأكده تلميذه وكاتبه محمد بن سعد في كتابه الطبقات الكبرى[١] وذكر ابن خلكان ، أن الواقدي كان مولى لبني هاشم[٢] والصحيح أنه كان مولى لبني سهم إحدى بطون بني أسلم[٣] ، وعاش في المدينة يتلقى العلم على أيدي علمائها ، في سن مبكرة واهتم بالمغازي والسيرة النبوية الشريفة . وسمع الواقدي من التابعين ، ومن جاء بعدهم بالحجاز والشام وغير ذلك .

وروى ابن عساكر عن المسيبي قال : كان الواقدي يجلس إلى اسطوانه في مسجد المدينة . وسئل : أي شيء تدرس ؟ قال : جزئي من المغازي[٤] وكان الواقدي دائم الاتصال بالتابعين من أبناء الصحابة ، وأبناء الشهداء ، ويسألهم عن أماكن استشهاد ذويهم . وذكر الخطيب البغدادي وابن سيد الناس ، عن

---

(١) الطبقات ، لابن سعد ٧/ ٧٧ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٧٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٩٥ ، ٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٥ .

(٢) وفيات الأعيان ، لابن خلكان ١/ ٦٤٠ .

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/ ٣١٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر جـ١١ ورقة ٣ب ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٤٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ٣٤٨/١ ، والجرح والتعديل ٤/ ٢٠ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٦٣ .

(٤) تاريخ دمشق جـ١١ ورقة (٥) لابن عساكر ، وتاريخ بغداد ، للبغدادي ٣/ ٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٠ .

الواقدي أنه قال : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها . وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه[١] .

وحدث عنه كاتبه محمد بن سعد ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي ، ومحمد بن شجاع الثلجي ، وسليمان بن داود[٢] .

وقال الخطيب البغدادي عن الواقدي : هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها ، وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم ، من المغازي والسير والطبقات والفقه ، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء[٣] .

وقال محمد بن سلام الجمحي : الواقدي عالم دهره[٤] . وذكر ابراهيم الحربي ، ما أنكره أحمد بن حنبل على الواقدي فقال : إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن الواحد . وقال ابراهيم : ليس هذا عيباً ، فقد فعل هذا الزهري وابن إسحق[٥] . وقال بعض علماء الحديث ، كالبخاري والرازي والنسائي والدارقطني ، عن الواقدي في مجال الحديث بأنه متروك الحديث . أما المحدثون من علماء الحديث مثل : الحافظ الدراوردي ويزيد بن هارون وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو بكر الصنعاني ، ومصعب الزبيري ومجاهد بن موسى ، والمسيب وابراهيم الحربي كلهم وصفوه بأنه ثقة مأمون[٦] .

ورغم كل النقد والجرح الذي تعرض له الواقدي ، فإن له منزلة كبيرة بين

---

(١) تاريخ بغداد ، ٣/ ٦ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٤٥٥ .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٤٥٧ وتاريخ بغداد ٣/ ٣ .
(٤) تاريخ بغداد ، ٣/ ٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٧٨ .
(٥) عيون الأثر ، لابن سيد الناس ١/ ٢٠ .
(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

العلماء من أصحاب السير والمغازي ، لعنايته والتزامه بتطبيق المنهج التاريخي العلمي بشكل فني تفرد به في عصره . فهو يلجأ إلى ترتيب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة منطقية ، ويذكر قائمة طويلة عن الرجال الذي نقل عنهم الأخبار ، ثم يورد الفتوح مدينة مدينة مع تاريخ محدد لفتحها بدقة ، مع ذكر تفاصيل جغرافية عن الموقع المراد فتحه مدينة كان أو حصناً ، ويتبع أسلوباً موحداً في وصف الفتح كأنْ يذكر شعار المسلمين في القتال ، واسم الغزوة وتاريخها وأميرها ، واسم الأمير المستخلف على المدينة المفتوحة .

وأسماء الرجال الذين شهدوا الفتح ، والذين استشهدوا فيها ، أي أنه يقدم قصة فتح كل مدينة بإسناد جامع ، حيث يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد . مما يؤكد المنهجية الموحدة التي نهجها الواقدي كمؤرخ . وقد نهج نهجه في التأليف من جاء بعده ، كتلميذه ابن سعد والبلاذري ، حيث يظهر لديهما بشكل واضح منهج الواقدي ، وخاصة في ذكرهما للتفاصيل الجغرافية وربط الحوادث والفتوح بها . وتميز الواقدي عن غيره من المؤرخين بإيراده أخباراً كثيرة لا نجدها عند غيره ، مع اسهاب في التفاصيل والدقة في الترتيب عند سرده للحوادث والفتوح ، ولا يفوته أن يشير إلى الحياة والحالة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد المفتوحة ، نلمسها عند تحديد أمير الفتح لمقدار الجزية وما يؤخذ من أهل كل مدينة مفتوحة ، وعند كتابة عهد الصلح بينهما .

وقال ابراهيم الحربي : الواقدي آمن الناس على أهل الإسلام ، وكان أعلم الناس بأمر الإسلام[1] .

وذكر مصعب الزبيري أن عبد الله بن المبارك كان يقول : كنت أقدم المدينة ، فما يفيدني ويدلُّني على الشيوخ ، إلا الواقدي[2] .

(١ و ٢) تاريخ بغداد ٣/ ٥ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٨ .

وقال محمد بن اسحق : والله لولا أنه عندي ثقة مأمون ما حدثت عنه[١] .

وقال ابن المديني : إلى الواقدي المنتهى في المغازي والسير والأخبار ، وأيام الناس والوقائع والفقه[٢] .

ويكاد يجمع المؤرخون ومن عاصره ، على أنه محدث حافظ مؤرخ ، أديب وفقيه مفسر من أهل المدينة ، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري ، وروى عن ثور بن يزيد وطبقته[٣] وذكر الذهبي : أن الواقدي ضعيف في الحديث ، ولكن يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ وتورد آثاره فيها من غير احتجاج[٤] .

وقال يعقوب بن شيبة : لما تحول الواقدي من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد يقال : أنه حمل كتبه على عشرين ومائة وَقْرٍ[٥] .

ويذكر أن هارون الرشيد الخليفة العباسي حج إلى مكة والمدينة ، وكان بصحبته وزيره يحيى بن خالد البرمكي ، فالتقاهما بالمدينة ودلَّهما على قبور الصحابة والشهداء ، وجميع المشاهد فيها ، فأعجب به الرشيد ووزيره يحيى ، فأجزلا عطاءه بعشرة آلاف درهم ، وكان قبلهما في ضائقة فوسع على عياله[٦] . وعاش الواقدي حياته في عوز وضيق يد ، بسبب كرمه وسخائه ، فاضطر إلى ترك الحجاز وتوجه إلى العراق لكثرة ديونه[٧] .

وذكر ابن سعد في طبقاته ، قصة حج الرشيد وزيارته إلى المدينة ولقائه بالواقدي ، وخروجهم جميعاً بعد عشاء الآخرة على الشموع ، وزيارتهم

---

(١) معجم الأدباء ، ١٨/ ٢٧٨ .
(٢) معجم الأدباء ، ٨١/ ٢٧٧ .
(٣) معجم المؤلفين ١١/ ٩٥ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٩ .
(٥) معجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٨١ .
(٦) الطبقات ، لابن سعد ٥/ ٣١٥ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٤٦٥ .
(٧) عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٧ .

لجميع المواضع التي سأل عنها الرشيد ، ودام مسيرهم حتى صلاة الفجر ، وأن يحيى بن خالد قال للواقدي : نحن على الرحلة ولا عليك أن تلقانا حيث كنا واستقرت بنا الدار إن شاء الله[(١)] .

وشجعته زوجته على المسير إلى العراق ، والقرب من أمير المؤمنين الرشيد ، وقالت له : يا أبا عبد الله ما قعودك ؟ وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك ، أن تصير إليه حيث استقرت به الدار[(٢)] ؟ قال الواقدي : فرحلت من المدينة، وأنا أظن القوم بالعراق ، فأتيت العراق فسألت عن خبر أمير المؤمنين. فقالوا لي: هو بالرقة. . فحملت نفسي على أن أصير إلى الرقة[(٣)] .

فتوجه الواقدي بإحدى السفن إلى الرقة ، فلما وصلها ، طلب الإذن على يحيى بن خالد بمساعدة من بكار الزبيري فأذن له . فقربه يحيى وأدناه من مجلسه وأجزل عطاءه ، وأمره أن يأتيه كل يوم . ثم أستأذنه بالعودة إلى المدينة ليرى عياله فيها فأذن له ؛ ورحل إلى بغداد مقرباً من الرشيد ووزيره ، فأفاضا عليه العطاء . وعين الواقدي قاضياً على الجانب الشرقي من بغداد[(٤)] .

وقد حدد البغدادي تاريخ خروج الواقدي من المدينة إلى بغداد بسنة ١٨٠هـ ، وأضاف بأن صنعة الواقدي ، كانت في المدينة بائع حنطة ، فخسرت تجارته فالتمس العون من يحيى البرمكي في بغداد[(٥)] وأكد ذلك الواقدي عن نفسه بقوله : كنت حناطاً بالمدينة في يدي مئة ألف درهم للناس أضارب بها ، فتلفت الدراهم فشخصت إلى العراق[(٦)] .

---

(١)و(٢) الطبقات ، لابن سعد ٥/ ٤٢٦ .

(٣) الطبقات ، لابن سعد ٥/ ٤٢٧ .

(٤) الطبقات ، لابن سعد ٥/ ٤٢٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٨/ ٢٧٩ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٩٥ ، سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٤ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٤ ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٧٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء ، ٩/ ٤٦٤ .

وقدم ابن سعد تفسيراً قريباً مما ذكره البغدادي . وهو أن الواقدي توجه إلى بغداد بسبب دين لحقه . فلم يزل بها وخرج إلى الشام والرقة ثم رجع[١] .

وعاش الواقدي في بغداد معززاً مكرماً من الخليفة والبرامكة ، وكان الرشيد قد عينه قاضياً على شرقي بغداد قبل عودة المأمون من خراسان[٢] .

ولما عاد المأمون عينه قاضياً لعسكر المهدي ، فامتثل لأمره واستلم منصبه الجديد[٣] ؛ ولما نكب الرشيد البرامكة ، لم يتغير المأمون على الواقدي ، بل زاد في تكريمه وولاه منصباً هاماً في القضاء ، إذ جعله مرجعاً في القضاء في بغداد والعراق . فزاول عمله مدة أربع سنين[٤] .

وأكد ذلك صاحب تاريخ جرجان ، عندما ترجم للأشعث بن هلال فقال : إن الواقدي ولّاه قضاء جرجان وهو في بغداد[٥] .

ولم يزل الواقدي قاضياً بعسكر المهدي في بغداد حتى مات سنة ٢٠٧هـ . ويعد من مؤرخي المدينة ، غير أنه قضى أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد[٦] .

وفاته :

اختلفت الروايات في تحديد وفاة الواقدي ، ولكن المقبول منها ، رواية تلميذه وكاتبه محمد بن سعد ، الذي حدد ليلة الوفاة ويوم الدفن من الشهر والسنة ، فقال : مات ببغداد ليلة الثلاثاء ، لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران وهو ابن ثمان وسبعين سنة[٧] .

---

(١) الطبقات ، لابن سعد ٧/ ٧٧ .
(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٧٩ .
(٣) معجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٧٩ ، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٣٨ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٥ .
(٤) لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ٦/ ٨٥٢ .
(٥) تاريخ جرجان للسهمي ص١٢٥ .
(٦) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٧ ، والفهرست لابن النديم ص٩٩ .
(٧) الطبقات ، لابن سعد ٧/ ٧٧ ، معجم المؤلفين ١١/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء =

وقال عباس الدوري : مات الواقدي وهو على القضاء وليس له كفن ، فبعث المأمون بأكفانه ، وقضى دينه وصلى عليه قاضي الجانب الغربي من بغداد محمد بن سماعة التميمي[1] .

مصادر ترجمته :

ـ الفهرست لابن النديم ص٩٨ ـ ١٠٠ ـ عيون التوايخ لابن شاكر الكتبي ٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/ ١٩٦ ـ مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٧٣ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٦٤٠ ـ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ١٨/ ٢٧٧ ـ تاريخ جرجان ، للسهمي ١٦٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٢٦١ ـ الوافي بالوفيات ، للصفدي ٤/ ٢٣٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢/ ١٨ ـ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢/ ٣٠ ـ كشف الظنون ، لحاجي خليفة ٤٦٠/ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ٦/ ١٣١ ـ المغازي الأولى ومؤلفوها ، هوروفتش (١٠١ ـ ١٢٥) ـ الأعلام ، للزركلي ٧/ ٢٠٠ ـ هدية العارفين ، للبغدادي ٢/ ١٠ .

آثاره وكتبه :

اهتم الواقدي بعلم الحديث النبوي الشريف ، فجمع عشرين ألف حديث عن الرسول ﷺ[2] . واجتهد في سؤال أبناء الصحابة والتابعين ومواليهم ، عن أحوال السلف ، وما حفظوه من أخبار وروايات وأحاديث[3] .

ووصفه تلميذه وكاتبه ابن سعد بقوله : كان عالماً بالمغازي والسيرة

= ٩/ ٤٦٧ ، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٠ ومعجم الأدباء ، ٨/ ٢٨١ .

(١) الطبقات لابن سعد ٥/ ٤٣٣ ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٩٥ وتاريخ بغداد للبغدادي ٣/ ٥ .

(٢) تاريخ بغداد ، للبغدادي ٣/ ١٣ .

(٣) عيون الأثر ، لابن سيد الناس ١/ ٢٠ .

والفتوح ، واختلاف الناس في الحديث والأحكام واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه ، وقد فسر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحدّث بها[1] .

وذكر ابن النديم في الفهرست كتب الواقدي وهي :

١ ـ كتاب أخبار مكة ٢ ـ كتاب أمر الحبشة والفيل ٣ ـ كتاب الآداب ٤ ـ كتاب التاريخ الكبير ٥ ـ كتاب تاريخ الفقهاء ٦ ـ كتاب أزواج النبي ٧ ـ كتاب التاريخ والمغازي والمبعث ٨ ـ كتاب الطبقات ٩ ـ كتاب الجمل ١٠ ـ كتاب السيرة ١١ ـ كتاب الردة ١٢ ـ كتاب حرب الأوس والخزرج ١٣ ـ كتاب صفين ١٤ ـ كتاب ذكر القرآن ١٥ ـ كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر ١٦ ـ كتاب سيرة أبي بكر ووفاته ١٧ ـ كتاب الترغيب في علم القرآن وغلط الرجال ١٨ ـ كتاب ضرب الدنانير ١٩ ـ كتاب فتوح الشام ٢٠ ـ كتاب فتوح العراق ٢١ ـ كتاب الاختلاف ٢٢ ـ كتاب غلط الحديث ٢٣ ـ كتاب السنة والجماعة وذم الهوى ٢٤ ـ كتاب مولد الحسن والحسين ومقتل الحسين ٢٥ ـ كتاب مراعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها ٢٦ ـ كتاب المناكح ٢٧ ـ كتاب مقتل الحسين ٢٨ ـ كتاب وفاة النبيﷺ .

ويكاد ياقوت الحموي في معجم الأدباء ، أن يتفق مع صاحب الفهرست ، فيما أورده من مؤلفات وتصانيف للواقدي ، مع اختلافات بسيطة ، وأضاف الصفدي كتاباً باسم (ذكر الأذان) وأورد صاحب كشف الظنون وهدية العارفين ، فقط اسم كتاب (تفسير القرآن) وهناك كتابان لا يشك الباحثون بنسبتهما للواقدي وهما : كتاب المغازي وكتاب الردة[2] .

---

(١) الطبقات لابن سعد ٥/ ٣١٤ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٢٨٢ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٣٩ ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٩٦ والفهرست لابن النديم ص٩٨ .

ويبدو أن كتاب الواقدي (التاريخ والمغازي والمبعث) من أهم كتبه وهو كتاب ضخم على نسق سيرة ابن اسحاق . وربما كان كتاب المغازي جزءاً منه ، كما أن ابن سعد والطبري وابن كثير نقلوا عن الواقدي ، أخباراً قبل البعثة النبوية وبعدها[1] .

فالطبري أورد أخبار الجاهلية ، وما قبل الإسلام روايةً عن ابن سعد عن الواقدي.أما نقله للمغازي فمباشرة عن الواقدي . ويعتقد الباحثون أن كتابه التاريخ مؤلف من ثلاثة كتب هي : التاريخ الكبير ، والمغازي ، والسيرة .

أما كتاب الردة والدار ، فهو كتابان لأن الفاصل الزمني بين حروب الردة ومقتل عثمان كبير حوالي ربع قرن[2] ، أما كتاب الطبقات للواقدي ، فقد صنف تلميذه محمد بن سعْد على غراره ونقل عنه . لذلك اعتبر الواقدي بحق ، أبرز مؤرخ إسلامي في المغازي والأخبار وعلم تراجم الرجال[3] .

كتب الفتوح :

أما الكتب التي ألفها الواقدي في الفتوح كما أوردها صاحب الفهرست فهي فتوح الشام ، وفتوح العراق . ويرى بروكلمان أنهما فقدا ، والمتداول منهما ليس للواقدي ، وإنما كتبت في فترة متأخرة على يد تلاميذ ابن سعد كاتب الواقدي[4] .

فالبلاذري وهو من تلاميذ ابن سعد نقل معلومات هامة عن الواقدي في كتابه فتوح البلدان ، كما نقل الطبري أحداثاً وقعت في القرن الثاني الهجري

---

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٢ ، ٤١ والبداية والنهاية ٢/ ٢٤٠ .

(٢) الروض الأنف ٢/ ١٣٢ .

(٣) مقدمة كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونسن ص١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٣/ ١٧ .

لأن الواقدي كان معاصراً لتاريخ وقوعها[1] .

في حين نقل ابن كثير عن كتب الواقدي ، حوادث سنة ٦٤هـ في العهد الأموي بكل تفاصيلها وأحداثها[2] .

أما بخصوص فتوح الجزيرة فقد دونّها الواقدي ورويت عنه ، ويمكن ملاحظة أسلوبه ومنهجه في إيراد الأخبار وروايتها ، فهو يرتب تفاصيل الحوادث المختلفة ، ويبدأ مغازيه بذكر الرجال الذين نقل عنهم الأخبار ، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة مع تحديد تاريخ كل غزوة بدقة . ويذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة أو المدينة أو القلعة المفتوحة . فقد أورد الطبري في تاريخه رواية الواقدي عن فتح الجزيرة ، وأكد تاريخها سنة ١٧هـ بقيادة عياض بن غنم وذكر بعض الحوادث وأسماء الرجال والقبائل[3] .

مصادر الواقدي :

اعتمد الواقدي في المغازي والسيرة،على كتاب المغازي لمحمد بن مسلم الزهري، وكذلك فعل ابن اسحق . ومن المعروف أن موسى بن عقبة ومالك بن أنس وابن اسحق وأبي معشر ومعمر بن راشد ومحمد بن عبد الله بن أبي سبرة جميعهم من تلامذة الزهري ، وأخذوا عنه وكان الثلاثة المتأخرون منهم (أبو معشر ومعمر بن راشد ومحمد بن عبد الله) من أبرز وأهم مصادر الواقدي في المغازي[4] .

كما كان أبو إسحق عمرو بن عبد الله السَّبيعي الهمداني أحد مصادر الواقدي لمعرفته الواسعة بالمغازي والأخبار[5] .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٢٥٠٨ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٢٩ .
(٣) تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري ٤/ ٥٤ ، ٥٥ .
(٤) كشف الظنون ، حاجي خليفة ٢/ ١٧٤٧ .
(٥) المعارف ، لابن قتيبة ص٩١ ، ١٠٦ .

واقتبس الواقدي ونقل عن علماء سبقوه ، كموسى بن عقبة ومعمر بن راشد وأبو معشر ، وكانت لهم كتب في المغازي ، ونقل روايات في الفتوح عن ابن اسحق . ولكنه لم يذكره في كتاب المغازي الذي ألفه ، وجمع فيه مادة تاريخية ضخمة . دونها تدويناً تاريخياً صحيحاً[1] وتناولت مؤلفات الواقدي الفترة الإسلامية . فكان أفضل من كتب فيها ، ولكنه لم يكن متعمقاً بأمر الجاهلية رغم ما كتبه من كتب عنها مثل : « أمر الحبشة والفيل ـ وحرب الأوس والخزرج ـ وأخبار مكة »[2] .

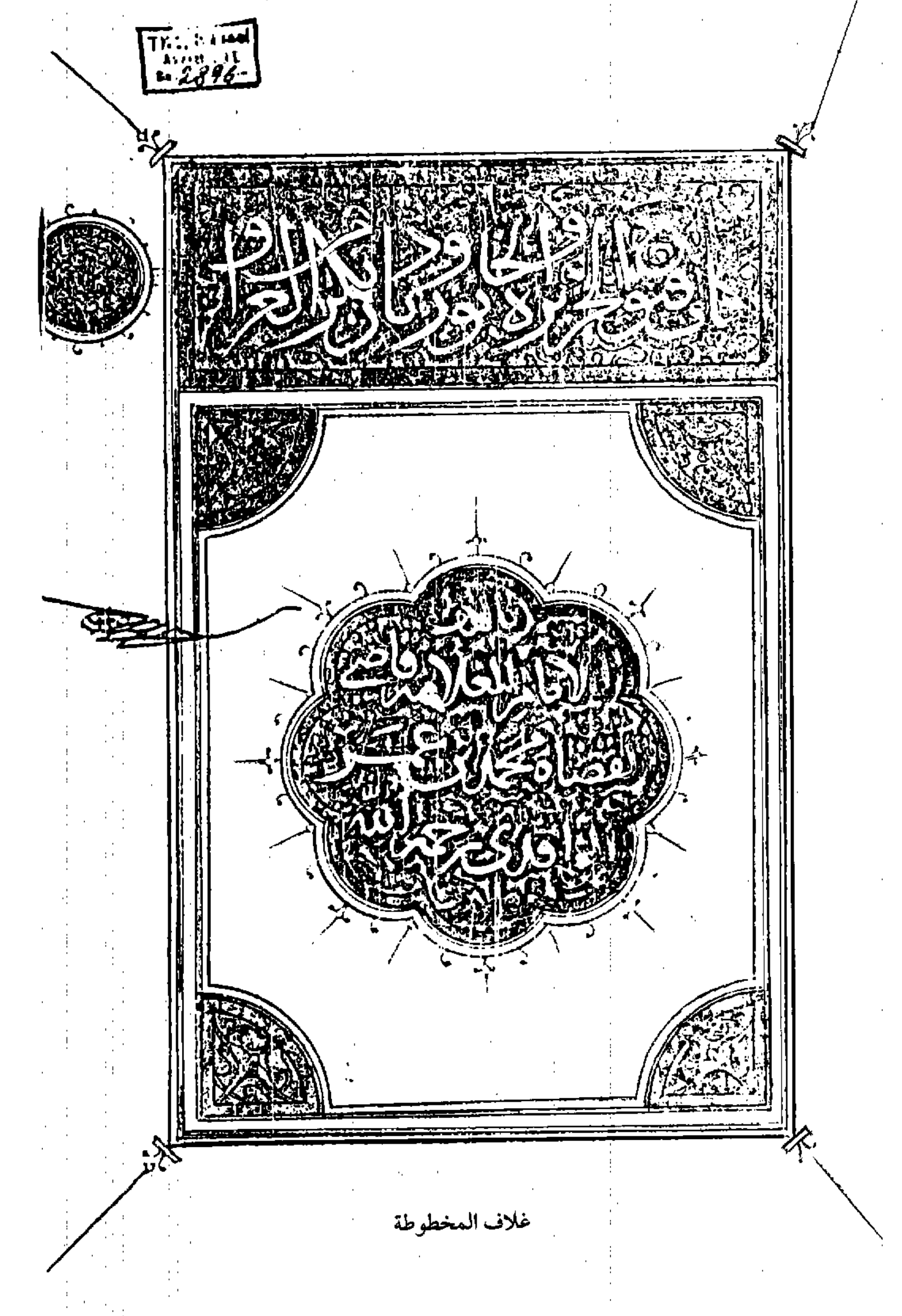
وكانت أهم كتب موسى بن عقبة الأسدي المتوفى سنة ١٤١ ، التي اعتمد عليها الواقدي في نقوله (كتاب المغازي) الذي فقد في القرن العاشر الهجري[3] .

وكان مالك بن أنس يقول : عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة مأمون[4] . أما معمر بن راشد الأزدي المتوفى سنة ١٥٤هـ مولى بني الحداني ، فكان ممن ولد في الكوفة ، وكتب السيرة ، ويعتبر حلقة في السلسلة بين الزهري والواقدي ، وهو ثقة ثبت ومأمون لدى المؤرخين ، ونقل الواقدي وابن سعد من كتابه المغازي .

وكان نجيح بن عبد الرحمن السندي (أبو معشر) المتوفى سنة ١٧٠هـ من مصادر الواقدي ، فقد هاجر من المدينة إلى العراق سنة ١٦٠هـ وكان ثقة صدوقاً في المغازي والتاريخ ضعيفاً في الحديث . وقال صاحب الفهرست : له كتاب في المغازي، ومغازيه تشبه إلى حد كبير مغازي موسى بن عقبة وأخذ عنه الواقدي[5] .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية .
(٢) الفهرست لابن النديم ص٩٩ ، والتهذيب لابن حجر ٩/ ٣٦٥ .
(٣) تاريخ الخميس ، الديار البكري ٢/ ٦٠ .
(٤) الجرح والتعديل ٤/ ١/ ١٥٤ وكشف الظنون ٢/ ١٧٤٧ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص١٣٦ .



غلاف المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة عليه

في جامع الرملة سنة ثمانين من الهجرة قال

حدثني موسى بن عامر قال أخبرني رفاعة

ابن قيس قال حدثني سليمان بن عوف عن جده

عبد العزيز بن سالم قال حدثني أبو يعلى العبدي

قال حدثني وهبان بن هارون الصيرفي

قال سمعت الفتوح كله على محمد بن عمر

الواقدي وهو يومئذ قاضي بغداد من الجانب

الغربي قال حدثني عدلان بن غنية المازني

عن معمر الجوزي وأيضاً من طريق سيف

ابن معمر التيمي والأسدي عن المهلب عن طلحة

ومحمد قالوا جميعاً ومن قال منهم إنه لما

الصفحة الأولى

عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى
جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعَثَ
الْكِتَابَ وَخُمُسَ مَا تَحَصَّلَ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ مِنَ الْمَالِ
مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ كَاتِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّ إِلَيْهِ بِابْنَةِ فَارِسٍ وَتَسَلَّمَ
الْمَالَ وَالْكِتَابَ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ فَسَارَ شُرَحْبِيلُ
إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَعْدَ أَيَّامٍ وَصَلَ مِنَ الْعِرَاقِ عَامِرُ
ابْنُ مُزَيْنَةَ رَسُولًا مِنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
يَسْتَنْجِدُ بِعِيَاضٍ مِنْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَهَذَا
مَا كَانَ مِنْ فُتُوحِ دِيَارِ بَكْرٍ وَدِيَارِ مِصْرَ
وَبِلَادِ رَبِيعَةَ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ۞
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ ۞ وَسَلَّمَ

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأوّل

فتح أرض الخابور

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قِرَاءةً عليه في جامع الرَّملة[1] سنة[2] ثمانين من الهجرة قال : حدثني موسى بن عامر قال : أخبرني رِفاعةُ ابن قيس قال : حدثني سليمان بن عوفٍ عن جده عبد العزيز بن سالم قال : حدثني أبو يَعلى العبدي قال : حدثني وهبان بن هارون الصَّرْفيني قال :

سمعت الفتوح كُلَّه على محمد بن عمر الواقدي وهو يومئذٍ قاضي بغداد[3] من الجانب الغربي .

قال : حدثني عَدْلَان بن غَنِّيّ الحازميُّ ، عن مَعْمرٍ الجَوْنيّ . وأيضاً من طريق سيفٍ ابن مَعْمرٍ التيميّ والأسدي ، عن المهلب عن طلحة ومحمدٍ قالوا

---

(١) الرملة : مدينة تقع في فلسطين إلى الشمال الغربي من القدس تنسب عمارتها إلى سليمان بن عبد الملك في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي ثم تناولها التخريب بفعل الزلازل والحروب « القاموس الإسلامي ٥٧٤ » .

(٢) هذا التاريخ غير صحيح . فيونس بن عبد الأعلىٰ ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٦٤ (تهذيب ١١/ ٤٤٠) وموسى بن عامر توفي سنة ٢٥٥ (تهذيب ١٠/ ٣٥٢) .

(٣) كان نهر دجلة يشطر بغداد إلى قسمين غربي وشرقي . فكان الواقدي مقيماً في الجانب الغربي من بغداد . وتصل بين الجانبين الجسور ، وتؤكد كثير من المصادر أن الرشيد ولاه القضاء في الجانب الشرقي وولاه المأمون القضاء في عسكر المهدي « انظر معجم الأدباء ١٨/ ٢٧٩ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٩٥ » .

جميعاً : ومن قال منهم : إنه لمَّا فُتح الشام على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد ، فتحت أرض مصر على يد عَمرو بن العاص .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم . من عبد الله عمر[1] بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عامر بن الجراح ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه محمد ﷺ .

أما بعد : فقد أَجهدتَ نفسك في قتال الكفار ، وسارعت إلى رضى الجبَّار ، وقدَّمتَ لك صالحاً تجده يوم عَرْضِك ، ولم تُؤْتَ يوماً من أداءِ فَرضِك ، وقمت بسنة نبيك ، وجاهدت في الله حق جهاده .

فتقبَّلَ الله منَّا ومنك ، وغفر لنا ولك ، فإذا قرأتَ كتابي هذا . فَاعْقِدْ عقداً لعياض[2] بن غنم الأشعري ، وجهِّز معه جيشاً إلى أرض[3] ربيعة وديار بكر[4] ابن وائل ؛ وإني أرجو من الله سبحانه وتعالى المعونة ، وأن يفتحها على

---

(١) انظر نص كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح بشأن فتح الجزيرة في : فتوح الشام للواقدي جـ٢ ص٥٩ ـ ٧٢ « والكامل في التاريخ ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٢ ، وابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٤٩ » « وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١/ ٩٨ » .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٥٩ .

(٣) أرض ربيعة : تقع في بلاد الجزيرة بين الموصل ورأس العين ثم إلى نصيبين ودنيسر والخابور جميعه وقصبتها مدينة نصيبين وتشمل مدن رأس العين ودارا وقرقيسياء . « معجم البلدان ٢/ ٤٩٤ ، الأعلام ٣/ ١٢٤ ، صورة الأرض ١٩١ وفتوح البلدان ١٨٠ » .

(٤) ديار بكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل وحدها من دجلة إلى الجبل المطل على نصيبين وتشمل كثيراً من المدن والقلاع الحصينة مثل حيزان واسعرد وآمد وميافارقين وأرزن وماردين « الأعلام ٣/ ٢٤٦ ومعجم البلدان ٢/ ٤٩٤ » وانظر الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٠ .

يديه ، وأَوصه بتقوى الله والاجتهاد في طاعة الله ، ولا يلحقْهُ من التواني في الجهاد . ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين . وما أمر به سيِّد المرسلين . مما أنزل عليه ربُّ العالمين . ﴿ يا أيها النبيُّ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة ٩٣] والسلام عليك وعلى جميع المسلمين . ورحمة الله وبركاته .

وكتب كتاباً إلى عياض بن غنم يأمره بالولاية والمسير إلى أرض ربيعة الفُرْس وديار بكر[١] .

وبعث الكتابين مع ساعدة بن قيس[٢] المرادي ، وزوده عمر من بيت مال المسلمين وأمره بالسير ، فسار يقطع الأرض في الطول والعرض ، ولم يغفل عن أداء سُنَّةٍ أو فرضٍ ، حتى ورد على أبي عبيدة فوجده نازلًا على بحيرة طبرية[٣] ، فسلم عليه وسلَّمه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم سلَّم الكتاب الآخر إلى عياض بن غنم الأشعري . فلما قرأ أبو عبيدة كتاب عمر قال :

السمع والطاعة لله وللأمير ؛ ثم جهز عياض بن غنم لمسيره إلى الجهاد وعقد له عقداً على ثمانية آلاف ، ومن جملتهم ألفان من الصحابة ، ومن جملتهم خالد بن الوليد ، والنُّعْمَان بن المُنذر ، وضرار بن الأزور ، وعَمرو بن ربيعة[٤] . وذو الأذعار ابن قيس وحمزة بن عقيل وطلحة بن[٥] الأشَجْ . وعامر ابن فهرٍ ، وكان المِقْدَاد بن الأسود ، وعمَّار بن ياسرٍ ، وعبد الله يُوقَّنَّا

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٥٩ ، والكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٥٩ .

(٣) بحيرة طبرية : تقع في شمالي غور فلسطين وبشكلها نهر الأردن وعلى ساحلها الغربي تقع مدينة طبرية .

(٤) عمرو بن ربيعة « انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٥٩ » .

(٥) طلحة بن الأشج « انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٥٩ واسد الغابة ٣/ ٥٩ » .

الذي ذكرنا متقدماً عند قدومهم على أبي عبيدة بعد فتوح مصر ، وكان قدومهم في شوال سنة سبع عشر من الهجرة .

١ ـ فتح الرَّقَّة

وقفل عياض بن غنم من طبرية ، يريد أرض الجزيرة[١] وعلى مقدمته وأَعِنَّةِ خيله سهيل[٢] بن عدي ، فلم يزل سائراً حتى نزل على بالس[٣] ، وكان خالد فتحها صلحاً، فأقام عليها وسرَّح سُهيلاً إلى الرّقّة[٤]، ونزل على حصارها، وكان فيها بطريق اسمه يُوحنّا، وكان من قِبَلِ شَهْرِيَاض صاحب رأس العين[٥] .

وكان قد استعدَّ بآلة الحصار . فلمَا رأى أهلُ الرقة صاحبهم معوّلاً على الجهاد ، اجتمع بعضهم إلى بعضٍ وقالوا : نحن بين أهل الشام والعراق ، فما مقامكم بين حرب هؤلاء القوم .

فبعثوا إلى عياض بن غنم بالصلح فصالحهم[٦] على ما وقع عليه الاتفاق

---

(١) أرض الجزيرة : وهي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات . انظر صورة الأرض لابن حوقل / ١٩١ والمسالك والممالك ص٥٢ للاصطخري .

(٢) سهيل بن عدي : انظر : أسد الغابة ٢/ ٣٦٨« والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣١» .

(٣) بالس : بلدة بأرض الشام بين حلب والرقة وهي (بربالیوس) القديمة على الضفة الغربية لنهر الفرات « معجم البلدان ١/ ٣٢٨ ، اللؤلؤ المنثور ٦٢٣ » .

(٤) الرقة : مدينة هامة في سورية بأرض الجزيرة من ديار مضر وهي فوق مصب نهر البليخ وكان ربضها يسمى الرافقة وقيل لها البيضاء « صورة الأرض ٢٠٣ ، الأعلاق ٣/ ٦٩ ، ومعجم البلدان ٣/ ٥٨ »« وانظر فتح الرقة في : كتاب الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٠ » .

(٥) رأس العين : مدينة سورية على الحدود مع تركية ، تقع بين حران ودنسير ، فيها عيون وبساتين وبأرضها يتشكل نهر الخابور وهي عين الوردة ، فتحها المسلمون وهي ذات أسوار قوية ويتبع لها قرى عرابان وماكسين «معجم البلدان ٣/ ١٣، ٤/ ١٨٠، مراصد الاطلاع ٢/ ٥٩٣ وبلدان الخلافة الشرقية ١٢٥» .

(٦) انظر : خبر الصلح بين أهل الرقة وعياض في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٠ ، =

وارتَحل عياض من بالس ، ونزل على الرقة البيضاء ، وفي ذلك قال سهيل بن عدي حيث ينشد ويقول[1] [الوافر]:

وصَــادَفْنَــا العــراقَ غَــدَاةَ سِــرْنَــا ... بجُــردِ الخيــل والأَسَــلِ الطِّــوالِ
أَخَــذْنَــا الــرَّقَّــةَ البيضــاءَ لمّــا ... رَأَيْنَــا الشُّهــبَ تَلعــبُ بــالتِّــلالِ
فَــأَزعَجــتِ الجَــزيــرَةَ بَعــدَ خَفْــضٍ ... وقــد كــانــت تُخَــوِّفُ بــالــزَّوال
سَنَقصِــدُ رأسَ عَيْــنٍ ثُــمَّ[2] داراً ... كــذا جَمْلِيْــنَ[3] مع جَيشِ الضَّــلال
وَنَقْصِــدُ شِهْــربَــاضَ بجيش صِدْقٍ ... ونَقتــلُ فــي البطــارق لا نُبــالــي
فَنحــنُ أولُــو التَّقِيَّــة والمعــالــي ... ونحــن الصــابــرون لكــلِّ حــالِ
صَحــابَــةُ أَحْمــدٍ خَيــرُ البَــرايــا ... رقــى العليــاء والــرُّتَب العَــوالــي

٢ ـ فتح القلعتين زبّاء وزلابيا

قال الواقدي رحمه الله تعالى : ولما فتحت الرّقة البيضاء صلحاً ، عَوَّل عياضُ بن غنم بالمسير ، إلى عين وردة وهي رأس العين ، وكان على أرض الجزيرة ملك من الروم يقال له : شَهْرياض بن فَريتُونْ وكان جيشه مائة ألف ، وكان يخدمه السُّلطان بن[4] سارية الثَّعلبي ، وهبيرةُ بن مكشوح[5] ، وجَهْضَمُ بن كلبٍ[6] الأيِادي ، من إياد الشمطاء في ثلاثين ألفاً من قومهم ، وقد اتصلت بهم

= والكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٢ .
(١) الأبيات انظرها في : فتوح الشام للواقدي .
(٢) دارا : مدينة هامة في ديار ربيعة تابعة لنصيبين وفي أيامنا تابعة لتركية في لحف جبلين نصيبين وماردين . « صورة الأرض١٩٩ ، الأعلاق٣/ ١٤٠ ، معجم البلدان٢/ ٤١٨ » .
(٣) جملين : قلعة هامة وحصينة في ديار مضر ويتبع لها أراض واسعة ، « الأعلاق الخطيرة ٣/ ٦٨ ، ابن العبري ٣٩٣ » .
(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٠ .
(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٠ .
(٦) جهضم ابن كلب الايادي : لم أعثر له على ترجمة .

الأخبار بفتوح الرقة ، والمسلمون قاصدون إليهم في عسكر عياض بن غنم وخالد بن الوليد ، والمقداد بن الأسود ، فاجتمعوا إلى شهرياض الملك برأس عين[1] ، وقالوا : أيها الملك اعلم أَنَّ أَصحاب محمدٍ قدموا ديارنا وقصدوا نحونا ، ونحن علينا الطلب أكثر منكم ولن يرضىٰ القوم منّا إلا بدخولنا في دينهم ، فاضرب سُرادقك وجهز جيشك ، حتى نلقى القوم إمَّا لنا وإمَّا علينا . قال : فأجابهم إلى ذلك بعد أن أخذ رهائنهم ، واستوثق منهم ، ورتَّب آلة الحصار ، وأخرج الخزائن والأموال والحرسة[2] على الصُّور وفي عَرَض الخندق وطُوله ، واستوثق مِنْ جَمْليْن[3] ، وكفرتوثا[4] ودارا[5] وماردين[6] وحرَّان[7] والرُّها[8] وتلِّ مُوزَنْ[9] واللَّيْتنى والبَارعيه[10] ، ثم نصب سُرادقه

---

(١) رأس عين : انظر ص٣ من فتوح الجزيرة ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٢) الحرسة : وهم الحُرَّاس .

(٣) جملين : انظر ص٣ من فتوح الجزيرة ، وابن الأعثم الكوفي (الفتوح) ١/ ٢٥٠ .

(٤) كفر توثا : كورة واسعة في بلاد الجزيرة وتمتد بين دارا ورأس العين « معجم البلدان ٤/ ٤٦٨ » .

(٥) دارا : انظر ص٣ من فتوح الجزيرة .

(٦) ماردين : مدينة قديمة وحصينة في ديار بكر ، تقع في منطقة جبليّة وفيها قلعة شماء ومشهورة في منتصف الطريق بين رأس العين ونصيبين على قمة جبل « ابن بطوطة ١/ ١٥٠ ، بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦ » .

(٧) حران : مدينة قديمة ، قصبة ديار مضر لها سبعة أبواب وفي شرقيها قلعة حصينة مسورة « رحلة ابن جبير ٢٤٣ ، الأعلاق ٣/ ٤٠ ، ٤١ » .

(٨) الرها : مدينة رومية قديمة محاطة بسور عظيم ، ذات عيون وبساتين ولها ثلاثة أبواب فتحها المسلمون صلحاً على الجزية « فتوح البلدان للبلاذري ١٧٨ ، الأعلاق ٣/ ٩٠ ، الطبري ١/ ٣٣٥ ، معجم البلدان ٣/ ١٠٦ ، تاريخ المنبجي محبوب ١/ ٧٥ » .

(٩) تل موزن : بلدة قديمة بالجزيرة تقع بين رأس العين وسروج وتبعد عن رأس العين عشرة أميال ، وسورها وقلعتها مبنية بالحجارة السود ، فتحها عياض بن غنم سنة ١٧هـ على مثل صلح الرها . « معجم البلدان ٢/ ٤٥ » .

(١٠) البارعية : هي حصن منيع من حصون ديار بكر « زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢/ ٢٥٤ ، وصبح الأعشى ٨/ ٢٢٥ » .

وخيامه ، وكذلك فعلت الملوك والحجّاب والأمارة ، وأقام ينتظر عياض بن غنم . قال : حدثني عبد الله بن مسلم قال : أخبرني عاصم بن عبد الله ، قال : حدثني محمد بن اسحق الأموي ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولاه . قال : لما عَوّل عياض بن غنم على المسير إلى رأس العين ، وعلى قتال الملك شهرياض بن قربِيُون، بعث قبل مسيره الأشعث بن عُويلم[1] المزني وعبد الله[2] بن عَتبان ، إلى القلعتين المعروفتين بزبّاء[3] وزَلابِيَا . فقال عبد الله يوقَّنَّا لعياض بن غنم : اعلم أيها الأمير أنَّ هذين الحصنين الذين ذكرتَهُمَا حِصْنَان مَنيعَان أحدهما من الجانب الغربي ، والآخر من الجانب الشرقي ، وهما كانا تحت ولايتي ، وإنَّ صاحبهما كان من قبلي وهو أحد بني عمي ، واسمه اكِشفَاط[4] بن مارية ، وكنت قد زوَّجت ابنتي لولده ومَات وهي في حباله ، فأخذت من الحصنين ، الحَصن الشرقي من الفرات بما في صداقها ، وإني قد رأيت رؤيا ، لو أمرتنيّ بالتَّقَدُّم حتى أحصل في القلعة الغربية ، فإن حَصَلَتْ لنا كانت الأخرى في قبضتنا . فقال عياض بن غنم : لله أنت يا عبد الله ، فوالله لقد نَصحتَ للإسلام فجزاك الله بأفضلَ ما جازى به أحداً من أوليائه ، سر على بركة الله وعونه .

فإذا استقر بك المقام ثلاثة أيام ، نَفَّذتُ إليك بالأشعث وعبد الله بن عتبان فيمن أُنْفِذُ معهما من المسلمين . وبعد الفتح إن شاء الله تعالى تنزلوا على قرقيسياء[5] . فقال يوقَّنَّا : استعنَّا بالله وتوكلنا عليه : ثم أخذ معه غلمانه ولم

---

(١) الأشعث بن عويلم المزني : لم أعثر على ترجمة له .
(٢) عبد الله بن عتبان : انظر : أسد الغابة ٣/ ٢٠٢ » .
(٣) قلعة زباد وزلابيا : حصن الزباء في قرقيسياءء « انظر الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٥١ » وانظر : الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥١ » .
(٤) ورد الاسم في فتوح الشام للواقدي اشفكياص بن مارية ٢/ ٦٠ .
(٥) قرقيسياء : هي قصبة كورة الخابور وتقع عند مصب الخابور في نهر الفرات ويتبع لها (ماكسين وعرابان والمجدل) الأعلاق ٣/ ٥١ .

يأخذوا معهم بركاً[1] ولا زملاً[2] ، وساروا من العسكر ليلاً وتركوا عياض بن غنم ، وجدُّوا في السَّير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر بساعتين أشرفوا على الخانوقة[3] ، فوجدوا هنالك ألفاً من الأرمن جماعة مُكْمِنين وهم في سلاح وعدة ، وهم على حالة التجريد ، فلما أشرف عليهم يوقنَّا وسمعوا قَعْقعة اللُّجُم أنصتوا إليهم ، وإذا هم يتحدثون بالرومية ، فَأَنِسُوا إليهم وفرحوا لهم وسلّموا عليهم وسألوهم عن حالهم ، فقالوا : هذا البِطْرِيق المُعَظَّم يوقنَّا الملك صاحب حلب ، قد هرب من العرب وقد أقبل قاصداً إليكم ، لصاحب هذه القلعة يَعْنُون زَبّاء ، فلما سمعوا بذلك فرحوا واستبشروا وصَعِقُوا بين يديه وسلَّموا عليه ، ونَفَّذَ المقدم عليهم رجلاً من قبله إلى أكشفاط يعلمه بالأمر ، فلما سمع بذلك أطرق إلى الأرض ملياً ، وقال لوزيره : وحق المسيح والانجيل ، ما قدم يوقنَّا ، إلا لينصُب حيلته علينا ويملك هاتين القلعتين . كما فعل بأطرابلس[4] وصور[5] ، وليس نأمن إليه فكيف ترى أيها الوزير .

قال ابن اسحق : ولقد بلغني أن الوزير كان من أهل القراءة ، وكان نصرانياً أديباً عاقلاً لبيباً ، ممن قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية وملاحم دانيال عليه السلام ، وكان من المعمدان . وكان منذ بعث محمد ﷺ يسكن بدير مترهباً ، وهو ما بين بالس وحلب ، فتعبَّد فيه زماناً طويلاً حتى شاع ذكره

---

(١) بَرْكاً : جماعة الإبل الكثيرة ومفردها بارِكٌ « المعجم الوسيط » .

(٢) زملاً : جمع ومفرده زمل ، والزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه « مختار الصحاح » .

(٣) الخانوقة اسم مكان : انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦١ .

(٤) أطرابلس : مدينة ساحلية على ساحل الشام بها قلعة حصينة فتحها المسلمون « معجم البلدان ٤/ ٢٦ » .

(٥) صور : مدينة ساحلية ومرفأ في جنوب لبنان وهي حصينة يحيط البحر بثلاث جهات منها فتحها المسلمون لما فتحوا الساحل السوري/ انظر : معجم البلدان ٣/ ٤٣٣ والأعلاق الخطيرة ٢/ ٢/ ١٦٣ » .

بالرهبانية ، ثم إنه بعد ذلك أخبر الروم بانه قد وقع بحافر حمار المسيح ؛ فكانت الروم تنذر له النذور والصدقات وشاع خبره ، وسما ذكره ، وسُميَّ ذلك الدير بدير حافر .

وإنه في بعض أيامه خرج من ديره إلى مزرعةٍ له هناك . وإذا برجل من العرب قد عبر عليه وهو راكب على ناقة له ، وكان الحرُّ قد أوهج والسّراب قد سَنَحَ ، فآوى إلى فيئ حائط الدير ، وأناخ ناقته ثم عقلها ونام . والراهب ينظر إليه ، فلما غرق في النوم ، جاءت حيَّةٌ من نحو المزرعة وفي فمها باقة ريحان ، وقيل نرجسٍ ، فجعلت تُروِّحُ عليه بها حتى استفاق . فلما نظر الدَّيْراني إلى ذلك ، أقبل إليه وسلم عليه . وقال له : من أي الناس أنت ؟ فقال : من العرب . قال الراهب : قد علمت ذلك ولكن سؤالي ، على أي دين أنت ؟ قال : على دين الاسلام الذي كان عليه أنبياء الله عليهم السلام . فقال الراهب : ولعلّك على دين هذا الرجل الذي ظهر في أرض الحجاز . فقال له البدوي : نعم أنا على ذلك[1] .

قال ابن اسحق : وكان البدوي وَرَقَةَ ابنَ الصَّامِت الهُذَلي[2] ، ابن أخت ابن رَوَاحَةَ بن[3] مُعقِب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، وكان ممن قاتل بين يدي رسول الله ﷺ ، في ذات السلاسل[4] . وكان أديباً لبيباً شاعراً لا يتكلم إلا بِسجعٍ في كلامه .

وكان الأمين أبو عبيدة ، قد وجهه لمَّا كان يحاصر حلب إلى صاحب الرقة

---

(١) انظر : قصة الراهب والأعرابي في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦١ .
(٢) ورقة بن الصامت الهذلي : لم أعثر على ترجمة له .
(٣) ابن رواحة الأنصاري : انظر أسد الغابة ٣/ ١٥٦ » .
(٤) ذات السلاسل : إحدى حملات الرسول ﷺ إلى حدود الشام قادها عمرو بن العاص وأمده النبي ﷺ بجيش آخر قاده أبو عبيدة بن الجراح وكان معه أبو بكر وعمر بن الخطاب « إعلام النبلاء ١/ ١٠٢ » .

يدعوه إلى الاسلام . فقال الراهب وكان اسمه شرخوب[1] بن كيوان : قد بلغني أنكم تقولون ما خلق الله خلقاً أعظم ولا أكرم من محمد ﷺ ، وتركتم آدم ونوحاً وابراهيم واسحق ويعقوب والأسباط[2] وموسى وداود وسليمان وعيسى ، وأريد أن تبين لي حقيقة ذلك . فقال ورقة بن الصامت : اسمع ما أقول ، ولا تَزَغ عن القول إن كان لك عقل ومحصول ؛ أما علمت أن عَالَمَ الملكوتِ اجتمعوا بغرفة البيت المعمور ؟ ووقع بينهم الجدال في تصاريف الأمور ، وافتخروا ـ الكرُبيُّون ـ على الروحانيين والمسبِّحون على المُقرَّبين ، فزاحمهم إبليس ببدء عبادته وتشديد ما أتى من أمر زهادته ، وقال : أنا المخلوق من ضرام النار ، البارع في خدمة العزيز الغفار ، أين أنتم من وقوفي على أقدام الاهتمام ماية ألف عام ، وتعبدي في السموات وأكنافها وبُروجها ، وأعرافها وأوساطها وأطرافها ، وجبال الأرض وأحقافها ، فعارضه جبريل بالامتحان والابتلاء ، وصرفه عن محجته والافتخار والادعاء ، وقال له : ما أنت من الفخر إلا في الحضيض المحضوض ؛ إن نبياً لله تعالى في عالم الملكوت محجوباً قد طال اشتياقنا إليه ، ووعدنا بالخير فيما لديه وجعل نهاية عبادتنا الصلاة عليه .

قال: فأيقن في المفاخرة بالنزول، ومن إطلاع شمس ادعائه بالأفول. وقال: ياأمين الملائكة هل إلى لقائه من سبيل أو إلى الوصول إليه من دليل؟ فقال جبريل: اقطع مسافة الإنابة وخُضْ بحار الاعتراف بعز الربوبية، وارتقِ إلى جبال العز المكين، تجد يتيمةً قد كُوِّنت من نور التكوين منقوش عليها بقلم التمكين، ﴿إنَّك لمن المرسلين﴾. فخلع[3] عنه ملابس العمل، واستعمل

---

(١) ورد اسمه في فتوح الشام للواقدي شوجوان بن كربان / ٢ / ٦١/ والفتوح لابن الأعثم ٢٥١/١ .

(٢) الأسباط : أبناء يعقوب عليه السلام .

(٣) انظر : نص الحوار بين ورقة ابن الصامت والراهب في : فتوح الشام للواقدي جـ٢ ص٦١ .

أجنحة الأمل ، وألقى تلاوة الادعاء ، ونكس تاج الكبرياء ، واستعد لقوادم الطلب ، وداخله من قول جبريل غايةُ العجب .

وجعل ينتحبُ عند بُدُوِّ السَّبب ، ويحذر من سوء المنقلب ، وقال : يا لله العجب ، أنا مع صدق طويتي في المعاملة والأنابة ، وخلوص سريرتي في طلب الزيادة والمثابة ، هل يكون أَحدٌ في الوجود مثلي ؟ أو يَبلغُ إلى درجةِ فعلي ؟ وكيف ذلك ؟ فإذا ارتفعت رأسي بالتسبيح أُعاينُ ما حول العرش ، وإذا سجدت لعظمته ، أنظُرُ ما تحت العرش . فنودي : أتفتخر علينا بجواهر طاعتك ، وتوفر أسباب بضاعتك ، ونحن وفَّقْنَاكَ لمعاملتنا ، وسهَّلنا عليك طاعتنا ، وبيَّنا لك أطراف أرضنا وسمائنا ؟ وعزتي وجلالي لولا أحمدُ ما خلقت مُلْكاً ، ولا أجريت فُلكاً ، ولا أَنرتُ قمراً ، ولا أمضيتُ قدراً ، ولا أنرت شمساً ، ولا خلقت إنساً ، ولا أقررت عرشاً ، ولا بسطت فرشاً ، ولا خلقت جنة ولا ناراً ، ولا ماءً ولا بحاراً ، ولا جعلت للفلك بروجاً ولا للسماء فروجاً ، ولا أنرتُ الكواكب ، ولا جعلت النجوم طوالع ولا غوارب ، ولا للدنيا مشارق ومغارب ، ولكن طِرْ بأجنحة عُجبِكَ في طلب الإيثار ، حتى تميز بين النار والأنوار .

قال : فسار بمعنى التجريد على قدم مطايا التفريد ، حتى اخترق ما بين العرش والكرسي ، واختبر كل جنيٍّ وإنسيٍ ، فكلما مرَّ بمعنى من المعاني ، رأى معنى من المعاني ، وذلك أنه رأى أصنافاً من الملائكة[1] على اختلاف الأحوال من الاجتهاد في الطاعة والأعمال ، وجميع عباداتهم الصادرة موقوفة على خدمة سيد الدنيا والآخرة ؛ فلما علم معنى عباداتهم ، تحقق آثار إرادتهم ، زاد به الاعجاب ، واستعظم وجود ذلك في عالم التراب . قال : يا رب أين يكون واديه ؟ أم كيف السبيل إلى التوصل إلى ناديه ؟ فقيل له : انظر

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٢ .

إلى نهر السلسبيل ، تجد هناك إلى نظره سبيل . فسار تحت مشيئة القهر ، إلى أن وصل إلى النهر ، فرأى قصراً يلوح صفاؤه ، وبأسرار ما فيه يلوح وفاؤه ، دار به المقربون والصادقون والراكعون والساجدون ، وقطب عبادتهم قائم على الاستغفار ، لأنه صاحب المفاخر ؛ وكلما سبَّحُوا وأَمَّنوا يستغفرون للذين آمنوا . قال : فانتظم في سلكهم أو سلك في سبيل مسلكهم ليفوزَ بالنظر ، ويُعَدَّ في جملة من حضر ، وإذا بنور أحمد قد تعلَّى ، ومن شرفات القصر قد تجلَّى ، فسجدت الملائكة له بمعنى التعظيم ، وقالوا : ﴿ إنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] . فَبُهتَ المارد لمّا غشيهم النور الوارد ، فنطق لسان حسده بما في جسده . قال : من ذا الذي ملأ الأكوان بعبادته ، وافتخر على الملائكة بخالص مجاهدته ؟ وإذا بالنداء : معاشر الملائكة ، دعوا النظر إلى المعاني ؛ وتحققوا الفضائل والمعاني ، فحدقت الملائكة نحو القصر بالأعين ، وإذا في جوانبه أربعة أعين . قالوا : يا رب العزة ، قد تركنا العناء فما حقيقة المعنى . فإذا النداء . هذه العيون عيون أنهاره ، وسيوف انتصاره[١] ، ومعالم مِنَّته ، وتيجان سُنَّته ، وأبواب علمه ، ومقرُّ حكمه ، وزينة دينه ، وأعلام يقينه ، فأول عين هي عين التصديق ؛ والثانية هي عين التحقيق ؛ والثالثة هي عين الحياء والتوفيق ؛ والرابعة هي عين العلم والتشويق .

فعين التصديق لِصِدِّيقه[٢] وعين التحقيق والعدل لفاروقه[٣] ، وعين الحياء لصهره[٤] ورفيقه ، وعين العلم لأخيه[٥] وشقيقه ؛ فانظروهم بعين التبجيل

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٢ .
(٢) صديقه : أبو بكر الصديق .
(٣) فاروقه : عمر بن الخطاب .
(٤) صهره : عثمان بن عفان .
(٥) أخوه : علي بن أبي طالب .

والوقار ، وأكثروا لهم الدعاء والاستغفار ، فأنا الذي قلت فيهم ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران : ١٧] .

قال : فلما سمع شرخوب كلام ورقة بن الصامت ، لم يردَّ جواباً ولا أبدى خطاباً ، غير أنه علم الحق فكتمه ؛ ولم يزل شرخوب في الدَّير حتى غلب المسلمون على الشام وحلب وفتحوا حلب ، فانتقل إلى زلابيا ، فاستوزره صاحبها إكشفاط ، فلما استشاره في أمر يوقنّا قال له : أيها الملك ، اعلم أن يوقنّا من الملوك ، وممن قرأ الكتب وقد صحب هؤلاء العرب واطَّلع على أسرارهم ، ونظر إلى دينهم وربما علم ، أن دين المسيح أفضلُ من دين هؤلاء القوم ، وقد هرب إليك بدينه ، فإن كان الرجل قد أتى بغير حَمْلٍ ولا بَرْكٍ ولا تجمُّلٍ ، فاعلم أنه هارب إليك من القوم ، فيجب عليك أن تخرج إلى لقائه وتعظم شأنه وترفع مكانه[١] . قال : فلما سمع الملك اكْشِفَاط ذلك خرج بعسكره إلى لقاء يوقنّا[٢] وبقي الوزير في القلعة .

وسمعت ابنة يوقنّا أن أباها قد أتى ، فنزلت في سِرْبٍ[٣] لها تحت الأرض مع جواريها وخدمها ، وقصدت القلعة لتأتيه فوجدت اكْشِفَاط ، قد خرج إلى لقائه والوزيرُ في رُتبته وزينته ، فزارته وسلمت عليه ، فقام شرخوب إليها وصَعَق بين يديها وخدمها وجلس بالقرب منها ، وتحدثت معه فتحدث الوزير شرخوب معها ، وقال لها : خذي على نفسك الحذر فقد جرى كذا وكذا وإني أخاف أن يبطش هذا اللعين بأبيك ، واعلمي أنه ما اتبع هؤلاء العرب إلا وقد

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٢ ، والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٠ .

(٢) يوقنا : هو بطريق حلب وملكها ولما فتح المسلمون حلب اعتصم يوقنا بقلعتها حتى انهزم ثم أسلم وسمي عبد الله يوقنا وحسن اسلامه وشارك في فتوح الجزيرة « انظر فتوح الشام للواقدي ١/ ١٥٥ ـ ١٦٠ » .

(٣) سرب : طريق أو ممر سري تحت الأرض .

تحقق عنده أن دينهم هو الحق وقولهم الصدق . فقالت له : ما تقول في دين هؤلاء العرب ؟ قال : والله هو دين الحق ، وقد كنت كاتم ذلك السِّر . قال : فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت : والله لقد رضيت لنفسي ما رضي أبي لنفسه ، ولكن اكتم ما معك وإلا عَطِبْتَ[١] .

قال الواقدي : وإن اكشفاط التقى بعبد الله يوقنًا ، وسلم بعضهم على بعضٍ . وترجل كل واحد منهما لصاحبه وتعانقا ، وشكى كل واحد منهما ما يجد من الشوق لصاحبه ثم بكيا ، والتقته ابنته وبكت . قال : واكشفاط مضمر على قبض يوقنًا ، ثم التفتَ إليه وقال : أيها الملك كيف رأيت زِيَّ هؤلاء العرب في دينهم ، وعدلهم وسياستهم في ملكهم ؟ قال له يوقنًا : إن القوم يزعمون أنهم لا يريدون ملك الدنيا وإنما يريدون الآخرة ، ومع ذلك فإنهم ملكوا أرض الشام وأرض مصر ، ما تغيَّروا عن طباعهم ، وأنفسهم الدنيئة ؛ وأولُ القول وآخرُهُ : إن القوم يظهرون الناموس حتى يملكوا البلاد . وقد كشفت أسرارهم ، وبلوتُ أخبارهم ، ورأيت بيان ما هم عليه ، فهربت منهم وبعدت عنهم ، بعد أن ظننت أنهم على الحق ونصحتُ لهم ، وملَّكْتُهم عكَّة[٢] وطرابلس وصور[٣] وإنطاكية[٤] ، ولقد علمت أن المسيح غضب علي إذ تركت دينه ، وما أمر من القربان ، وما رضًّى لِمَارْ يُحَنّا[٥] المعمدان ،

---

(١) عطبت : هلكت .

(٢) عكة : هي مدينة عكا بفلسطين على ساحل بحر الشام وهي كبيرة وحصينة فتحها المسلمون سنة ١٥هـ بقيادة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . معجم البلدان ٤/ ١٤٤ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي جـ٢ ص٦٣ والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥١ .

(٤) انطاكية : مدينة ساحلية هامة كانت قصبة الثغور الشامية ولها سور منيع له سبعة أبواب وبجانبها قلعة كبيرة وتبعد عن حلب مسيرة يوم وليلة « انظر : معجم البلدان ١/ ٢٦٦ ، ومراصد الاطلاع ١/ ١٢٤ » .

(٥) مَرْيُحَنَّا : هو القديس يوحنا ، أو النبي يحيىٰ عليه السلام المعمدان .

ولست أظن أن أُنَقَّى من درن الذنوب ومساوئ العيوب ؛ ثم أظهر البكاء والتخشع والشكوى . فلما عاين اكشفاط ما فعله وكشف قوله ، انطلى عليه كلامه ثم قال : أيها الملك إن كنت قد ندمت على قبيح فعلك ، ورجعت إلى الدين الصحيح بقلبك ، فأبشر بقبول التوبة ، وزوال الحوبة ، واعلم أن باب التوبة مفتوح ، وعَلَمُ القبول لأهل الندامة يلوح ، وقد قرب عيد الصليب ، وبيننا وبينه عشرون يوماً ، وهذا قرياقس الراهب بدير[1] السَكْرة بالقرب منا على فراسخ ، وهو معظَّم في دين النصرانية ، ومن علمه يتعلمون ، ومن فضله يستفيدون . وليس بعد اشعيا[2] وبَحيرا[3] سواه . فإذا كان ليلةِ غدٍ سرنا إليه ، ومعنا النذور والشمع والستور ، وقناديل الذهب والفضة ، نُذُرُ المُويرة فيغمسك في ماء المعمودية ، فتخرج منها نقيّاً من الذنوب كيوم ولدتك أُمك . فقال يوقنّا : ليس من مُهلة إلى عيد الصليب ، فإني لا أدري متى الموت ، ولعله ينزل بساحتي قريباً . فقال له اكْشِفَاط : اعلم أيها الملك أنَّ الراهب المعظم قرياقس ، ليس يحضر في ديره ، إلا في الأوقات المعظمة والأعياد المكرمة . فقال يوقنّا : وأين هو الآن ؟ قال : بقرب قرقيسياء[4] ، في الكنيسة المعظمة وهي بيعة[5] مارجرجس تحت كنف الملكة المكرمة أرمانوسة وبعلها شِهْرِباض . فلما سمع يوقنّا ذلك من كلام اكشفاط . قال : أريد المسير[6] إليه ، والقدوم عليه ، حتى أَنسَلِخَ من دين القوم وأعود إلى ديني ، وإلا فليست نفسي ساكنة . فقالت له ابنته : يا مولاي لست أدعك حتى أتملأ بك ، وبالنظر

---

(١) دير السكرة : هو دير السكورة القريب من قرقيسياء . « الديارات ص٢٤١ » .
(٢) أشعيا : أحد أنبياء بني اسرائيل .
(٣) بحيرا : هو الراهب بحيرا راهب مدينة بصرى الشام قبل الإسلام .
(٤) قرقيسياء : مدينة هامة بالجزيرة وبها قلعة حصينة وتقع عند ملتقى الخابور بالفرات « ابن الأثير الكامل ٤/ ٣١١ » .
(٥) بيعة مارجرجس : انظر ص٤٥ والأعلاق الخطيرة ٣/ ١٥١ » .
(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٣ .

إليك فقد رجعت لهفتي عليك . ثم وثبت وقبّلت الأرض بين يدي اكشفاط ، وقالت : يا سيدي أريد أن تأذن لأبي يسير معي إلى حصني . فقال اكشفاط : لست أسمح به الليلة لغيري ، وأما ليلة الغد فيكون عندك . فعلم يوقنّا أنه إن أكل من طعامه لا بد أن يكون فيه لحم خنزير ، فقال : أيها السيد أينما كنت كنت في نعمتك وخيرك وجودك . ثم تكلم الوزير شرخوب وقال لأكشفاط : اعلم أيها الملك أن الملك يوقنّا كثير الشوق إلى ابنته ، وله زمن ما رآها وما يخفى عليك ما يجد كل واحد منهما من الشوق إلى صاحبه ، والصواب أن يكون الليلة وغداً عندها ، وترجع النوبة إليك . فقال اكشفاط : لعمري هذا هو الرأي عندي . فعندها قام عبد الله يوقنّا وابنته ونزلا في السِّرب إلى القلعة الثانية ، وعَبَرَ أصحابهما في المعبر إليهما .

فلما جنَّ الليل ، قالت الجارية لأبيها : يا أبت كيف تركت العرب بعد صُحبتك لهم ونصحك إليهم . أرأيت أن القوم على الباطل أو أن دينك الأول أفضل منه فرجعت إليه ؟ فقال يوقنّا : والله يابنية ما أتيت إليك إلا من شفقتي عليك من وقت افترقنا في الدنيا ، وأخاف الفراق عنك في الآخرة ، وقد علمت قطعاً ويقيناً أنَّ هذين الحصنين لا ثبات لهما بين يدي العرب ، وأنتِ تعلمين[1] أن قلعتي كانت أمنع من كل قلعة في الشام ، وقد ملكتها العرب ، وأزاحوا ملوكنا من أرضهم وبلادهم . فاتقِ الله في نفسك واعملي في خلاص شخصك من يد الزبانية ، والجحيم الحامية ، والخلود في الهاوية ، وارجعي إلى الله من قريب ؛ فوالله يابنيه ما لله من دين أفضل من دين الإسلام ، وعليه كان المسيح والأنبياء عليهم السلام ؛ وإنما فرَّعَ للنصارى هذه الفروع وعَدَلَ بهم عن الحق المشروع ، رجل يقال له : بولص وكان عالماً من علماء اليهود فحيَّدهم عن الطريق ، وشرع لهم شرائع [ ][2] بما جاء به الخليل والكليم ؛

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٣ .
(٢) بياض في الأصل .

وهؤلاء العرب قد اتبعوا ما أمر الله به نبيَّه ﷺ ، باتباعه من القول الراجح ، والفعل الصالح ، لا جَرَمَ طلَّقُوا الدنيا ثلاثاً وطلبوا بعد الاجتماع شتاتاً ، وعلموا أن عظامهم ترجع رفاتاً ، ثم تَلَوْا ﴿ إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾ [النبأ : ١٧] . فارضي لنفسك ما رضي ابوك ، ولا تتبعي ما كان عليه أهلوك .

قالت : والله ما قلت شيئاً إلا وأنا عارفة به ، وقد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ففرح أبوها بإسلامها وقال : يا بنية ما الذي نصنع في أمر هذا الكافر اللعين ؟ فقالت : والله لقد قال وزيره شرخوب : إنه مضمر على قبضك ، وقد قال : إنك ما أتيت إلا لتنصب[1] عليه . قال لها يوقنّا : فإذا كان الأمر على ما ذكرتِ فاصنعي غداً سماطاً[2] وسيري إليه واستدعيه إليه هو وخاصته[3] ، وأنا آمر أصحابي يقبضون عليه إذا اشتغل بالطعام ؛ فإذا فعلنا ذلك . كانت قلعته في أيدينا وفي قبضتنا ، ونسلم ذلك لأصحاب نبينا . ولعله تحصل قرقيسياء في أيدينا وفي قبضتنا ، ولعل الله يفتحها على المسلمين . فقالت له ابنته هذا هو الرأي .

قال الواقدي : فلما ولَّى الليل بظلامه وأقبل النهار بضيائه ، أمرت غلمانها بصنع الطعام وتجهيز السماط وتقديم الأطعمة والحلاوات وغيرها . فلما صنع ذلك ووضعت الموائد عليها من كل حارٍ وباردٍ ، ثم نزلت في السِّرب وقصدت إلى القلعة الثانية ووقفت أمام اكشفاط وصفقت له ، فقام لها إعظاماً وقال لها : كيف حال الملك يوقنّا ؟ من أشغل سره بدينه . فقالت : أيها الملك إنه ما نام البارحة من تفكيره في القيامة وأهوال الجحيم ومآلها ، ولقد أراد اليوم المسير

---

(١) تنصب عليه : تحتال عليه .
(٢) السماط : الطعام يوضع على مائدة كبيرة .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٣ .

إلى مدينة قرقيسياء ، وأن يقصد الراهب المعظم قرياقس ، ولقد أخرته إلى أن يأكل السماط ويمضي إلى بيعة مارجرجس حتى يرجع إلى دينه . وقد أتيتُ إليك لتحضر بنفسك وخواص قومك لأكل طعامي ، وشرب مدامي . فأبى اكشفاط ذلك مما يجد من الألم على يوقنًا إذ لم يبت عنده حتى يقبض عليه ، فقال له وزيره شرخوب : أيها الصحب ليس هذا من الرأي ، وإن أنت امتنعت نفر قلبه منك ، وما يدريك أيها السيد أنه قد ندم على ما سلف وقد أقرَّ بذنبه ، وإنك إذا أكلت سماطه وسماط ابنته ، ودعوتهم أنت لسماطك فأنت إذاً تفعل ما تشاء وتريد[1] قال : وكان الكلام من شرخوب لأكشفاط سراً عن ابنة يوقنًا .

فقام الوزير عند ذلك على قدميه وقال : قد أجابك إلى ما سألتِ ، فَصَعقَتْ بين يديه . ثم قال للوزير : احفظ منصبي حتى أعود إليك ـ ولم يكن له ولد يرثه ـ ثم إنه أخذ معه خواص قومه وحُجَّابه وبني عمه ، ونزل في السرب ، والجارية أمامهم وخدمها وجواريها بالشمع المكُوْفَر[2] والمُعَنبر[3] .

ولما نزل في السَّرب . قال الوزير : إنه ما يعود .

قال : فلما حصل اكشفاط في قلعة زلابيا . وثب للقائه يوقنًا وأصحابه وقد وصاهم بما يصنعون . فلما التقت العين بالعين أقبل يوقنّا ليعانق اكشفاط ويضمه إلى صدره ، فلمّا ضمه إليه قبض عليه قبضة الأسد على فريسته وقبض أصحابه على من قدم معه ، وضربوا في الحال رقابهم ولم ينتطح فيها عنزان . قال : وليس عند أحد من الناس خبر ، ثم نزلوا من وقتهم في السرب وقصدوا زَبّاء ، فوجدوا الراهب شرخوب ينتظرهم ؛ فلما رآهم تبسم وأعلن بكلمة

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٤ الذي انفرد بهذه الرواية دون غيره من المؤرخين الذين سبقوه أو جاؤوا بعده .

(٢) الشمع المكوفر : هو الشمع المنقوع بالكافور .

(٣) الشمع المعنبر : هو الشمع المنقوع بالعنبر .

التوحيد ولم يتلعثم ، وقال : والله أنت هو يا عبد الله ، فلقد شرح الله صدرك للإيمان في سريرتك ، وأرضيت المطَّلع على حسن سيرتك ؛ فجزاه يوقنَّا خيراً وقعد على سرير اكشفاط ، وجعل يدعو بالرجال ويعرض عليهم الإسلام فمن أبى قتله ، ومن أسلم تركه . وضمَّن بعضهم إلى بعض حتى لا ينهزم أحد منهم إلى صاحب قرقيسياء . فيحدثهم بما صنع يوقنَّا .

قال : ثم بعد أيام أشرف عليهم عبد الله بن عتبان وسهيل[1] بن عدي في ألفي فارس فأراهم يوقنَّا[2] التمنع والأعراض وناصبهم القتال خمسة أيام ؛ وقد علم أن ذلك حيلة . ثم بعث إليهم في السر يعلمهم بما كان والقلعة في قبضته ، والليلة نسلمها لكم وأَنوي الهرب إلى مدينة قرقيسياء ، فلعل الله تعالى يفتحها عليكم ؛ فلما كان من الليل أمر شرخوب أن يسلم زَبّاء إليهم ثم رجع إلى القلعة الثانية ، والمسلمون قد أعلنوا بالتكبير والتهليل ، ووقع الصياح من كل جانب ، وأشهروا القواضب[3] .

قال الراوي : وفي ذلك اليوم وصل رسول صاحب قرقيسياء بالهدايا والتحف إلى يوقنَّا ويهنِّيه بالسلامة وبهرو به من العرب والرجوع إلى دينه . فقبل يوقنَّا الهدية وأنزل الرسول في خيام أصحابه من الجانب الشرقي . فلما كان من الليل ، ثار الصحابة في قلعة زبّاء وأروا يوقنّا الفزع والهلع . وقال : وحق ديني ما هؤلاء العرب إلا شياطين . ثم أخذ بعض أموال ابنته وهرب مع أصحابه وابنته في الليل يطلبون إلى قرقيسياء ؛ وفي ذلك قال طَريفُ بُن سَهم[4] أحدُ بني ربيعة بن مالك حيث يقول : [من البحر الطويل] .

---

(١) سهيل بن عدي : انظر : أسد الغابة ٢/ ٣٦٨ . والكامل لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٤ .
(٣) القواضب : السيوف .
(٤) طريف ابن سهم : لم أعثر على ترجمة له ، إلا ما ذكره الواقدي في فتوح الشام من أنه أحد بني ربيعة بن مالك « ٢/ ٦٤ » .

أَتينَا إلى أرضِ الفُراتِ وَتيهِهِ ... ونحنُ نرومُ الرُّومَ من كلِّ فَاجرِ[1]
وقد أَمَّنَا لَيثُ الحُروبِ وشَهمُها ... همامٌ شجاعٌ في الحروبِ مُبادرِ
فَذلكَ يُوقنَّا عليه تحيةٌ ... لقد ناصَبَ الأعداءَ حيلةَ غادرِ
وقاتلَ أبناءَ الصَّليبِ وحِزْبَهُم ... بحَدٍّ حسامٍ جيّدِ الحّدِ باترِ
وحامَ على الملعُونِ صاحبِ قلعةٍ ... فَأَرداهُ في الحالِ سُكنى المقابرِ
وملَّكنَا للقَلْعَتينِ[2] كِلاهُما ... بِسَعْدٍ وإقْبالٍ ونُصْرَةِ ناصرِ
سَيُلْقَى غَداةَ الحَشرِ يومَ مَعَادِهِ ... بِروحٍ ورَيْحانٍ وحُورٍ قَواصِرِ[3]

قال سيف بن عمر التميمي : حدثنا الأسدي عن المهلب قال : أخبرنا طلحة عن محمد بن أبي الدُقيلي بن مَيْسُور قال : لما كان من أمر يوقنَّا واكشفاط ما ذكرناه ، فَأرى الهزيمة من نفسه وسار مع ابنته وأصحابه يرومون قرقيسياء ومعه الرسول الذي جاء بالهدية من شِهرَباط صاحب قرقيسياء ، ولم يزالوا في الهزيمة إلى أن أتوها مساءً ودخلوا على شهرباط وأعلموه بأخذ القلعتين ، وكيف غدرتهم العرب .

قال الواقدي : فأيقن بهلاكه وأَخذِ بلده . فقال له يوقنَّا : أيها السيد لا تخف فنحن نقاتل بين يديك حتى نقتل دونك ، وإن نزلوا عليك يريدون حصارك أو ريتك العجب في قتالهم ، وأَنْصُبُ لك على أبطالهم ولن يصلوا إليك بسوء . قال : فوثق بقوله وخلع عليه وطيَّب قلبه وأنزله في دارٍ بإزاء دارِ مملكته ، وبعث شِهْرياض من ليلته تلك رسولاً إلى خاله وهو يومئذٍ ملك أرض[4] ربيعة إلى رأس العين يستنصره على العرب ويعلمه بأخذ العرب زبّاء

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٤ .
(٢) القلعتين : هما قلعتا زبا وزلابيا .
(٣) قواصر : أي قاصرات الطرف .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٥ ، والخراج لأبي يوسف ص٤٠ .

وزلابيا[١] . وأن الرجل المعظم يوقنًا قد هرب منهم بعد خدمته لهم ، فسار الرسول في البرية إلى دير مَرْيَعْ[٢]، وقصد المَجْدَل[٣] ، ونجم منه إلى رأس العين فوجد الملك شهرياض قد حصَّنها بأعظم تحصين ، وأعدَّ أهلُها آلة الحصار ، وزاد في عرض الخندق ونصب خيامه وسرادقه غرباً منها على طريق الثُقب[٤] ، وهو مَعَوِّلُ على لقاء عياض بن غنم ، وقد جمع إليه عرب الجزيرة كُلَّهُم من بني تغَلب[٥] وغيرهَم ، وإياد[٦] الشَّمطا واستدعى بساداتهم . وهم : نوفل بن مازن ، والفريد بن عاصم ، والأشجع بين وائل وميسرة بن عاصم وحزام بن عبد الله وقارب بن الأصم ، وقال : يا قبائل العرب لم نزل نرعى كبيركم وصغيركم وعبيدكم ، وقد أَبَحْنَاكُم[٧] أرضنا ترعُون في حَزْنها وسَهْلها ، ونرضى منكم بما تُؤَدُّون إلينا من أتاواتكم ، وأنتم واحد منَّا ، وهؤلاء بنو عمِّكم قد ملكوا الشام ومعاقله ولم يَقْنَعهُم ذلك حتى أَتَوْا إلينا ، يريدون أن يزاحمونا على ملكنا أو يخرجونا من أرضنا ، وقد علمتم أن القوم إن ظفروا بكم ما يُبقوكم ، ولن يرضَوا منكم إلا أن تدخلوا في دينهم ، فإن

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٥ .

(٢) دير مريع : لم أعثر في كتاب الديارات على هذا الدير ، كما ورد اسمه في الأصل . ولعله دير مريبا الواقع في برية حران « انظر اللؤلؤ المنثور ص٥١٤ » .

(٣) المجدل : قرية سورية من قرى نهر الخابور وعلى التل المجاور لها بقايا آثار لقصور وأسواق « معجم البلدان ٥/ ٥٦ » .

(٤) الثُقب : موضع يقع غرب رأس العين .

(٥) تَغْلبْ : قبيلة عربية تنسب إلى جد قديم يدعى « تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » وموطنها الأصلي نجدو الحجاز ثم هاجروا إلى ديار ربيعة بالجزيرة / اللباب ٢١٨/١ .

(٦) إياد الشمطا : وهي قبيلة إياد بن نزار ، بطن عظيم من العدنانية منازلهم بالجزيرة . ولما فتح المسلمون الجزيرة دخلوا بلاد الروم ، فطلب الخليفة عمر من ملك الروم أن يعيدهم ففعل . معجم قبائل العرب ١/ ٥٢ و٥٤/ .

(٧) أبحناكم : أي سمحنا لكم باستباحة ارضنا مرعى ومنزلاً لكم ولمواشيكم .

رأيتم أن تقاتلوا عن دينكم وأهليكم ومالكم ، فنحن نكون يداً واحدة ، ولا نتفضَّل عنكم بشيء ، كما كان جبلة[1] بن الأيهم ، وآلُ غسّان[2] مع الملك هرقل ؛ فإن نحن نُصِرْنا على القوم ، فالأرض لنا ولكم على السَّواء ، وإن كانت الأخرى أبْلَينا بلاءً حسناً ونموت[3] على دين واحد ، ويبقى ذكرنا إلى الأبد ما قام قائم وقعد . قال : فأجابوه إلى ذلك وتحالفوا أن يموتوا على سيف واحد . فأعطاهم الأموال والعدد والسلاح وساروا معه .

قال الواقدي رحمه الله : وإن رسول صاحب قرقيسياء لمَّا قدم عليه ووقف بين يديه ، ناوله الكتاب فلما قرأه وفهم معناه وأنه يطلب منه النجدة ، أنفذ إليه يُوريك الأرمني وهو الذي بنى تل المؤزر[4] واللَّيتَني[5] ، وتل عرب[6] وعابدين[7] ، والسّن[8] والسويدا[9] ، أنفذه مع أربعة آلاف فارس فلما قدم

---

(١) جبلة بن الأيهم : هو آخر ملوك الغساسنة بالشام عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام وغادرها مع الروم إلى القسطنطينية .

(٢) آل غسان : وهم الغساسنة سكان جنوب الشام وحوران وينتسبون إلى مازن بن الأزد وسموا غسان نسبة إلى ماء غسان / معجم البلدان ٤/ ٢٠٤/ .

(٣) انظر : خبر تحالف شهرياط مع ربيعة وإياد في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٥ وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١/ ٩٨/ .

(٤) تل المؤزر : قلعة هامة وحصينة في كورة الموزر قرب نصيبين وهي بين ديار مضر وديار بكر على بعد يوم واحد من مدينة حران / معجم البلدان ٥/ ٢٢١/ .

(٥) الليتني : إحدى الحصون القريبة من نصيبين / فتوح الشام ٢/ ٦٥ .

(٦) تل عرب : إحدى الحصون القريبة من نصيبين / نفسه .

(٧) عابدين : بلدة من أعمال نصيبين في تركية حالياً وهي قصبة كورة واسعة وسكانها آراميون أصلاً وهم يعاقبة المذهب . وتقع في سفح جبل متصل بجبل الجودي . / معجم البلدان ٤/ ٤٨ وبلدان الخلافة ١٢٤/ .

(٨) السن : هي قلعة السن في الجزيرة قرب سميساط وتعرض وتعرف بسن ابن عطير وهو رجل من بني نمير معجم البلدان ٣/ ٢٦٩/ .

(٩) السويدا : بلدة مشهورة بديار مصر قرب حران / معجم البلدان ٣/ ٢٨٦/ . ووردت السويمدا وهو خطأ .

يوريك الأرمني بمن معه إلى قرقيسا ، فقطعوا جسرهُم الذي على الخابور[(١)] وكان للجسر أعمدة من الحديد وعليها السلاسل ، وعلى السلاسل رماح وذلك أيضاً من ناحية الفرات ، وحفروا حول مدينتهم خندقاً عميقاً عريضاً وحصَّنوا على أنفسهم غاية التحصين ، وأقاموا ينتظرون عسكر أصحاب رسول الله ﷺ[(٢)] .

٣ ـ فتح قرقيسياء في سنة ١٧ هـ

قال الواقدي : ولما ملك عبد الله بن عتبان القلعة الغربية حين سلمها إليهم الوزير شرخوب عن أمر يوقنّا ، وأن الراهب شرخوب دلَّهم على السرب إلى القلعة الثانية ، فملكوها واحتووا على ما كان في قلعة زبّاء من مال اكشفاط وخزائنه وعدده وسلاحه ، وكتب الكلَّ إلى عياض بن غنم ، وكتبوا له في السر بما صنع عبد الله يوقنّا ؛ فشكره ودعا له ، وأنفذ إلى عبد الله بن عَتْبان ، وإلى سهلٍ : « أن احتفظوا بما في القلعة الثانية ولا يؤخذ منها[(٣)] درهم واحد حتى يتسلمه يوقنّا وابنته ، واتركا على القلعتين من تثقان به من خيار المسلمين واطلبا قرقيسا ، وانزلا عليها والسلام » . فلما وصل الكتاب من عند عياض بن غنم إلى عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي ، فعلا ما أمر به عياض بن غنم[(٤)] ، ووليّا على القلعة الغربية الأَحْوَصَ بن عامر المزني[(٥)] في مائة فارس ، وعلى

---

(١) نهر الخابور أحد روافد الفرات وينبع من كورة رأس العين ويصب في نهر الفرات بأرض الجزيرة قرب الميادين / مراصد الاطلاع ١/ ٤٤٤/ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٥ ، والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٢ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٥ ، والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٢ . وانظر فتح قرقيسياء في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/٦٥ ، وانظر قرقيساء في كتاب معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٨/ .

(٥) الأخوص بن عامر المزني : نفسه .

القلعة الثانية الشرقية زياد[1] بن الأسْوَدِ البربوعي في مائة فارس ، ثم مضى عبد الله وسهل إلى قرقيسا ، فحال بينهم وبينها الفرات ودلَّهم بعض سكان تلك الأرض على مخاص يعرفونه ، فعبروا منه بالليل وصاروا إلى أرض واحدة مع عبد الله ، وبعثوا إلي : ماجن[2] والمَحَولة[3] والبديل[4] والصَّور[5] ، وضمُّوا أهلها وبعثوا لهم الأمان في منازلهم ، وقالوا : إن كانت لنا فقد أحسنَّا معكم الصُّنع ، وإن كانت علينا وانصرفنا عنكم ، شكرتمونا على عدلنا فيكم . فأجاب القوم إلى ذلك .

قال : حدثني هلال بن عاصم عن يحيى بن جبير عن سوار بن زيدٍ الأسْلَمي . قال : لما بعث عبد الله بن عتبان وطيَّب قلوب من ذكرنا من أهل القُرى ، ووطَّنهم في مواطنهم بعث بعد أيام برجل من أهل الدين والصلاح والعفة واليقين ، اسمه : سهل[6] بنُ اسَاف اليمني ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل الحرب وأنفذ معه مائة فارس من المسلمين ليأتوا بالعلوفة من نحو ، [مَا سِكِن[7] وعَرابان[8]] . وسار سهلٌ رحمه الله ، فلما

---

(١) زياد بن الأسود اليربوعي : نفسه .
(٢) ماجن : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي من الفرات ، الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨ .
(٣) المحوله : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي ، الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨ .
(٤) البديل : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي ، الفتح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨ .
(٥) الصَّور : بلدة وقلعة شمالي شرقي ماردين على بعد يوم منها / اللؤلؤ المنثور ٥١٧/ وبجانبها مرج واسع وكورة هامة / الأعلاق الخطيرة ٥١٧/ .
(٦) سهل بن اساف اليمني : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) ماسكن : وهي بلدة ماكسين وتقع إلى الجنوب من عرابان في منتصب الطريق بينها وبين قرقيسياء وهي من قرى الخابور من ديار ربيعة انظر : / معجم البلدان ٥/ ٤٣/ .
(٨) عرابان : بلدة بالخابور من أرض الجزيرة في ديار ربيعة وتقع على تل مرتفع وبها قلعة=

كان بالقرب من (السَّمانيَة)[١] شَنَّ الغارة عليها واستاق أموالها ونَعَمَها[٢] .

فخرج عليه نَوفلُ بن مازن الإيادي ، وهو أحد إيادى الشمطا[٣] في خمس مائة فارس من إياد ، فاستخلصوا الغنيمة وحملوا عليهم ، فقال سهلُ بن اساف لأصحابه : اعلموا أن العدو كثير وجمٌ غفير ، وليس يُنجيكم إلا صدق العزيمة ، فاحملوا ولا تُمهلوا ، ورماحكم في صدورهم فاطعنوا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وعجِّلوا . قال : فحمل القوم يَقْدُمُهُم التوفيق وقد اتَّضح لهم الطريق ، ونشروا رايات التحقيق ، وتزاحموا في كل فج عميق ، قد طَلَّقوا الدنيا وفيها زهدوا ، ومن الميل إلى زَخرفها أبعدوا ، كأنهم لإهلال القيامة قد شهدوا ، قد استبشرت نفوسهم ، وهداهم قُدُّوسُهم ، وأشرقت من أبراج الصدور شموسُهم ، وأقبلوا يطلبون التوصل إلى أبواب الشهادة ، حتى يحصل لهم مقام السعادة . وإذا قد نُودوا من نور الصُّدور : ابشروا برضى الملك الغفور ، لأنَّا قد انتقدنا سرائركم على محكّ الانتقاد . فوجدناها سالمة من بهرج فساد الاعتقاد ، وسمعنا منادياً لطيفاً يقول : ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر : ٤٤] فسيروا للقوم في بيداء الطلب ، فلعلكم تحصلون على المقصود والأرب ، وأكثروا من الزاد لتصلوا إلى المراد . فقالوا : وما الزاد الذي نكثر منه ولا نحيد عنه ، فجاءهم الجواب ﴿ ممن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ﴿ تزوَّدُوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة ١٩٧] فعندها حملوا بأسرارٍ صافية ، ونيات وافيه ، وهممٍ سامية ، وأفعال نامية ، وقلوب تزهو بالإيمان ، وألسنتهم تنطق بذكر الرحمن[٤] ، ولم يزالوا في قتال ، وحرب ونزال ، إلى أن

= لها سور منيع / بلدان الخلافة ١٢٧ ومعجم البلدان ٤/ ٩٦ .

(١) السَّمانية : وهي بلدة الشمسانية على نهر الخابور . / مراصد الاطلاع ٢/ ٨١٠/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ ، والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨/ .
وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١/ ٩٨ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .

فُقِدَ من المسلمين ثلاثون رجلاً ، وأُسر ثلاثة وعشرون رجلاً من جملتهم أميرهم سهل بن اساف ، وانهزم الباقون إلى عسكر عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي ، وحدَّثُوا أصحابهم بما كان من المتنصرة ومنهم ، فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا : اكتموا الأمر حتى لا يشمت بنا أعداء الله .

قال : حدثني نوفل بن عامر عن سالف بن عاصف قال : حدثني جدي سالم بن عبد الله الدوسي قال : كنت مع سهل بن اساف حين أغار على السَّمانية ، وخرج علينا الإيادي نوفل بن مازن . قال : والله لقد قاتلنا قتالًا ، ما شوهد مثله ، حتى إذا كان من أمر الهزيمة ما كان قال سالم بن عبد الله : وكان من جملة من قُتل تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ[1] ، مِمَّن شهد معه المواطن المشهورة ، وهم : زاهر[2] بن قادح ، وماجد[3] بن بشر ، وجابر[4] بن ياسر ، وحبيب[5] بن قارب . وسعد[6] بن جامع ، وأوس[7] بن عبَّاد ، والشريد بن ساعد[8] ، ومَعْمَر بن[9] السَّليط وأُميةُ بن[10] بشر ، والباقون من قبائل مختلفة . وأما الذين أُسِرُوا فهم : عَطَّاف بن[11] نعيم ، والمسيّب[12] بن

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .
(٢) زاهر بن قادح : لم أعثر له على ترجمة .
(٣) ماجد بن بشير : لم أعثر له على ترجمة .
(٤) جابر بن ياسر / الاصابة ١/ ٢١٦/ .
(٥) حبيب بن قارب الثقفي / الاصابة ٣/ ٢٧٦/ .
(٦) سعد بن جامع : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) أوس بن عباد : لم أعثر له على ترجمة .
(٨) الشريد بن ساعد : لم أعثر له على ترجمة .
(٩) معمر بن السليط / لم أعثر له على ترجمة .
(١٠) أُمية بن بشر : لم أعثر له على ترجمة .
(١١) عطاف بن نعيم : انظر : الاصابة ٢/ ٤٨٣ .
(١٢) المسيب بن خالد : لم أعثر له على ترجمة .

خالد ، والحُصَين[١] بن وائل ، وبكّار بن عويمر[٢] ، وفُرَيحُ بن مُقبلَه[٣] ، وصاعد[٤] بن عيَّاش ، ونوفل بن[٥] خزعل ، وضرار[٦] بن راشد ، ومياس بن عامر[٧] ، وتَلب بن قيس[٨] ، والأزور بن[٩] رِيَاش ، وقاطر[١٠] بن خويلد ، وجرَّاح بن[١١] وائله ، وحمّاد بن[١٢] عاصم ، وطَاعنُ بن عمرو[١٣] ، وسنانَ بن غَاصب[١٤] ، وجَلْدَحَةَ بن عَوف[١٥] الدَّارمي ، وأسَدُ بن[١٦] حَامد ، ومَحْكَمْ بن قَادح[١٧] ، وصَارمَ بن أُوَيْس[١٨] ، وقُدامةُ بن حَنْظَلة[١٩] ، وفُديْعُ بن ماجد[٢٠] .

---

(١) الحصين بن وائل : انظر أسد الغابة ٢/ ٢٨/ .
(٢) بكار بن عويمر : لم أعثر له على ترجمة .
(٣) فريح بن مقبلة / انظر الاكمال ٧/ ٥٥ .
(٤) صاعد بن عياش : لم أعثر له على ترجمة .
(٥) نوفل بن خزعل : لم أعثر له على ترجمة .
(٦) ضرار ابن راشد : لعله أبا الأزور الذي كان في جيش أبي عبيدة بالشام / الاصابة ٤/ ٢/ .
(٧) مياس ابن عامر / الاكمال ٧/ ٢٧/ .
(٨) تلب بن قيس / انظر أسد الغابة ٤/ ٢١٨/ .
(٩) الأزور بن رياش : لم أعثر له على ترجمة .
(١٠) قاطر بن خويلد : لم أعثر له على ترجمة .
(١١) جراح بن وائلة : لم أعثر له على ترجمة .
(١٢) حماد بن عاصم : لم أعثر له على ترجمة .
(١٣) طاعن بن عمرو : لم أعثر له على ترجمة .
(١٤) سنان بن غاصب : انظر أسد الغابة ٢/ ٣٦٥/ .
(١٥) جلدحة بن عوف الدارمي : لم أعثر له على ترجمة .
(١٦) أسد بن حامد : لم أعثر له على ترجمة .
(١٧) محكم بن قادح : لم أعثر له على ترجمة .
(١٨) صارم بن أويس : لم أعثر له على ترجمة .
(١٩) قدامة بن حنظلة : هو قسامة بن حنظلة الطائي وجاء اسمه مصحفاً / الاصابة ٣/ ٢٣٥/ .
(٢٠) فديع بن ماجد : لم أعثر له على ترجمة .

وهؤلاء الذين ذكرنا من أصحاب رسول الله ﷺ ممن قاتل معه في الحديبية[١] والعقبة[٢] وبني النَّضير[٣] ، وممن حَجَّ معه حَجَّة الوداع .

قال الراوي رحمه الله : فلما أسرهم نوفل شدَّهم في الحبال وأَقرنَ بَعضَهم إلى بعضٍ ورَجَّلَهم عن خيولهم وسار بهم يطلب رأس عين ، فأُخْبِرَ أن الملك شهرياض على مَرج الطَّير[٤] من جانب الثُّقَبَّ ، فقصد إليه ومعه أربعون من بني عمه ، وقد تكفلوا بسوق أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن أوقفوهم بين يدي الملك ، فسألهم فحدَّثُوه بأمرهم وأنَّهم أغاروا على السّمانية[٥] ، فنصرنا المسيح عليهم ، فقتلنا ثلاثين رجلاً وأسرنا هؤلاء الثلاثة وعشرين رجلاً ، فلما سمع ذلك نوفل بن مازن أمر بضرب رقابهم فكان آخِرُ من قدم منهم أميرهم سهل بن اساف رحمه الله . وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلما قدم لضرب العُنق سال فيه بعض البطارقة[٦] . قال الواقدي رحمه الله : أخبرني من أثق به أن البطريق كان توتا بنَ لُورَك[٧] ، فلما سأل فيه وهبه له ودخل إلى قصره ، فلما نظرتْ إليه ابنته سألت عنه ، فقال : يا بنية إنَّ المسيح طرق محبة هذا الفتى بقلبي ، فسألتُ الملك فيه فوهبني إياه . ثم قال : خذيه إليك ؟ قال :

---

(١) الحديبية : قرية تبعد عن مكة مرحلة وفيها مسجد الشجرة التي اعتمر عندها النبي ﷺ عمرة الحديبية ووادع أهل مكة لمضي خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة / معجم البلدان ٢/ ٢٣٠/ .

(٢) العقبة : هي عقبة بين منى ومكة وتبعد عن مكة مقدار ميلين . وفيها بويع النبي ﷺ من أهل المدينة بيعة العقبة الأولى والثانية . وفيها يرمي الحجيج حمرة العقبة / معجم البلدان ٤/ ١٣٤/ .

(٣) بنو النضير : جماعة من اليهود سكنوا حصناً قرب المدينة فتحه النبي ﷺ / اللباب في تهذيب الأنساب / ٣/ ٣١٤/ .

(٤) مرج الطير : سهل واسع بجانب عين وردة .

(٥) السمانية : نص تعريفها .

(٦) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .

(٧) هو صاحب حصن كفرتوثا / نفسه/ .

فأخذته الجارية وألقته في بستان لها . فلما كان في بعض الأيام دخلت إليه وإذا سهلُ بن إساف يقول : محمد رسول الله ﷺ[1] . ثم قرأ : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدَّاءُ على الكفار رُحَماء بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سِيْمَاهُم في وجوههم من أثر السجود ﴾[2] قال : فلما سمعت الجارية قراءته حَنَّت إليه . وقالت له : ما أفصح هذا الكلام وأبينه للأَفْهَام . فقال لها : هذا كلام الملك العلاَّم ، الذي أنزله على سيد الأنام . فقالت له الجارية : أمَّا محمد فهو نبيكم لا محالة فيه ، فمن هؤلاء الذين قال فيهم ﴿ والذين معه ﴾ . قال : صاحبه ووزيره أبو بكر الصديق ، ﴿ أشداء على الكفار ﴾ ، هو صاحب الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن الخطاب ﴿ رحماءُ بينهم ﴾ هو كاتبه وصهره عثمان بن عفان . ﴿ تراهم ركعاً سُجَّداً ﴾ هو أخوه وابن عمه وصاحب سيفه عليُّ بن أبي طالب .

قالت الجارية : وكان اسمها (ابريني) وكانت تكتب بقلم التوراة والانجيل ، وتتكلم بكلام العرب ، وكثيراً ما كانت تسأل الرهبان عن رسول الله ﷺ ، فلا يعطونها جواباً ، حتى وقع بيدها سهل بن اساف رضي الله عنه ، فقالت : من هؤلاء الذين ذكرت ؟ قال : هم الذين قالوا فصدقوا ، وعاملوا فحققوا ، وركبوا نُجُبَ سوابق الليل فَوُفِّقوا ، وساروا في بادية الطَّلب ولم يرفُقُوا ، وكلَّما لاح لهم علم الأفاضل تشوَّقوا ، ونُودوا في سرائرهم[3] ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، هم أسد ابراهيم أيضاً حيث يقول فيهم رضي الله عنهم : [البحر الطويل] .

رجالٌ من الأحباب تاهتْ نفوسهُم ينادونه خوفاً ويدعونه قصدا[4]

---

(١) فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .
(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .
(٣) انظر الخبر في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .
(٤) انظر الأبيات : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٦ .

وقـامـوا بليـل والظَّـلام مُغَلِّـسٌ إلى منزلِ الأحباب فاستعملوا الكَدَّا
يَحُثُّونَ حثَّ الشَّوق نحو مليكهم وقَصدهُمُ الفِردَوس كيَ يُرزقوا الخُلْدا
أولئـك قـومٌ فـي العبـادة أخلصُـوا فهامُوا له شوقاً وتاهُوا به وجداً

فقالت الجارية : لقد سمعت ميشا صاحب دير[1] مَتَّا يقول : إن الله ينشر دعوة نبيكم في المشرق والمغرب ، وتملك أمته المشرق والمغرب ، وإنهم يفضلونه على الآباء والأمهات والإخوة والأخوات ، وأنَّهم بعد موته يُشيرون إليه ويكثرون من الصلاة عليه . فقال لها سهل بن اساف : أما علمت أنه كان في حياته يدعو لهم ويستغفر لهم ، ولمن دخل في دينه وآمن به ، ولقد قالت زوجته عائشة رضي الله عنها : كانت ليلتي من رسول الله ﷺ ، فلما مضى ثلث الليل الأول والفَلَكُ يدور ، وبالنجوم قد تكلل ، والسماء تزهو بالكواكب ، والمردة تحترق بالشهب الثواقب ، وسرادق الليل قد مَدَّ جناحه ، وأحال الظلام باد لهامُه وأقداحه ، والاعتكارُ ينظر صاحبه ؛ فبينما أنا في وادي السَّكن ساكنة ، والنوم قد استوطن مساكنه ، وإلى جانبي أفضلُ مرسل ، وأكرم من ابتهل وتوسَّل ، وأنا إلى جانبه وجنبي غيرُ مُجانِبه له ، وإذا هو يوقظني وبكلامه الشريف يعظني ، ويقول[2] « يا ايتها المكتحلة بكُحل الوَسَنَات ، الغافلةُ عن موارد الهِبَات ؛ هُبِّي من منامك ، واعملي ليوم حِمامِك ، قد قام أولوا الألباب ، ومرَّغوا خدودهم تضرعاً على الأعتاب في التراب » قالت : فامتطيت مطيَّة الخدمة وقمت أنا وإيَّاهم نشفعُ في الأمة ، إلى أن برق بارقُ الصَّباح . فقال : « هَلمِّي[3] للصلاة والاستغفار وطلب رضى العزيز الغفَّار » . قالت : فوافقته فيما أراد وتهيأ القصد والمراد فلما سكت عن تسبيحه وفاح أرجُ ريحه ، رأيته يتنفس بحرقة ويقرع بسبابته جوهرة سنه . فقلت له : يا سيد الوجود ،

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .
(٢) انظر الحديث في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .
(٣) انظر : الحديث في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .

وأطيب الآباء والجدود ، إن العرب لا تقرع سنّها إلا لأمر مهم ، أو شأن مُلمّ . فقال « يا حميراء[1] تذكَّرت حال العصاة من أمتي والمخلصين في محبتي ، وذكرت قول الله تعالى » : ﴿ لأملأنَّ جهنَّم من الجنة والناس أجمعين[2] ﴾ ثم بكى ﷺ . فقلت : يا رسول أما أنزل عليك قوله ﴿ ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[3] يعني ما تقدم من ذنب أبيك ، وما تأخر من ذنوب أمتك ؛ والله ليقرّن عينيك ربك فترضى ؛ أنت الذي طابت مواطن هممك وأسرارك ، وربُطَت بُراق القرب على عتبةِ دارك ، وكنت أرفقُ من الوالدة على ولدها بجارك ، أنت الذي اخترقت معالم معاني الملكوت ، وحُمِلتَ محفوفاً إلى بساط القرب والجبروت ، وحُمِلتْ لك غاشية القدر ، وكانت في العالم كَلَيْلَةِ القَدْر ، أنت صاحب الغيرة على الحُرَم وسيِّدُ البطحاء والحَرَم ، أنت الذي لانت لك الأحجار ، وسلَّمت عليك الأشجار ، وانشقَّ لك القمر قبل ليلة الابدار ، وأنزل عليك : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴾[4] وأنت صاحب عرفات[5] ومِنَى[6] ، والمخصوص بالشكر والثناء ، والواقف في ساحة ﴿ قاب قوسين أو أدنى ﴾ [النجم : ٩] وسوف يُبلغك في أمتك المُنَى ، أما وعدك رب العزة المقام المحمود ، واللواء المعقود والحوض المورود ؟ وسوف ترى رواق السَّعدِ على أمتك ممدود ، وسحاب التوفيق عليهم

---

(١) انظر : الحديث في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .
(٢) سورة السجدة الآية ١٣ .
(٣) سورة الفتح الآية ٢ .
(٤) سورة التوبة الآية ٧٣ .
(٥) عرفات : أو عرفة قرب مكة وحدها من الجبل المشرف على بطن عرفة وحتى جبال عرفة إلى قصر آل مالك . وقرية عرفة عند موصل النخل بعد ذلك بميلين وبها دور لأهل مكة / معجم البلدان ٤/ ١٠٤ .
(٦) منى : بلدة تبعد عن مكة فرسخاً ، وتعمر بموسم الحج ويقع بها النحر من الحجاج معجم البلدان ٥/ ١٩٨ .

محدود ، ولواء شفاعتك بجواهر قبولك منضود ، وعليه مرقوم : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] فكيف تخاف على أمتك بنزول البأس ، وقد فُضِّلُوا على سائر الأجناس بقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[١] يا سيدي أنت تعلم أن الله تعالى قَبِلَ توبة آدم حين استشفع بك إليه ، وكان سفط جوهرتك ، وصدفة دُرّتك ، ونوحٌ مع علو رتبته وعظيم منزلته بك أنجاه من الغرق ، وأَمَّنَهُ من الوجل والغَرَق ، وابراهيم مع علو قدره واستنارة بدره بك أنجاه من النار ، وجعله إمام الأبرار ، وموسى مع تقريبه ومكالمته بك سأل حتى شرح صدره ويسَّر أمره ، ولقد صان ماء وجهك عن الابتذال ، وبذلك لك جميع ما أردت من غير سؤال ، فموسى قال : ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر[٢] لي أمري ﴾ وقال لك : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾[٣] وقال لموسى : ﴿ لن تراني ﴾[٤] وقال لك : ﴿ ألم تر إلى ربك ﴾[٥] قال : وإنما ذكر سهل بن ساف للجارية ، هذه المناقب لعلَّها ترجع إلى دين الإسلام[٦] .

قال : فلما سَمِعَتْ قوله قالت : ما جزاء من يرجع إلى دينه ويقول بقوله ؟ قال : يخرج من ذنوبه ويمحى عنه سائر عيوبه ، ويكون جزاؤه الرضوان والخلود في الجنان . ثم قرأ ﴿ ومن يعمل سُوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾[٧] قال : فلما سمعت الجارية ما تكلم به سهْل بن اساف وقع الكلام بقلبها ، وأصغت إليه بجامع لُبِّها وقالت : أنا أشهد أن لا إله

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٢) سورة طه الآية ٢٥ .
(٣) سورة الشرح الآية ١ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .
(٥) سورة الفرقان الآية ٤٥ .
(٦) انظر أقوال عائشة في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .
(٧) سورة النساء ، الآية ١١٠ .

إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : ففرح بإسلامها . فقالت له : اكتم أمرك إلى الليل وأسيرُ معك إلى عسكر الإسلام[1] .

قال : حدثني صاعدُ بن عوف قال : هكذا سمعت أبي يحدِّثُ بالمدينة ، وقد أُتي عمر بن الخطاب بخزائن رأس عين وأموال الملك شهرياض .

قال : وإن الجارية مضت واستدعت بجوادين من خيول أبيها وَلأْمَتين[2] وزاداً ، وأخذت من مال أبيها ألف دينار . فلما جنَّ عليها الليل أتت إلى باب السِّر وفتحته وتجسَّسَتْ ، وإذا كلُّ من في قصر أبيها نيام . فأتت إلى سهل وحلَّته من قيوده ، وقالت : قُم على اسم الله وبركة نبيّه محمد ﷺ ، فقام سهلِ بن اساف رحمه الله إلى باب السِّر ، فأعطته لأْمةَ حربه ولبست هي أيضاً لأْمة حربها ، وركبا كلاهما وسارا عن كفرتوثا[3] مقدار نصف الليل ، وإذا قد سمعا وراءهما قعقعة اللُّجم وصرير الحُزُم[4] فقالت الجارية : يا عبد الله قف حتى أعود إليك . فانْظُرَ من القادمون ، فإن كانوا من الروم خاطبتهم بلغتهم وصرفتهم عنا ، وإن كانوا من متنصرة العرب فأنت أولى بهم . ثم أسرعت على جوادها وعادت عن قريب ، وقالت : يا عبد الله إني أشرفت على القوم فرأيتهم على خيول شهب عليهم ثياب خضر . فلما سمع سهل بن اساف كلامها أسرع نحو القوم إلى أن أشرف عليهم ، فإذا هم اثنان وعشرون فارساً فحقَّقَهُم سهل ، فإذا هم أصحابه الذين قتلوا بين يدي ملك الروم[5] .

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .

(٢) لأمتين : لباس المحارب وعتاده .

(٣) كفرتوثا : قرية من أعمال الجزيرة تحيط بها كورة واسعة بينها وبين دارا خمسة فراسخ وهي في وسط المسافة بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٤/ ٦٤٨ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٧ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ .

قال : فدنا منهم وسلم عليهم وقال : سبحان الله ألم أشهد قتلكم بين يدي شهرياض صاحب رأس عين ؟ فقالوا : نعم ، أو ما علمت أنّا أحياءٌ لا نموت ؟ وإنما هي نُقْلَةٌ من دارٍ إلى دار ، وإن أرواح الشهداء يجعلها الله في حواصل طيور من طيور الجنة ورياضها يأكلون من ثمرها ؛ يا سَهلُ اقرأ : ﴿ ولا تحسبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[1] وإن الله تعالى بَرَّ قلوب الشهداء وأرواحهم هذه الليلة ليزوروا قبر المصطفى . وكانت ليلة النصف من شعبان سنة سبع عشرة من الهجرة .

فقال لهم سَهلُ بن اساف : إني أريد المسير معكم وفي صحبتكم . قالوا : إنك لا تقدر على ذلك وقد بقي من عمرك أحدٌ وأربعون يوماً ، وتلحق بنا إن شاء الله تعالى ؛ وأما هذه الجارية ، فإن الله تعالى قد أعدَّ لها في الجنة ما أعدَّ لأوليائه ، وقد بنى لها قصراً من الجوهر على أعمدة من الياقوت الأحمر ، على شاطىء نهر الكوثر[2] . مستور بستوره المعلقة ، وكلَّله بالأنوار المؤنَّقة وقبابه المزوقة ، وأرائكه مُؤَلَّفة ، وتيجانه مرصعة ، وأسرَّته مرتفعة ، وفرشه موضوعه ، وأباريقه مصفوفه ، وأكلَّتُه بالزبرجد مُجزَّعة ، وحُلَلُه بالحمد منسوجه ، وخيوله بحسن الوفاء مسروجة ، على أبوابه مكتوب بقلم السِّر المكنون . ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون جزاء بما كنتم تعملون ﴾[3] . قال : فلما سمعت الجارية ذلك من قولهم قالت : بمَ استوجبتُ ذلك النعيم ؟ قالوا : بتوحيدك الربَّ العظيم وتصديقك النبي الكريم . قال : فصاحت صيحة ، فإذا هي ميته رحمة الله عليها .

قال : فدفنها سهل بن اساف وغاب الشهداء عنه ، وأنه سار إلى عسكر

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ . والكوثر : من أنهار الجنة .
(٣) سورة الأعراف الآية ٤٩ .

عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي وحدَّثهم بأمره ، فازاداوا ايماناً وعاش سهل تمام الأربعين يوماً ومات رضي الله عنه .

قال : حدثنا صفوان بن عامر عن خويلد عن عبد الرحمن بن النعمان بن ياسر عن من حدَّثه عن فتوح أرض ربيعة الفَرَس قال : فلما نزل جيش المسلمين على قرقيسياء[1] مع عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ، خَنْدقَ المسلمون عليهم خندقاً واسعاً ، وتركوا لهم موضعاً واحداً يعبرون منه . قال : واتصلت الأخبار بعياض بن غنم رضي الله عنه ، وقد عبر إلى جانب الرقة ، وهو لا يدري بِحَربِ من يبدأ ، بحرب شهرياض وجنوده ، أم (بحران والرُّها) فقال له خالد بن الوليد[2] :

« أيها الأمير أتترك جيشاً قد احتفل على لقائك وصمَّم على حربك وتقصد المدائن ؟ عليك بلقاء هذا العدو ، فإذا هزمته ووقعت لك الهيبة اقصُد ما شئت من البلاد تفتح لك إن شاء الله تعالى »[3] . فعوَّل عياض بن غنم على ذلك . وإذا قد ورد عليه عيونه وهم أهل الذمة ، يخبرونه أن الملك شهرياض قد تكفَّل بلقائك وهو صاحب رأس عين ، وتُوتا صاحب كفره[4] ، وطرياطس صاحب نصيبين[5] ، ولاوذ بن صليبا صاحب دارا والموزُر[6] ، وأوْزون الأرمني

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ .

(٢) انظر : خبر نزول المسلمين على قرقيسياء في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ وانظر ابن الأعثم (الفتوح) ١/ ٢٥٨ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ وانظر فتوح لابن عثم الكوفي ١/ ٢٥٦ .

(٤) كفرة : وهي بلدة كفرتوتا . انظر بشأنها ص٤ من الكتاب .

(٥) نصيبين : مدينة قديمة ويتبع لها كورة واسعة وبقربها جبل ماردين وهي كثيرة المياه والبساتين وهي من ديار ربيعة وحالياً تقع في تركيا . فتحها عياض بن غنم بعد قتال وصالح أهلها على مثل صلح أهل الرها . انظر : بلدان الخلافة ١٢٤ ، صورة الأرض ١٤١ ، ومعجم البلدان ٥/ ٢٨٨ ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٢٤ .

(٦) الموزر : عمل متسع بين بلاد ديار مضر ، وديار بكر ، على بعد يوم من حران . معجم البلدان ٥/ ٢٢١ والأعلاق الخطيرة ٣/ ١٥٠ ـ ٢٤٥ .

صاحب التل[١] ، وشامس بن ميخائيل صاحب جَمْلِين ، وأرمانوس صاحب تل بَسْمى[٢] وتل القرع[٣] ، وأرجَوك صاحب البارعيّة ، وأرسَيُوس بن حَارِش صاحب ماردين ، ودُورُوس بن نقولا صاحب حران والرُّها ؛ وقد صارت جريدتهم مائتي ألف من الروم والأرمن والعرب ، وقد انفردت العرب منهم في اثني عشر ألفاً مع أهاليهم وأولادهم وضمنُوا للملك لقاءكم ، وقالوا : لا نلقى العدو إلا بأهلنا وأولادنا حتى إذا رأى العدو وأراد أحدنا الهزيمة ، ذكر أهله وولده فيثبت دون الفرار ، وقد رحلوا عن الروم والأرمن مرحلة إليكم . فلما سمع عياض بن غنم ذلك بعث إليهم الوليد[٤] بن عُقْبٍ ووصّاه بما أراد ، فقدم على بني تغلب وجمع أمراءهم ، وهم نوفل بن مازن والشَّريد بن عاصم والأشجع بن وائل ، وميسرةُ بن عامر وحزام بن عبد الله وقارب بن الأصم ، وقال : يا فتيان العرب ، اعلموا أن النظر[٥] في العواقب آمَنُ من المعاطب ، وليس أنتم أحدُّ سناناً ، ولا أقوى في الحرب جناناً ولا أوسع ميداناً ، من بني غسان وليس فيكم من يشبه جبلة بن الأيهم ، وكان في ستين ألفاً هزمنا جيوشهم وقتلنا ساداتهم ، والصوابُ أن ترجعوا إلينا وتكونوا حزبَنَا . فنهض كافرُهُم ومُسلِمُهُم كُلُّهم ، إلا إيادُ بن نزار فإنهم ارتحلوا بقبيلتهم إلى بلد الروم . فلما توجهتْ إياد الشمطاء إلى بلد الروم ، ووصلت ثعلبةُ[٦] وبنو ربيعة

---

(١) التل : ويقصد به قلعة تل أرجوك في ديار مضر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٨/ .

(٢) تل بسمى : بلدة هامة في ديار ربيعة من ناحية شبختان وفيها قلعة حصينة / معجم البلدان ٢/ ٤٠ ، مراصد الاطلاع ١/ ٢٦٩ .

(٣) تل القرع : إحدى حصون ديار ربيعة / مراصد الاطلاع ١/ ٢٨٠ .

(٤) الوليد بن عقب : هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط / ابن سعد الطبقات ٤/ ١٦١ ، ٥/ ٣٢ ، ٨/ ٢٣٠/ وابن معين ١/ ٢٧/ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ .

(٦) ثعلبة : لعلها ثعلبة بن سلامان من قبيلة طيء وهم بالشام / معجم قبائل العرب ١/ ١٤٥/ .

إلى جيش عياض بن غنم مسلمُهم وكافرهم . رحَّب بهم وطيب قلوبهم ، وقال : يا معاشر العرب[1] ، إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيراً بوصولكم إلينا وإنزاحكم عن عَبَدَةِ [ ][2] . وقد أراد الله إعزاز ديننا وشرَّف نبينا ، وكان ﷺ قد وعدنا ووعْدُه حَقٌ ، بملك كسرى وقيصر وكنوزهما نأخذها ، وكان قوله من قول الله تعالى في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾[3] وقال الله تعالى : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾[5] قال : قال : فلمّا سمعوا كلام عياض بن غنم أَسْلَمَ كافِرُهم .

قال : أخبرنا سيف عن الجالد بن سعيد قال : لما علم عياض بهرب إياد الشمطا إلى بلد الروم ، كتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب عمر إلى هرقل أو قسطنطين يقول : « والله لئن[6] لم تصرفهُم عن أرضك إلى أرضنا لأنْفينَّ كُلَّ نَصْرَاني عندنا » .

قال الواقدي : فلما وصلت رسالة أمير المؤمنين إلى ملك الروم أنفذ بهم إليه[7] . قال : وعزم عياض بن غنم على لقاء الملك شهرياض . وأما ما كان من صاحب قرقيسا فإنه جمع بطارقته إليه وقال لهم : اعلموا أنه بلغني أنه من تقدم من الملوك ، كانوا يُجيِّشون الجيوش بأنفسهم ، وإني أريد أن أخرج غداً بالجيش إلى لقاء هؤلاء العرب . فأنظرَ كيف حمَّيتهم لدينهم ، وإن كان رعبُ

---

(١) انظر : خطبة عياض بن غنم بزعماء ربيعة في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ .
(٢) ما بين حاصرتين ساقطة .
(٣) سورة النجم الآية ٣ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .
(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .
(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٨ ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٥٣٣ .
(٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٩ .

القوم دخل في قلوبكم أم لا ، وبعد هذا إذا سمعتم كلامي فارجعوا إلى إعظامي ، ثم تناوشوهم ونحمل عليهم ، فأقفز أنا إليهم وأقف أمام أمرائهم ، وأقول لهم : إني أردت أن أُسَلِّمَ إليكم فإنَ هاشُوا عليَّ وأرادوا قتلي أتيت إليكم ، فإذا غفل القوم عني قفزت على أميريهما فأقتلهما في الليل ، وأنا أعلم أن القوم لا يتأهبون لي ثم أنهزم إليكم .

فقال له ورنيك الأرمني : كيف تسمح بنفسك وتوجهها في أضيق المسالك ؟ وإن فعلت ذلك لا نأمن عليك من العرب ، ونخاف من الملك يعتب علينا بسببك ، ويقول : كيف سمحتم له وتركتموه يمضي بنفسه إلى العرب ؟ ولسنا نمكنكَ من ذلك . فقال عبد الله يوقنًا : لقد صدق هذا السيد في قوله وكيف نتركك تسير إليهم ؟ ولكن أنا أدبِّرُ على القوم تدبيراً أهون من مسيرك إليهم . فقال شهرياط وورنيك الأرمني : وما الذي تدبر أيها السيد ؟ فإنك نعم المشير . فقال يوقنًا : إن التدبير أن نخرج إليهم بجمعنا[1] ، ونلقى القوم ونُريهم الجدَّ من أنفسنا ، ونقاتل حسب الطاقة ، ثم ننهزم ونستوثق من أبواب المدينة ونصعد على السور ، ونقاتل فإذا فعلنا ذلك طمعت العرب فينا ودنوا منا ؛ وأعلمكم أن جماعة من الروم ممن صبا إلى دينهم في عسكرهم ، فإذا تقربوا منا ونصبوا علينا ، فإذا رأينا ذلك بعثنا لهم رسولًا في طلب الصلح ، وتقول : أَنْفِذوا لنا عشرة من عماليقكم[2] حتى نرى حقيقة ما تريدون منا ، ولعلنا نتعقب لنا منكم صلحاً ؛ فإذا حصلوا عندنا قبضنا عليهم ، ونشهر أسيافنا على القوم بمشهد منهم ونقول : إما أن ترحلوا عنا وإلا ضربنا رقابهم ، فإن القوم إذا رأوا الجد منا طلبوا أصحابهم ورحلوا ، والعرب إذا قالوا قولًا وفَوْا به . فإن هزموا الملك شهرياض ، واحتووا على بلاده دخلنا تحت طاعتهم وارتحلنا عنهم إلى بلاد الروم . قال : وإنما أراد يوقنًا بهذا الكلام حالين

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٩ .
(٢) عماليق : يقصد السادة والزعماء . مفردها عمليق .

أحدهما ، أنه يُريهِم محض النصيحة ليطمئنوا إليه ، والثاني ان يحصل عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ في المدينة . قال له يورنيك : فإن كان القوم ينفذون إلينا صعاليك العرب من لا يُؤْبَهُ به ، أو من الموالي فنقبض عليهم كما ذكرت ، ونهددهم بالقتل لا يرحلون عنَّا ، ولا يلتفتون إلى كلامنا ويقع الجدُّ منهم في قتالنا ، ولا يرحلون فكيف نصنع ؟ قال : فأراهم يوقنَّا الغضب والحرد وقال : وحق المسيح لقد دخلت هيبة القوم في قلوبكم ولن تفلحوا أبداً . وحق[1] ديني ، لقد قاتلت في قلعتي بحلب قتالًا عظيماً ، سارت به الركبان في سائر الأرض والبلدان ؛ ولولا عبد من عبيدهم اسمه أبو الهول دامس[2] ، نصب عليَّ حيلته وعشرة معه ملكوا قلعتي لما كانوا قد روا عليَّ أبداً ، وكانوا نزلوا عليَّ بجميع عسكرهم وأبطالهم . فكيف وما نزل عليكم إلا شرذمة وبلدكم حصين ؟ وليس عليه قتال إلا من موضعين من صوب الجبل والغرب والخابور من جانب الفرات ومن جانب آخر ؛ ومن أراد الله والمسيح قاتل عن دينه وصان أهله وحريمه من هؤلاء العرب ، وإن خفتم أن يُنْفِذَ القوم إلينا مواليهم ، فأنا أعرف الناس بفرسانهم وأبطالهم . وأمرائهم وخواص أصحاب نبيهم ، فأنفذوا مع رسولكم كتاباً بأسماء القوم الذين أذكرهم لكم ، وهم : المقداد بن عمرو[3] ، والنعمان بن المنذر[4] ، وشرحبيل بن كعب[5] ، ونوفل ابن . . . .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٩ ، والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨/ وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ .

(٢) أبو الهول دامس : مولى بني طريف ملوك كندة ، فتوح الشام للواقدي ١/ ١٦٥ .

(٣) المقداد بن عمرو : هو المقداد بن عمرو البهراني وهو نفسه المقداد بن الأسود بالتبني . صحابي شهد كل مشاهد النبي والفتوح / ابن سعد الطبقات ٢/ ٧ و٣/ ٤٣ ، ١٦٣ ومات سنة ٣٣هـ في خلافة عثمان .

(٤) النعمان بن المنذر : انظر : الطبقات لابن سعد ٧/ ٤٦٢/ .

(٥) شرحبيل بن كعب : انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٤٥/ .

كثير[١] ، وعبد الرحمن بن مالك الأشتر[٢] ، والأسود بن قيْسَ الهلالي[٣] ، والهيثم[٤] وهو ممن شهد القادسية بعد فتحها ، وخالد بن جعفر ابن قرط[٥] ، ورواحة بن قيس[٦] ، وهَمَّام[٧] بن الحرث ومالك بن نُوبة[٨] رحمه الله وسلامة بن عامر[٩] . قال : فضحك ورنيك . وقال : وحق ديني إن العرب لا يسمحون بهؤلاء قط إلا أن يطلبوا رهائنكم . قال يوقنًا : ما أفشل رأيكم وأضعف قلوبكم وأقل حميتكم في دينكم . وإذا طالبونا القوم بالرهائن ، أخذنا ضعفاء هذه المدينة وأولاد القوم وجعلنا عليهم أفخر الثياب[١٠] . وزيَّنَّاهم بزيّ أولاد ملوكنا ونفَّذناهم إليهم . فقال شهرياض : وحق القربان إنك هِنْكَام جيل[١١] وشيخ فلَك[١٢] . ولسنا نقول ونعمل إلا ما أمرتنا به . ثم إنه أمر بطارقته وحجَّابه أن يأمروا أصحابه بالحرب . ففعلوا ذلك فلبسوا السلاح واستعَدّوا لقتال أصحاب رسول الله ﷺ .

قال : فلما كان من الغد ، خرجوا في عُددهم وحديدهم . فلما رآهُم

---

(١) نوفل بن كثير : لم أعثر له على ترجمة .
(٢) عبد الرحمن الأشتر بن مالك : أسد الغابة ٣/ ٣٢١/ .
(٣) الأسود بن قيس الهلالي : ابن سعد ، الطبقات ٦/ ١٢١/ .
(٤) الهيثم : هو أبو قيس السلمي الصحابي . أسد الغابة ٥/ ٧٥/ .
(٥) خالد بن جعفر بن قرط : انظر الإكمال ٢/ ٩٠ .
(٦) رواحة بن قيس : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) همام بن الحرث : هو همام ابن الحارث الصحابي . انظر أسد الغابة ٥/ ٧٠/ .
(٨) مالك بن نوبه : لم أعثر على اسمه في تراجم الصحابة .
(٩) سلامة بن عامر : هو سلمان بن عامر ، وسلامة تصحيف . انظر ابن سعد الطبقات ٨/ ٤٨٤ .
(١٠) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٩ .
(١١) هنكام جيل : كلمة فارسية تعني : الوقت والزمن ، والشجاعة والقوة / انظر المعجم الذهبي د. محمد التونجي ص٦١٢/ .
(١٢) شيخ فلك : أي عالم بالفلك والنجوم .

عبد الله بن عَتبان متأهبين للقتال ، أمر أصحابه بالركوب فركبوا وخرجوا على باب الخندق الذي حفروه ، واستقبلوا عدوهم بهمم وقالوا : اللّهم انصرنا عليهم كنصر نبيك يوم الأحزاب . ثم إن عبد الله بن عتبان عبَّأ صفوفهم ورتب كتائبهم ثم وعظهم وقال : أيها الناس رحمكم الله ، إن الله فرض عليكم الجهاد ووعدكم النصر والغلبة والقهر فتقدموا لأداء الفرض ، لتصلوا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الله جعل الصبر في الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وإنما ينتظر المؤمن إحدى الفرصتين ، وإحدى الحسينين ، غنىً أم فرجاً عاجلاً أو راحة من عاجل زايل إلى أجل دائم ونعيم مقيم ، والصبر يدعوكم إلى الطاعة والجماعة ، والخوف إلى المعصية والفرقة ، ولا تتبعوا الهوى فيهوى بكم ، ألا وإني حامل نحو طاغية القوم وصليبه فاتَّبعوني ، فإن فتح الله بقتله أو هوى صليب القوم فلا ثبات لهم . فقالوا : أيها الأمير والله[1] ما دعوتنا إلا لأحبِّ الأشياء إلينا مما ذكرت ، فاحمل حتى نحمل . قال : فحمل عبد الله بن عتبان على عسكر قرقيسياء ، وكان صاحب لواء المسلمين يومئذٍ سهيل بن عدي ، فلقد أبلوا بلاء حسناً ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبذلوا رماحهم وأسيافهم في أعداء الله[2] . والتقى عبد الرحمن بن مالك الأشتر وورنيك الأرمني فلمَّا عاين زيه علم أنه من ملوكهم وطعنه طعنة في صدره فأطلع السِنَّ[3] من ظهره . والتقى النعمان بن المنذر وشهرياض وهو قد طحطح[4] العساكر وهزم الدساكر[5] ، فحمل عليه النعمان ولم يعلم أنه

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٠ وانظر فتح قرقيسياء في : الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨/ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٠ ، والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨/ .

(٣) السِّن : يعني سنان الرمح .

(٤) طحطح : كسر وبدد وهزم .

(٥) الدساكر : كلمة فارسية وتعني الجهة أو الجانب .

صاحب البلدة ، بل زعم أنه مُقَدَّم بزيه فحمل عليه وأنشد يقول[1] : [البحر الطويل]

وإنَّا لقومٌ في الحروبِ لُيوثها ... ويفزعُ منا في الوَغَاةِ أُسودُها
نُحَامي عن الشَّرعِ القويم نصونه ... ونُرغِمُ آنافَ العدَا ونَذُودُهَا
لنا الفخرُ في كلِّ الأماكن كُلِّها ... إلى أن تناهى باللِّقاءِ عَديدُها
وسوفَ نقودُ الخيلَ جُرداً سوابقاً ... إلى شهرياض الكَّلب ذاكَ شديدُها
ونملكُ دَارَا ثُمَّ جَمْلِيْنَ بعدها ... كَذَا رأسَ عين والجيوشَ نَقُودُها
ونمضي إلى حرَّان ثمَّ سَروجُهم[2] ... كَذاك الرُّها للمسلمين نُعيدُها
وإني أنا النعمانُ ذاكَ بن مُنذرٍ ... أَبيدُ لُيوثَ الحَربِ ثم أُسُودُهَا

قال : ثم أطبق عليه بجملته وفاجأه بطعنته . وألقاه صريعاً ، يمجُّ نجيعاً[3] ، فلما نظر جيش قرقيسياء إلى ملكهم مجندلًا ، ولَّوْا إلى مدينتهم وتحصنوا في بلدتهم ، وخافت الملكة أرمانوسة ، ودخل الرعب في قلبها من أصحاب رسول الله ﷺ ، فالتفتت إلى العبد الصالح يوقنَّا وقالت : يا عبد المسيح مالنا أحدٌ سواك يسوسُ أمرنا ويدبِّر حالنا . فقال لها : أيتها الملكة أنا لك وبين يديك . فخلعت عليه وعلى أصحابه وقلَّدتهُ أمر بلدها . فأقبل يوقنَّا على أصحابه وقال : اعلموا أن هذه المدينة قد صار حكمها إليكم ، وقد اتَّكَلَتْ هذه الملكة عليكم ، فيجب علينا أن نقوم بحقها ونقاتل من دونها . ثم رتَّبهم على الأسوار ، ونصب المنجنيق على برجها الأعظم مما يلي الخابور . وقد حصَّن فيه أهلُ المدينة رجالهم وأموالهم وذخائرهم ، ودنا أصحاب رسول الله ﷺ ، ودنت الموالي بالمقاليع ، وأقبلوا يرمون فكانت حجارَتُهُم

---

(١) انظر الأبيات في : فتوح الشام ٢/ ٧٠ .
(٢) سروج : مدينة تقع إلى الغرب من حران من مدن الجزيرة ، من ديار مضر وهي حالياً في تركية / الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٨١/ .
(٣) يمج نجيعاً : يلفظ ويبصق دماً من فمه .

لا تخطئ ، وكان مُقَدَّمُ الرّجَّالة والموالي المنذر بن[1] عاصم ، ولم يكن بالحجاز ولا باليمن أرمى منه بالمقلاع ، وكان من قوة ساعده ، إذا رمى كأَنَّ حجره يجاوز البرج الأعظم ، فلم يزل يرميه فيه كل يوم فيصيبُ الرَّجل والإثنين ، فسمَّته العرب ، برج المنذر[2] ، إذ ناصَبَه الرمي يرميك بمقلاعه ، وكان منجنيق البرج يرمي بعيداً ولا ينفع شيئاً ، وضايق المسلمون على قرقيسياء ضيقاً شديداً . فقالت أرمانوسة : أين ما وعدت به الملك شهرياض في تدبيرك على هؤلاء العرب ؟ فقال : أيها الملكة سوف أعمل في ذلك . قال : وإنه ركب السور مما يلي عسكر المسلمين ، وقال : يا معشر العرب قد طال المدى بيننا وبينكم ، وإنا نريد عشرة منكم من خياركم يدخلون إلينا ونرى ما يقع الاتفاق عليه فيه بيننا وبينكم ، إلى أن تنهزموا أو تملكوا رأس العين ، ونحن بعد ذلك لكم واطلبوا منا من المال ما شئتمْ ، فقد علمنا أنكم إذا قلتم قولًا وفَيتم به . قال : فلما رآه عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي علموا أنه يريد أن يَنْصُب على أهل المدينة . فقال له سهيل بن عدي : يا عدو نفسه لقد انفَلَتَّ من ايدينا وتمت حيلتك علينا بدخول ديننا ، ورجعت إلى دينك الأَوَّل فأين تهرب منّا وتوّلي عنّا ، ونحن لك في الطلب ؟ وسوف نملك هذه المدينة بالسيف ونضرب عنقك . فقال : يا معشر العرب لقد نصحتكم وخدمتكم وأنا بين أيديكم ، ما رأيت منكم إلا الخير ولكن طالبتني نفسي فرجعتُ إليها ، والآن مضى السَّهم بما فيه ، وهذه المدينة لن تقدروا عليها لأنها حصينة ، وفيها رجال الحرب ، والقوة عندنا كثير ، ولكن أنفذوا لنا عشرة من أصحابكم ممن أثق أنا بقولهم وأسمِّيهم فيحلفون لنا ، ونحلف لهم أنكم إذا فتحتم رأس

---

(١) المنذر بن عاصم : لم أعثر على ترجمة له .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٠ ، انظر فتح رأس العين في / الفتوح ، لابن الأعثم ١/ ٢٥٧/ .

عين سلمنا إليكم ونعقد[1] . الصلح بقية هذه السنة ، وقد بقي منها اربعة شهور ، أولها رمضان سنة سبع عشرة من الهجرة . فقال عبد الله بن عتبان : قد أجبناكم إلى ذلك ، فَمَنْ العشرةُ الذين تريدون أن نُوجِّههم إليكم ؟ قال : أريد المِقْدَادُ والنعمان ، وشرحبيل ونوفل وعبد الرحمن ، والأسود بن جعفر ورَوَاحة ابن قيس ، وهمام بن الحارث ، وسلامة بن عامر ، وإن بعثتم غير هؤلاء فلا صلح بيننا وبينكم . قال : فوجه عبد الله بن عَتْبَان من ذكرنا . ففتح لهم يوقَنَّا الباب . فقال عبد الله بن عتبان : إنا لا نسمح بأصحابنا إلا أن تعطونا رهائن ، فمضى يوقَنَّا إلى الملكة أرمانوسة . وأخبرها بأن القوم يريدون رهائن . قالت : نَفِّذْ لهم من ذكرت من أولاد العوام والسُّوقة . قال يوقَنَّا : أيتها الملكة إنَّ الحيلَ في الحرب من العرب خرجت ، والملوك من شأنها إذا قالت قولًا وفَّت به ، واعلمي أن حكيم الفرس قد قال : إذا كان الغدر في الناس طباعاً ، فالثقة بكل الناس عجز ، واعلمي أن أهل بلدك فيهم رؤساء وملوك ، وهم يستضعفون شأنك بعد بعلك ، وأيضاً ينظرون إليك بعين التأنيث ، وينظرون إلي أيضاً بعين الغربة ، ولا هيبة لي عندهم ، وربما سمعوا بصلحنا مع العرب فلا يمكنونا من ذلك ويُشَنِّعون علينا ، ولا يتم لنا ما نريده ، وربما بعثوا يستنصرون علينا بالانْطَاقِ ملك نَيْنوى[2] والموصل[3] ، أو بالحُرِّ

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٠ .
وانظر : فتح قرقيسياء في (الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨) .

(٢) نينوى : من مدن العراق الدائرة وأطلالها بإزاء الموصل من الجانب الشرقي من دجلة . كانت عاصمة الآشوريين وسميت بهذا الاسم بسبب عبادة الآلهة نينا فيها / بلدان الخلافة الشرقية ١١٦/ .

(٣) الموصل : مدينة قديمة وهامة في شمال العراق وهي باب العراق ومفتاح خراسان وأذربيجان وتقع على ضفة دجلة الشرقية ، كثيرة المياه والبساتين والخيرات / معجم البلدان ٥/ ٢٢٣ ، بلدان الخلافة الشرقية ١١٥/ .

بن صالح صاحب الكهَّارية[1] ويتفاقم الأمر . قالت : فما الذي ترى من الرأي[2] ؟ قال : أرى رأياً أن نبعث إلى العرب رهائن . وإنما فعل يوقَّنا ذلك حتى لا يعترض عليه معترض في المدينة ، وإذا سَلَّم المدينة لا يكون من رؤساء بلدتها لها سند . فأجابت إلى ذلك ونفَّذت من الرُّؤساء رهائن إلى عبد الله بن عتبان . قال : فلما خرجوا إليهم . دخلوا العشرة أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما حصلوا في المدينة أمر بهم إلى البرج الكبير ، وهو المعروف ببرج المنذر[3] . وإنما فعل ذلك حتى لا يعصي من في البرج وفيه أموال المدينة قال : فلما حَصَّلَهم هناك رجع إلى الملكة أرمانوسة وقال لها : قد حصَّلتهم في البرج . وغداً أوقفهم بأعلاه وأقول : إما أن ترحلوا أو نقتلهم .

قالت : فكيف نصنع برهائننا إن فعلنا بأصحابهم ما ذكرت ؟ يفعلون بأصحابنا كذلك . قال لها يوقَّنا : السَّمع والطاعة ، فإذا كنت تفزعين على أهل بلدك ، فصالحي القوم . قالت : قد قنعنا برأيك وحسن تدبيرك . فقال يوقّنا : السمع والطاعة وها أنا أمضي إلى هؤلاء العشرة ، وأرى ما وصّاهم به صاحبهم وكم يطلبون منا في الصلح ؟ ثم مضى إلى البرج ، واجتمع مع أصحاب رسول الله ﷺ ، وحدَّثهم بما عزم عليه من التسليم وقال : إذا سمعتم الصيحة فدونكم ومن في هذا البرج ، ثم رجع إلى أصحابه المائتين وأعلنوا بالتهليل والتكبير ، وبادروا إلى الباب فكسروا أقفاله وقطَّعوا سلاسله .

---

(١) الكهارية : وتسمى قلاع الهكارية القريبة من الموصل / الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٩٦ .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧١ .
والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨/ .
(٣) برج المنذر : هو البرج الكبير في سور مدينة قرقيسياء / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧١/ .

وخرج[1] بعض أصحاب يوقنًا مسرعين فأعلموا المسلمين ، فبادروا من كل جانب ومكان فأشهروا القواضب وفاجأوا القوم بالنوائب ، وحصلوا معهم في المدينة فسقط ما بأيديهم ، وأرادوا الهزيمة إلى البرج الأعظم فرأوا فيه العشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فرجعوا .

وأما الملكة أرمانوسة ابنة قرقيسيون الملك علمت أن الحيلة قد تمت عليها من قبل يوقنًا فلم تقاتل ونادت جندها والعوام (لاغُون لاغُون) بمعنى الأمان الأمان فأمَّنهم عبد الله بن عتبان وسهيل بن عَديٍّ واحتووا على المدينة وأخذوا ما كان فيها من الأموال والرجال وما تضمن البرج الأعظم من الذخائر والأموال ؛ فأخرج منه الخمس لبيت المال . وعرض على أهل قرقيسياء الإسلام ؛ فمن أسلم وهب له أشياء من ماله ، ومن أبى ضرب عليه الجزية من عامه المستقبل ، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة .

قال : وتجمَّع من أسلم من أهل قرقيسياء ، وأتوا إلى الأمير عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ، وقالوا : إنا رجعنا إلى دينكم فسجِّلوا لنا على أراضينا وكرومنا وبساتيننا . فقال عبد الله بن عتبان : هي بحكم الأمير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وليست الآن لكم لأنا ملكناها عُنْوةً ولا ترجع إليكم بإسلامكم ، يُسْكِنُ فيها الإمام من يراه ، ويأخذ خراجها مِمَّن هي في يده ، وحكم الفيء والخراج والقسمة والخُمسِ والجزية واحد بحكم الإمام ، يأخذ حاجته منه بغير تقدير ويصرف[2] الباقي في مصالح المسلمين ، ويعطى القرابة منه بالاجتهاد . قال : ثم إن أرمانوسه أسلمت ومن كان معها فأقرهم عبد الله في مواضعهم وأحسن إليهم كلَّ الإحسان وحبَّب إليهم الإيمان ، كلُّ ذلك

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧١ .
انظر فتح قرقيسياء في / الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨/ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧١ وانظر ابن الأعثم (الفتوح ١/ ٢٥٨/ .

ليسمعوا أهل البلاد فيدخلون في الإسلام .

قال عطيّة عن مَنْ أدرك ذلك . كان فتوح قرقيسياء أول ليلة من شهر رمضان سنة سبعة عشر من الهجرة ، وأخذ كنيستهم المعظمة وهي بيعة مارجرجس[1] ، فاتخذها جامعاً ، ولم يبرح حتى صلى فيه وأطلق الرهائن ، وترك عليها والياً شُرحبيل بن كعب في خمسين رجلاً وعوّل بالمسير إلى « مَأكسِينَ[2] وعَرَابان[3] » والتفت إلى عبد الله يوقنّا ، وقال له : مُرْ ابنتك أن ترجع إلى قلعتها . فقد جاءت الوصية لنا في حقها من قبل الأمير عياض بن غنم . قال : فعادت إلى قلعتها .

٤ ـ « فتح ماكسين والسَّمانية »

قال : حدثنا زهمانُ بن رُقَيم عن الصَّلت بن مجالدٍ قال : لما ارتحل عبد الله عن قرقيسياء بعد الفتح نزل على ماكسين ففتحها صلحاً على أربعة آلاف دينار حُمرٍ هرقلية ، وعشرة آلاف درهم من نقد بلدكم ، وكانت دراهمهم بالهرقلي وألف حمل من الحنطة والشعير وما قدروا عليه فصالحهم على ذلك ، وارتحل إلى (السّكير[4]) فصالحهم على النصف من ذلك وكذلك أهل الشمسانية[5] ثم نزل على (عَرَبان) فكان صلحهم مثل صلح أهل ماكسين ، ثم ارتحل إلى المجدل[6] وملكها صلحاً وأقام هناك ينتظر ما يرد

---

(١) بيعة مارجرس : وهي البيعة الكبرى في قرقيسياء / الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٥١ .

(٢) ماكسين : من مدن الجزيرة تقع إلى الجنوب من عرابان وهي من كورة الخابور في ديار ربيعة / معجم البلدان ٥/ ٤٣/ .

(٣) عرابان : انظرها في ص٣٣ .

(٤) السكير : انظر : دير السكورة ص٤٣ .

(٥) الشمسانية : إحدى المدن الواقعية على نهر الخابور بالجزيرة في ديار ربيعة / مراصد الاطلاع ٢/ ١١٠/ .

(٦) المجدل : انظر ص٣٠ .

عليه من أخبار[1] أميره عياض بن غنم ، فَأُعلمَ أنه على نهرِ البَليخ[2] ، فكتب إليه يعلمه أن الله قد فتح على يديه البلاد التي تقدم ذكرها . قال : فلما وصل إليه الكتاب أنْفَذَ إليه عياض أن قد وصلني كتابك فحمدت الله تعالى على ما منح المسلمين من نعمة فالزم مكانك حتى يأتيك أمري والسلام .

روى سهيل بن المُجاهد بن سعيد : قال : لمَّا فتح عبد الله بن عتبان أرض الخابور صلحاً وأقام بالمجدل . أنشد قيسُ بن أبي حازمٍ[3] البجليّ ، وجعل يقول شعراً : [البحر الطويل] .

أَقَمنَا مَنارَ الدِّين في كُلِّ جانِب ... وَصُلْنَا على أعدائنا بالقواضب
ودانَ لنا الخابُورَ مع كُلِّ أَهلِهِ ... بفتيان صدقٍ من كرام الأعاربِ
هَزَمناهُمُ لمَّا التقَينا بماشحٍ[4] ... وثارَ عجاجُ النَّقع مثلُ السَحائبِ
وكلُّ همامٍ في الحُروب تخَالُهُ ... يَكُرُّ ويَحمَىٰ في صدور الكتائبِ
وَجُنْدِلَ ورنيكٌ وَشِهراض بعدهُ ... تركناهُمُ في القاعِ نَهْبَاً لناهِبِ
ومازالَ نصرُ الله يكنفُ جَمْعَنا ... ويحفَظُنَا من طَارقَاتِ النَّوايبِ
فَللَّهِ حمدٌ في المساءِ وبُكْرَةٍ ... ومالَاحَ نجمٌ في سُدولِ الغَياهبِ[5]

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ .

(٢) نهر البليخ : أحد أنهار الجزيرة وتجتمع فيه عيون المياه وأعظمها عين الذهبانية وتأتي من أرض حران ويسمى بنهر البليخ بعد خروجه من تحت حصن مسلمة بن عبد الملك ويصب تحت الرقة بميل واحد في الفرات / انظر : معجم البلدان ١/ ٤٩٣/ وانظر الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٧/ .

(٣) انظر الأبيات في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٢ .

(٤) ماشح : هو قرية تل ماسح بنواحي حلب فتحها المسلمون عند فتحهم للجزيرة / معجم البلدان ٢/ ٤٣/ .

(٥) الغياهب : الظلام .

الفصل الثاني

فتح ديار ربيعة

١ ـ (فتح قلعة ماردين)

حدثنا سَوّار بن كَثير قال : أخبرنا يوسف بن عبد الرازق عن الكامل بن بُجير عن المثنى بن عامر عن جَدِّه قال : لما فُتحت مدائن الخابور صُلحاً ، بَلغَ الملك شِهريَاض صاحبِ أرض رَبيعَة وعَين وَرْدَةَ ، فَعَظُم ذلك عليه وكبر لديه وجَمَعَ أربابَ دَولته ، وهو يومئذٍ بعَسكرِهِ في مَرْجِ[١] الطَّيْرِ ناحية أرض النَّقب . قال لأصحابه وخاصته : ما الَّذي تشيرون عليَّ ؟ فهذه ثلاثة مدائن من بلادنا قد مُلِكَتْ ، وقلعتين والعرب المتنصرة مضت عنَّا ؟ فقال البطريق توتا صاحبْ (كُفُرْ) : أيها الملك اعلم أنَّهم لا بد لهم منَّا ولا بد لنا منهم ، ويعطي المسيح النصر لمن يشاء ، غير أنه كان من الرأي أنك لو زوَّجت ابنك عَمُودا من الملكة مارية ابنة الملك أَريسوس بن جارش ، صاحب ماردين[٢] ، فإنك إن تصاهرت إليه صرتما يداً واحدة ، ونفَّذتَ أموالك وخزائنك وعُددك إلى القلعتين (ومُبْرِين)[٣] يعني (قلعة المرْأة)[٣] .

---

(١) مرج الطير : سهل فسيح على بعد أميال من مدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٢/ .

(٢) ماردين : مدينة في تركيا تقع فوق منطقة جبلة بها قلعة شماء مشهورة وتقع بين رأس العين ونصيبين وتشتهر بصناعة الثياب الصوفية والسجاد فتحها المسلمون / بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥/ .

(٣) قلعة المرأة : إحدى القلاع الحصينة في ماردين وتقوم على قمة جبل عالٍ على الطريق بين رأس العين ونصيبين / بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦/ .

قال الراوي : والسبب في بناء القلعتين الذي ذكرناهما أنّ هذا أريسوس بن جارش ، وكان من أهل (طَبْرِنْدةَ)[١] وكان شجاعاً بطلاً ، وكان من بيت المملكة ، ويَمَسُّهُ رحمٌ من الملك هرقل ، وكان منفرداً بطبرندة ، ويغيرُ في بلد الرُّوم حيث يشاء حتى كتبت البطارقة وأهل تلك الأرض إلى الملك بقصَّته ، ويستغيثون به من يده ، فَنَفَّذَ إليه هرقل من انطاكية ونقله إلى ديار ربيعة فلم يرَ جبلاً أحسن من جبل ماروت[٢] فنزل تحته ، وإذا على الجبل بيت نار[٣] للفرس وكان فيه ناجك[٤] أبو الفرس ، وكان مشهوراً معروفاً بعبادته وما هو فيه وكانت الهدايا تقدم إليه من أقصى بلاد خراسان والعراق ، وكان اسمه (دِيْن) فما زال يمر به أريسوس إلى أن صادقه ، وكان يحمل إليه الهدايا والتحف التي تجلب معه من بلد الروم فكان إذا أتى لا يحتجبُ عنه إلى أن وقع منه بِخُلْسَةٍ فقتله وغيّبه ، فلما فقد قالوا : أبرّ تلك الأرض ماردين ثم إن أريسوس بنى بيت النار واتخذه حصناً .

قال : وكان له ابنة يقال لها : مارية ، فلما رأت أباها قد بنى له موضعاً وتحصَّن فيه ، بنت هي أيضاً قلعة حِذَاءها وحصَّنتها ، وخزنت أموالها وأحوالها فيها ؛ وكانت كلما خطبها أحد تراه دونها ، لأنها من بيت المملكة ، وكان بالقرب من قلعتها دير في سفح الجبل ، وفي الدَّير راهب قد ترهّب فيه ، وكان من أمكن الرهبان حالاً ، وكان اسمه (قُوما) وإنها مضت إليه زائرة ، فلما نظرته وقعت محبته في قلبها ، فلم تزل تختلف إليه حتى ترسَّخت منوال الصُّحبة ، فسلَّمت نفسها إليه فَحَبِلَتْ منه . فلما انتهى الحمل ولدت غلاماً في

---

(١) طبرندة : بلدة كبيرة من أعمال أنطاكية .

(٢) جبل ماروت : هكذا ورد بالأصل ، وهو تصحيف لجبل ماردين الذي تقوم عليه قلعة ومدينة ماردين الشهيرة / انظر الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٢٤/ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٢ . وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(٤) ناجك : كبير كهنة بيوت النار أيام وثنية الفرس .

حال الخفاء فسلَّمته إلى دايتها ، وقالت : انظري كيف تُدبِّري أمر هذا الغلام دون أن تقتليه ، فإني لا أحبُّ قتله ، وإن علم أبي بقصتي قتلني ، ثم استخرجت من ذخائرها جواهر لها قيمة ، ووضعت بها عصابةً وشدَّتها على قماطه[1] ، وقالت للداية : ارميه فمن وقع به يُنفق عليه من ثمن هذه الجواهر ، ثم إنها افتقدتْهُ وإذا على خدِّه شامة[2] سوداء ، ونظرت إلى أُذُنه اليمنى ، وإذا فيها زيادة . قال : فأخذته الداية ونزلت به ليلاً ، وخادمٌ معها كان يطَّلع على أسرار الملكة ، وكان هناك عمود من الرخام بأسفل القلعة فألقته عليه مخافة من وحش يأكله ، وكان العمود أكثره مُغيَّب في الأرض وعلى رأسه قاعدة من الرُّخام ، ثم رجعت إلى القلعة .

قال الواقدي رحمه الله . وكان من قضاء الله تعالى وقدره أن صاحب الموصل الملك الأنطاق[3] ، قد نَفَّذَ رسولاً برسالة إلى شهرياض ، ثم إن الرسول جاز على صاحب ماردين سحَراً[4] ، على الطريق الذي عليه العمود . فسمع بكاء الطفل فقرب منه على جواده وإذا بجواهر العصابة تلمع فأخذه وسلَّمه لجارية كانت معه سَفَريَّةً . وقال : احتفظي به ولا شكَّ أن الغلام له شأن ، ثم إنه وصَّلَ رسالة صاحبه لصاحب ماردين ، ثم ارتحل إلى رأس عين ، ووصَّل أيضاً رسالة شهرياض من صاحبه ، وأنطق الله على لسانه ، فحدث الملك بقضية الغلام الذي وجده على العمود ، فقال الملك : أريد أن تسلمه إليَّ فإني ليس لي ولد يخلُفُني في ملكي هذا . فسلَّمه إليه فأخذه الملك

---

(١) قماط : حزام من قماش يستخدم في لفِّ الطفل الرضيع .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٢ .

(٣) الملك الأنطاق : هو قائد جيش الروم في الجزيرة والموصل وكان قد جمع قبائل العرب المتنصرة في تكريت لقتال المسلمين الفاتحين سنة ١٦هـ بقيادة عبد الله بن المعتم وانتصر المسلمون على الروم وحلفائهم . / تاريخ الموصل سعيد دوجي ٢٨/١ ، ٢٩/ .

(٤) سحراً : أي قبل طلوع الفجر .

فأعطاه للحواضن والدايات . فربُّوه[1] بأَحسن تربية إلى أن كبر ونشأ وترعرعَ ومشى . وسمَّاه الملك عمودا ، وسماه الناس ابن الملك . ولم يزل يتربّى في النعمة ويتعلم أدوات الملوك من ركوب الخيل والرماية والثقافة[2] . والمعالجة والمصارعة وما شاء ، كلَّ ذلك إلى أن سَمَا ذكره ، وانتشر في العالمين فخره . وكان لا يأوي إلى عين وردة بل كان أكثر زمانه في الصيد والقنص ، وإنه بنى له قصراً على رأس المغارة يأوي إليه إذا أراد الصيد وسمى القصر باسمه عمودا .

قال : وليس عند أُمِّهِ مارية خبر . وانقرضت الأيام واندرجت الأعوام ، حتى قدم عياض بن غنم يريد فتح الجزيرة هذه . ولما شاور الملك شهرياض أرباب دولته في أمر أصحاب رسول الله ﷺ ، أشار عليه البِطْريق توتا أن يزوج ولده عموداً من الملكة مارية ، فإنها لا تصلح إلا له وهي بِكْرٌ ولكن لها من العمر ثلاثون سنة ، وخطبها الملوك وأبناؤهم فلم ترض بهم ، لأنها تراهم دونها . وإن طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك أبوها ، وكان أبوها يفرح لك ولمصاهرتك . قال : فبعث لارسَيُوس ابن جارش هدية مع البطريق توتا وقال : كن أنت الواسطة في ذلك . فتسلم توتا الهدية ، وسار مع غلمانه إلى أرسَيُوس ، فسلم له هدية شهرياض فقبلها ، وتحدث معه فيما ذكرناه ، من الذي يجب من الرأي أن تجيب الملك إلى ما طلب وتكونوا يداً واحدة ، ولا سيما قد جاء من يطلب أرضكم وانتزاع ملككم وهم العرب الذين زحزحوا الملوك عن أسرَّتها ، وأبادوا مواكب بطارقتها . قال : فأجابه إلى ذلك وطلب[3] منه في الصَّداق مائة ألف دينار ، والبارعية وجملين ، وعشرين رجلاً أميراً من أمراء العرب ، يقربهم قرباناً ليلة زفافها . فأجابه توتا إلى جميع[4] ذلك ، وأجابه إلى ما طلب . فعندها ركب أرسيوس إلى القلعة الثانية ، ودخل

---

(١) فَربُّوه : فَرَبَّيْنَهُ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٣ .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٣ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٣ .

على ابنته مارية وأعلمها بالحديث فرضيت بذلك ، فخرج من عندها فجمع القُسوس[1] والشَّمامِسَة[2] ، وزوَّجوا مارية بعمودا ، وليس عندهم خبر من أحكام القضاء والقدر .

قال الواقدي رحمه الله : ورجع توتا إلى شهرياط وحدثه بالأمر الذي انبرم ، وحدثه بما شرط عليه أرسيوس من المال ، والقلعتين البارعية وجَمْلِينْ ، ومائة ألف دينار وعشرين أميراً من العرب . ليقرّبهم قرباناً ليلة زفافها ، ففرح بذلك الملك ونفَّذ الأموال ، وقال : إذا زُفَّت عليه سلَّمت القلعتين . ثم إن الملك دعا بولده عمودا ، وحدَّثه بما جرى وأنه قد زوَّجه بمارية ابنة أرسيوس بن جارش . وقال له : اعلم يا بني أن عليَّ باقي الصَّداق فعليك بتجهيز العساكر إلى لقاء هؤلاء العرب .

قال الواقدي رحمه الله : ثم إن الملك اقتطع من جيشه عشرين ألفاً وبعث معه تُوتا البطْريق صاحب كفرتوثا ورُودِسْ بن كَيْلُوك صاحبَ حرَّان ، وقال لهما : إن قدرتما أن تَكْبسَا العرب فافعلا . قال : فانفصلا من الجيش على عشرين ألفَ فارس .

قال الواقدي رحمه الله : واتصلت الأخبار بعياض بن غنم الأشعري من عيونه بأنه قد أقبل إليك رودِيس بن كَيْلُوك[3] صاحب حرَّان وتوتا صاحب (كَفرتوثا) ، وعَمودا ابن الملك في عشرين ألفاً وهم يريدون الكبسة عليكم بالليل فاستيقظُوا لأنفسكم . قال : فجمع عياض أصحاب الرسول ﷺ واستشارهم في أمره . فقال خالد بن الوليد : نَفِّذ من وقتك هذا إلى عبد الله ابن عتبان وسهيل بن عدي ومن معهم من المسلمين . أن يسيروا بعسكرهم ، ويُنَفِّذوا إلى عسكر العدو عيونهم ، فإذا قرب العدو منهما يُكْمنان له حتى

---

(١) القسوس : جمع ومفرده قس : إحدى المراتب الدينية لدى الكنيسة النصرانية .
(٢) الشمامسة : جمع ومفرده شماس : إحدى المراتب الدينية لدى الكنيسة النصرانية .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٧ .

يفوتهم ، ويصير أصحابنا من وراء ظهورهم ونكمن نحن لهم من أيمانهم وعن شمائلهم ثم نطبق عليهم . قال : فاستحسن رأيه وجرّد معه ألفي فارسٍ من بجيلة[1] والسكاسك[2] وحمير[3] . وكتب كتاباً إلى عبد الله وسهيل وأمرهم باللحوق بعسكر خالد يفعلان بما وصّاهما ، وبعث الكتاب إليهما مع سُراقة[4] بن دارم العذري . فوصل إليهما من يومه على ناقة له . فلما قرأ عبد الله الكتاب ارتحل من ساعته ، واطّلع أصحاب رسول الله ﷺ على الخبر ، فلبسوا وتأهبوا وركبوا ، وأنفذ عبد الله بن عتبان عيونه يتجسسون له خبر العدو .

قال الواقدي رحمه الله : وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فإنه انفصل عن عياض بن غنم الأشعري في ألفي فارس ، ولم يأخذ بهم على الجادَّةَ بل بعث ألفاً عن يمين الطريق وأمَّر عليهم سعيد بن عبيد القاري[5] ، وكان ممن حضر فتوح الجزيرة ثم انتقل إلى فتوح العراق . قال الواقدي رحمه الله : ويقال : إنه حضر القادسية[6] وقتل هنالك فيمن قتل . هذا في رواية سيف ، وأنه لم يحضر الجزيرة . وإن خالداً منه على الجانب الأيمن ، ونَجيبَه ابن سعيد بن عبيد القاري وأخذ خالد عن يسار الطريق ، وأمر نجيبة[7] بن سعيد بن

---

(١) بجيلة : قبيلة عربية كبيرة تنتسب إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي الأزد بن الغوث ، نزلت هذه القبيلة الكوفة وشاركت في الفتوح ومنها جرير بن عبد الله البجلي صاحب النبي ﷺ / انظر : اللبباب لابن الأثير ١/ ١٢١/ .

(٢) السكاسك : قبيلة يمانية وهي بطن من كندة شاركت في فتح الشام / اللباب لابن الأثير ١/ ١٢٣ .

(٣) حمير : قبيلة عربية يمانية كبيرة جداً شاركت في فتوح الشام ومنها كعب الأحبار / اللباب ١/ ٣٩٣ .

(٤) سراقة بن دارم العذري : لم أقف على ترجمته .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٥٨/ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(٦) القادسية : بلدة كبيرة وهامة في العراق ، قرب الكوفة ، اشتهر أمرها في الفتح العربي للعراق وكانت بها معركة فاصلة بين العرب والفرس / الديارات ٢٣٣/ .

(٧) نجيبة بن سعيد بن عبيد القاري : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٥٨ .

عبيد القاري ، أن لا يبتعدوا وبثّ عيونه أيضاً .

قال : حدثنا الدَّقيلُ بن ميسور عن من حدَّثه قال : إنه لما سار عمودا وتوتا وردوس في العشرين ألفاً إلى لقاء أصحاب رسول الله ﷺ لم يزالوا سائرين إلى أن بقي بينهم وبين عسكر عياض بن غنم عشرة فراسخ ، فنزلوا في موضع من التعب . ليعلقوا خيولهم ويلبسوا سلاحهم ، وقد صار جيش عبد الله بن عتبان من ورائهم فيمن تبعه وصار خالد عن أيمانهم ونجيبة بن سعد عن شمالهم ، وليس عند الروم من ذلك خبر فلما علم خالد بن الوليد أن أصحابه قد أحدقوا بالقوم . بعث إليهم أن تأهبوا لوقوع الصوت . قال : فتأهبوا ثم إن خالداً أخذ خمسمائة من أصحابه وأصحاب رسول الله ﷺ وهم أرباب الحرب وليوث الطعن والضرب وترك الخمسمائة الأخرى مع عَدي بن سالم الهلالي (هلال النخع)[1] . وقال : إذا رايت الحرب قد اشتعل نارها وتطاير شرارها فأخرج من مكمنك . ثم إن خالداً قصد جيش العدو بمن معه[2] وتظاهر لهم بمن معه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير . قال : وسمعت الروم أصواتهم فركبوا ولسلاحهم تنكَّبُوا وابتدر منهم رودوس بن كيلوك في أصحابه وهم خمسة آلاف مزاحِيْنَ العِلَّة . ولم يكن فيهم متيقظ سواه ، وتوتا مشتغل مع عمودا ابن الملك .

قال : وإن صاحب حرَّان رودوس استقبل خالد بن الوليد ، وقد استصغر شأنه لما رآه في شرذمة قليلة من الخيل ، فطمع فيه واستغلت الروم بنظرها إليهم ، وقالوا : رودوس يكفينا أمرهم . قال : فبينما هم فيما هم فيه إذ صاح خالد بن الوليد بعدو الله رودس وانْحطّ عليه كانحطاط العقاب على صيده . وأنشد وجعل يقول[3] : [من البحر الطويل]

---

(١) هلال النخع : قبيلة النخع من القبائل اليمانية وهي من مذحج ونزل أكثرها بعد فتح العراق في الكوفة وهلال أحد بطون النخع . / اللباب ٣/ ٣٠٤/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ .

(٣) انظر الأبيات في : فتوح الشام للواقدي ٢ , ٧٤ .

وإنَّـــا لَقَـــومٌ لاتكـــلُّ سُيـــوفُنَـــا من الضَّرب في أعناقِ سُودِ الكتائبِ
سُيـوفٌ دَخَـرنَـاهـا لقتـل عَـدُونَـا وإعـزازِ ديـن الله فـي كـلِّ جـانـب
قتلنـا بهـا كُـلَّ البَطـارقِ عُنـوَةً وأَخلي دُسُوت المُلك من كُلِّ غالبِ
إلـى أن مَلكنَـا الشـام قهـراً وغلظـةً وصُلْنَـا علـى أعـدائنـا بـالقَـواضـبِ
أنـا خـالِـدُ المِقْـدادُ ليـثُ عشيـرتـي إذا ماهَمَتْ أُسْدُ الوَغَى في المغالبِ

قال : ثم قصد رودوس بحملته وفاجأه بطعنته بألقاه صريعاً ، ثم نزل واستوثق من كتافه وسلَّمه إلى عبده همَّام ، ثم حمل[1] في أصحاب رُودوس وساعده أصحاب رسول الله ﷺ . قال : فبينما هم في الحرب إذ خرج نجيبةُ من مكمنه ، وعديُّ بن سالم ، ومن ورائهم عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي وأمتلأت الأرض بالزَّعقات وارتجَّت سائرُ تلك الجهات ، وصدموهم بالخيل الصَّافنات وضجُّوا باسم خير الأرض والسَّموات ، وأطبقوا عليهم من كل مكان وجانب ، وكان التوفيق للصحابة خير مجانب ، فما قدرت الروم أن تركب على خيولها ، وتتقدم إلى الحرب وسجالها ، إلا والسيف يعمل فيهم ؛ وأي عمل ومواليهم يستوثقُون من الروم بالشَّدِ ، وأُسر توتا والملك عمودا ، وأسر معهم أربعةُ آلاف أسير ، وأُحصي من قتل وإذا هم ألفان وسبعمائة وستة وستون رجلاً ، وولّى الباقون الأدبار ، ووصلوا إلى الملك شهرياض ، وحدَّثوه بقصَّتهم فضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وعلم أن دولتهم قد انقرضت ، وأيامهم قد انصرمت . فاستشار أرباب دولته ، فقالوا : أيها الملك مُقَامنا على مغارة النُقب أعظم الخطر[2] . وبيننا وبين حرّان والرُّها وسروج بعيد ، وتطمع فينا العرب والرأي أن نكون في أوسط بلادنا وتبقى القلاع عن أيماننا وشمالنا والميرة[3] تقصدنا من كل مكان . والرأي أن نرحل إلى مرج رعبان[4] . فإن

---

(١) انظر خبر الوقعة : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ .
(٣) الميرة : تأمين أرزاق الجيش وعلوفات خيولهم .
(٤) مرج رعبان : سهل فسيح يتبع لمدينة رأس العين ، وجرت فيه المعركة الكبرى بين=

كانت لنا وانهزمت العرب ، أخذنا عليهم سائر الطرقات ، وقتلناهم حيث وجدناهم . وإن كانت علينا انهزمنا إلى ماردين ، وكفرتوثا وقصدنا جملين وتل توتا[1] والبارعية وتل القرع والصُّور ، ودجلة الجبل ونأمن على أنفسنا .

قال : فأجابهم إلى ذلك وارتحل من مرج الطير وقصد إلى رأس عين . ورتب آلات الحصار وترك في المدينة عشرة آلاف فارس مع مَريَمْتُوسُ بن أَخبريُوش ، وكان فارساً مذكوراً وبطلاً مشهوراً ، وهو زوج ابنة الملك شهرياض . فلما وفق أموره ، رحل حتى نزل مرج رعبان .

قال : حدثنا أبو يعلى وهو أبو زُغْبةُ العَبْدي قال : حدثني طاهر بن سيد المسوْعي قال : أخبرني أبو طلحة بن مُليحة العُشَاري قال : أخبرني وهبان بن بشر بن هزاد الصَّريفيْني قال : قرأت الفتوح كلَّه على أحمدَ بنِ عامرٍ الحوفي بجامع البصرة . وأحمد قرأه على سعدان بن صاحب ، وصاحب قرأه على يحيى بن سعيد المروزي ، ويحيى قرأه على محمد بن عمر الواقدي . وهو يومئذ قاضي الجانب الغربي . قال : لما نزل الملك شهرياض بجيوشه على مرج رعبان ارتحل في إثره عياض بن غنم الأشعري ، بعد أن كتب بخبر الوقعة وكَونها وفتح زبّاء وزلابيا وجميع الخابور إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله الدعاء وبعث الكتاب[2] والخمس[3] مما ملكه من قلعة زبّاء زلابيا وقرقيسياء مع حبيب بن صَهبان ، وضمّ إليه مائة فارس من اليمن .

= المسلمين والروم بقيادة شهرياض صاحب رأس العين ، وعياض بن غنم أمير جيش المسلمين . / انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤/ .

(١) تل توتا : يقع في كورة كفرتوثا . من أعمال الجزيرة الواقعة بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٤/ ٤٦٨ والأعلاق الخطيرة ٣/ ٧ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٧ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٣) الخمس : يقصد خمس الغنائم التي كان يغنمها المسلمون وهو نصيب بيت المال بالمدينة ويرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب .

ولما قرب عيَاضُ بن غَنم من عين وردة وأراد النزول عليها قال له خالد والنعمان وعبد الرحمن بن مالك الأشتر : أيها الأمير ليس هذا صواباً ، وإن أنت نزلت على المدينة أَخْرَقْتَ بِحشْمَتها ، لأن البلد حصين بالرجال مانع من جميع الأحوال وهي فُرضة أهل ربيعة ودار الملك بها ، وليس يُسلِّمَوها أبداً ما دام عسكرهم وصاحبُهم على حاله . ومن طريق الرأي أنَّا نسير إلى عسكر القوم ، ونلقاهم بعزم وافر وحزم حاضر ، فإذا هزمهم الله تعالى وفضَّ جيوشهم ، واستمكنَّا شأفتهم وملكهم كانت البلاد بأيدينا وفي حكمنا . قال : فاستصوب رأيهم وارتحل إلى أن نزل مع العدو بمرج رعبان . قال : فنزلوا بالقرب منهم قال : واتصلت الأخبار بأرسيوس بن جارش صاحب ماردين ، فأحضر ابنته إليه وقال لها : يابنيّة اعلمي أن بعلك قد أُسِرْ وهو ابن الملك على كل حال ، ونحن نخاف العار على أنفسنا أن يقال : إن مارية ابنة أرسيوس ما كانت مُوفَّقة على ابن الملك ، وإنه لما تزوج بها أُسِرْ وقد حِرْتُ في أمري . فقالت له ابنته : وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلَّمت بالصدق وأنا أيضاً قلت مثل ذلك . ولقد رأيت رأياً يكون فيه الصلاح[1] . فقال : يا بنية وما هذا الرأي ؟ اعرضيه عليَّ فإن كان موافقاً أَعنْتُكِ عليه . قالت : أريد أن أتنكَّر وأَطلُبَ عسكر العرب ، وأقف بين يدي أميرهم وأعلمه أنني ابنتك ، وقد جئت أُسْلِمُ على أيديكم ، لرؤيا رأيتها وهي أن المسيح رأيته الليلة في النوم ومعه الحواريون ، وكأني أشكو إليه ما نزل بنا ، وكأنه يقول : أسْلمي فإن القوم على الحق ، وقد جئتكم مسلمةً على أنّي أملككم قلعة أبي وتتركوني أنا في قلعتي . فإذا قالوا : كيف تُملكينَا قلعة أبيك ؟ وهي أمنع الحصون وأحصن القلاع . أقول لهم : تبعثوا معي أفْرَسَ من في عسكركم من الرجال المذكورة أَحصّلُهم في قلعتي ، ثم أجعلهم في صناديق وأنفِّذُ بهم إلى قلعة أبي ، فإذا حصل القوم فيها ، ألقيتهم في الحبس . وأقول : لَسْتُ أدعكم إلا أن تنفِّذوا

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٥ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

لي بعلي . قال لها أبوها : تريدين أن تلقي نفسك للهلاك والعرب ما تتم عليهم الحيلة لأنهم أربابها . قالت : وإن طلبوا مني رهائن نفَّدت إليهم بها . فأنا أعلم أني إذا قبضت على أصحابه ، وبعثت إلى أميرهم في طلب بَعْلي ، وطَلَبَتُ رهينة بعث بها ، ثم يبعثوا به إلي . قال أبوها : فدبّري ما فيه الصلاح قال : فنزلَتْ في الليل وقصدت مرج رعبان ، ومعها خادم لها وأربعُ مماليك يسوقون بغلين عليهما هدايا وتحف ، وأموال وطُرف أخَذَتهُم معها هدية لعياض بن غنم[1] .

فلما وصلت إلى قرب العسكر ، التقت بغلمان أبيها وحاجبه معهم أربعون أسيراً من العرب ، منهم عبد الله بن ورقة وعبادة بن الصامت ، وحارثة بن مرة ، وعمر بن قادم ، وزهرة بن مالك وعدي بن قاسط ، وهلال بن مجيد ، وعلقمة بن زياد ، وطلحة بن مُقبل ، ومالك بن سعيد ، وأنس بن جُلْهم ، وبشر بن مروان ، ومسمار بن سَلَمة ، وطالب بن زياد ، وسَمُره بن مُحَلِلّ ، وقيس بن عجلان ، والمرقال ابن هاشم ، وعبد الله بن عتبان ومن تبعهم تمام الأربعين سيداً . وكان السبب في أسرهم ، أن عيّاض بن غَنم لما رحل يطلب رأس العين ، بعث هؤلاء السادة مع عبد الله بن عتبان ، ليشنُّوا الغارة على حرّان وسَروج والرُّها ليأتوا بالطعام للعسكر ، فساروا فلما توسَّطوا في البلد التقى بهم أكناسُ بن نقولا وجَرجيسُ بن شمعون صاحبُ حصنّ[2] أرجاس . ولما تملك المسلمون هذه البلاد ، ولى عليها عياض ابن غنم العَطيْرَ بن قاسم[3] الهَمَذاني ، فسمي الحصن باسمه وكان هذان الرجلان ، يعني أكناس ابن نقولا وجرجس قد أقبلا بميرةٍ عظيمة لعسكر شهرِياض الملك ، ومعهما

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٥ .
(٢) حصن أرجاس : انظر : ومراصد الاطلاع ١/ ٦٠ .
(٣) العطير بن قاسم الهمداني : لم أعثر على ترجمة له .

ثلاثة آلاف فارس مقنَّعين[1] بالحديد ، فلما وقعت العين على العين ، ونظروا قلة المسلمين لحقهم الطمع فيهم فأطبقوا عليهم من كل مكان فأخذوهم وأتوا بهم إلى الملك شهرياض ، فهمَّ أن يقتلهم[2] ، فقال له الوزير : أيها الملك ليس هذا برأي لأن ولدك عمودا بين العرب ، وورودوس صاحب حرَّان ، وتوتا صاحب (كفرتوثا) والحجّاب ، وإن أنت قتلتهم قُتلوا ، والصواب أن تُنفِذهم إلى قلعة ماردين ـ يعني قلعة[3] المرأة ـ وتسلِّمهم للملكة مارية فيكونوا تحت يدها ، وإذا نَفَّدت إليك العرب في طلبهم ، تقول لهم : إنهم في الموضع الفلاني ، فليس هم في أسرنا ولا نبالي بمن عندكم من أصحابنا ، فيكون أعظم للحشمة وأثبت للهيبة ، وأيضاً إنا لا نبالي بكم . قال : فاستصوب رأيه ونَفَّدهم إلى مارية مع حاجب أبيها ، فالتقت بهم في دنيسر كما ذكرناه فأمرت الحاجب أن يوصلهم إلى القلعة ففعل ذلك ، وسارت هي إلى أن وصلت إلى عسكر المسلمين ، فوصلت إليه ليلاً وسِرّاً على حالها ، وكان يطوف بعسكر المسلمين سُهيل بن عَديّ ونجيبة بن سعِد في ألفي فارس ؛ فلما رأوها قصدوا إليها وسألوها فقالت : أريد أميركم . فاتوا بها إلى عياض بن غنم ، فلما وقفت بين يديه قدمت الهدية إليه ، وهَمَّتْ أن تسجد كما يفعل الروم فنهاها عن ذلك . وقال : إنا قوم قد أعزَّنا الله تعالى بالإسلام ، وأنقذنا من الضلال بمحمد عليه السلام ، فأزال عن قلوبنا الغِلَّ والحسد ، واتباع الهوى وشرَّفنا بالتحية ، ونهانا أن يسجد بعضنا لبعض ، وإنما استنَّ هذا جبابرة الملوك وإن الله تعالى[4] يقول : « العَظَمةُ ردائي والكبرياء إزاري ، فمن شاركني فيْها

---

(١) مقنعين : أي يلبسون الدروع وأقنعة الحديد .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٥ وقد انفرد الواقدي بهذه الرواية .
(٣) قلعة المرأة : هي قلعة حصينة في ماردين تقع بين رأس العين ونصيبين وتقوم على قمة جبل عالٍ وتتبع حالياً لتركيا . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٥ .

قصمته » . قال : ومارية تسمع كلامه وتفهم ما يقول ، لأنها كانت فصيحة بكلام العرب . قال : فلما فرغ من كلامه قالت : أيها الأمير إن الله بهذا نصركم علينا . فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا مارية ابنة أرسيوس بن جارش صاحب ماردين ، وإنَّ الذي بأيديكم أسيرٌ عمودا بَعْلي ولا صبر لي عنه . وقد رأيت المسيح في نومي والحواريين[1] ، وأمروني باتباعكم . وقد أتيت إليكم في هذه الليلة ، أن أَتْبَعَ دينكم وأُسَلِّمَ إليكم القلعتين كلاهما ، على شريطة أن القلعة التي بيدي أكون فيها مع بعلي ، لا تزحزحنا عنها ، وأكون الحاكمة على أهل بلدي . فتبسَّم الأمير عياض من قولها . وقال : يا مارية أما إنَّك ما أتيتني إلا لتنصبي علينا الحِيَلْ بسبب بعلك ، وكيف يكون زوجك ؟ وهو ولدك ، وحديثه كذا ؛ فلما سمعت الحديث منه انخطف لونها وتزعزع لونها . وقال : يا سيدة قومها من أين لك عمودا أن يكون ولدك ؟ وهو ولد الملك شهرياض . فقال لها عياض رضي الله عنه : إني رأيت نبيي البارحة وحدثني بذلك كله . وقالت : يا مولاي إني أريد أن أراه فلي فيه علائم . فأمر عياض بإحضار عمودا فجيء به . فلما نظرت إليه ، ووقع نظرها على الشَّامة التي على خَدِّه[2] وزيادَة أُذُنِه ، ونَظرت عِصَابته التي عصَبته بها ليلة بَعثَتْهُ مع الدَّاية لترميه على الطريق ، صاحت صيحة عظيمة ، أذهلت من حضر بصرختها ، وترامت عليه ولزمته وقالت : والله ولدي لا شك فيه ، وقد صدق محمد في قوله وكذبتُ أنا في قولي الذي جئت به . قال : وإن الغلام نظر إلى أمه فتحرك الدم بينهما فوقع أيضا مغشياً عليه . فلما أفاق ، بكيا جميعاً بكاءً شديداً .

قال عياض رضي الله عنه : عليكما أن تُوحِدّا ربكما وتشكراه على ما أنعم عليكما به ، فإنه يزيد الشاكرين ، ورحمته قريبة من المحسنين ، ﴿ ولا يُرَدُّ

---

(١) الحواريون : هم تلاميذ السيد المسيح عليه السلام .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٥ ، ٧٦ .
ولم أجد هذه الرواية في مصادر أخرى .

بأسه عن القوم المجرمين ﴾ [الأنعام : ١٤٧] . ليس له نِدٌّ ولا قَدٌّ ولا قَبلُ ولا بَعدُ ، هو الأوّلُ وعليه المعَوّل ، وهو الآخر وله المفاخر . قال : فلما سمع عمودا قوله . قال : والله ما قولكم زورٌ ولا محالٌ ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فلما رأت أمُّه مارية إسلامه ، وافقتهُ في الحال ، وعرّجت عن طريق المُحَال ، وشهدت لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة . فقال عياض ومن حوله : تقبّل الله منكما اسلامكما ووفقنا وإياكما ، واعلما أن الله تعالى قد طهّر قلوبكما ، وغفر ذنوبكما . فاسْتَأنِفَا العملَ فقد هداكما الله عز وجلَّ ، لكن كيف السبيل إلى هذه القلعة المانعة ؟ فقالت : أبشر فإن أصحابكم عندنا وقد التقَيتُ بهم قبلَ وصولي إليكم[1] . وهم أربعون رجلاً وقد أُسِرَوا عند حرّان ، وقد وَجّه بهم إليَّ الملك شهرياض لأفديَ بهم منكم هذا الغلام عمودا ، وقد وجهت بهم إلى قلعتي ، وها أنا أسير إليهم وأخلّصهم وأحصِّلُهم في قلعة أبي ، وأفكُّ أسرهم وأملك بهم القلعة إن شاء الله تعالى . فقال لها عياض : ولقد صَعُبَ علينا أسر أصحابنا ، ولكن قد طاب قلبي بما حدثتني به لكون أنّهم عندك ، ومن الصواب أن تَدَعيْ ولدك عندنا وترجعين إلى أبيك وتقولين له : قد أسلمتُ على يد أمير القوم ، وقلت له : أريد أن أُسَلِّمَ إليك قلعتي وتَمَنُّ عليَّ ببعلي ، وقد طلب مني الرهائن ، وإذا حَصَلْتِ عند أصحابنا فافعلي ما فيه الصَّلاح . فقالت : السّمع والطّاعة . ثم إنها ودّعت ولدها والمسلمين ورجعت من ليلتها إلى ماردين ، فوجدت أباها قد نزل على مرج رعبان ، لخدمة الحاجب والملك الذي لقيته ومعه الأربعون أصحاب رسول الله ﷺ ، قد حصَّلهَم في قلعة أبيها ، وحَصَلُوا في قبضته ، وكان الحاجب من العقلاء الألبّاء ، ممن قرأوا التوراة والانجيل ، وكان راهباً في مبدأ أمره وكان له صومعه بداره ، مما

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٦ .

يلي شرقي المدينة بالقرب من المنشار[1] ؛ وكانت الصومعة عموداً من الرخام قائماً أطول ما يكون من العُمُد ، وقد صَنَع على رأس العمود قاعدةً عظيمة ، وعقد بأعلاها قبة وكان يصعد إليها بِسُلَّم من الأَبْرَيْسَمِ[2] منصوباً بأعلى القبة وله سِكَّتانٌ[3] في الأرض . وكان إذا حصل في القبة انتزع السَّكتان وأخذ السُّلَّمَ إليه . فإذا أتوه بقربان وضعوه في زنبيل[4] رفعه إليه . وشاع ذكره بالرهبانية والعبادة . فلما توجه المسلمون إلى بلادهم وفتحوا الخابور صلحاً ، التأمت حول ديره العَوام والبطارقةُ ، وقالوا : يا أبانا ما الذي تشير به علينا ؟ فإن العرب قد توجهت إلينا وقد فتحوا الشام وأكثر العراق ، وحصلوا في أرضنا فما الذي نصنع ؟ قال : فأطَّلع عليهم من قبَّتِهِ وقال : يا معاشر الرُّوم ما زالت أنْعُمُ الله عليكم ظاهرة وباطنة ، مكَّنكَم في البلاد ، وذلَّل لكم رقاب العباد ، ونصركم على سائر الأمم . وردَّ عنكم سَوْرَةَ[5] العَجَم ، ومهَّد لكم الأرض في الطول والعرض . إذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتردُّون المظالم وتحكمون بالحق ، وتتَّبعون شريعتكم وتَزجُرون أنفسكم عن أكل الحرام ، واتباع الزنا وأكل الربا ، فلما غيَّرتم غَيَّرَ بكم ؟ وفي انجيل يوحنا وانجيل مرقس مكتوبُ : من اتبع سبل الحق ، وعوَّد لسانه الصِّدق وفعل بأوامر ربه ولزم نفسه ما يعنيه ، ولم يبخس الناس أشياءهم وداوم على صلاته ، ودوام على أوامر شريعته ، ولم يتبع هواه بلغ من عمره ما يتمنى ، ومن جار وظلم

---

(١) المنشار : اسم موضع بجانب مدينة ماردين .
وانظر فتح ماردين في : كتاب الخراج لأبي يوسف ص٣٩ ، ٤٢ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٢) الابريسم : نوع من الخشب والكلمة فارسية الأصل .

(٣) سِكَّتان : مجريان لتثبيت السلم في الأرض .

(٤) زنبيل : وعاء يصنع من القش يستخدم في حفظ الأغراض وحملها ويشبه (القفة) في أيامنا . والكلمة معربة .

(٥) سَوْرَة العَجَم : هي غَضب العجم وسطوتهم .

وبَغَا وتَفَشْرَمَ[1] وتحايد عن الحق وتَغَلْثَم[2] كان فناؤه عاجلا[3] ولنفسه بيده قاتلاً ، وخربت داره ، وعَجِّلَ دماره ، وكان الخوف شعاره ونار الجحيم دثاره ، وفي التوراة مكتوب : ولا تظلموا إن الله لا يحبُّ الظالمين ، وقد بلغني في كتاب المسلمين ﴿ إن الله لا يُصلحُ عمل المفسدين ﴾ [يونس : ٨١] . فأصلحوا ذات بينكم ، واجعلوا تقوى الله نصب أعينكم ، وقاتلوا عن أهلكم وحريمكم ، واتبعوا شريعة نبيكم ، واخرجوا إلى جهاد عدوكم ، فإن الجهاد اليوم أفضلُ العبادات المأمور بها ، فإن من جاهد أعداءه كانت الجنة مأواه ، وإني نازل من صومعتي فلا يتخلفنَّ أحد منكم . ثم إنه أرسل سُلَّمَهُ وتَسَبْسَبَ[4] معه ، فلما نظروا إليه قد نزل ، أقبلوا يسلمون عليه ، ويقبلون يديه ورجليه . فأقبل بهم إلى كنيسة (دَمائر)[5] ، وكنيسة (بَاذا)[6] فصلى بهم ودعا لهم ، وقصد بهم إلى بيعة كَونا[7] ، وبيعةِ السيدة[8] ، وبيعة بَرسُوما[9] ، وبيعة سَرجَى[10] ، وبيعة الأنوار[11] وبيعة يوحنّا[12] وبيعة

---

(١) تغشرم : غشرم ، وتغشرم البيد ؛ ركبها وزجل غشارم : جرئ ، انظر لسان العرب (مادة غشرم) ١٢/ ٤٣٨ .

(٢) تغلثم : وهي تغلصم ، مفردها غلصم والجمع الغلاصم وبه الموضع الناتئ في الحلق أو رأس الحلقوم انظر : لسان العرب مادة غلصم ١٢/ ٤٤١ .

(٣) فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٦ .

(٤) تسبسب : هبط ونزل . والسَّبَبْ : هو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره .

(٥) كنسية دمائر : احدى كنائس ماردين ، انظر الواقدي فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٦) كنيسة باذا : إحدى كنائس ماردين . انظر الواقدي فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٧) بيعة كونا : من الأديرة الواسعة في كورة ماردين انظر : فتوح الشام للوافدي ٢/ ٧٧ .

(٨) بيعة السيدة : من الأديرة الواسعة في كورة ماردين انظر : فتوح الشام للوافدي ٢/ ٧٧ .

(٩) بيعة برسوما : هو أحد ديورة ديار بكر وقرب ملطية قام على قمة جبل وعنده منتزه وفيه رهبان كثيرون / معجم البلدان ٢/ ٥٠٠ .

(١٠) بيعة سرجي : أحد أديرة ديار بكر . انظ رفتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(١١) بيعة الأنوار : أحد أديرة ديار بكر انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(١٢) بيعة يوحنا : أحد أديرة ديار بكر ، انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

كريان[1] ، وبيعة الذَّهب[2] ، وبيعة ماريُوش[3] ، وبيعة انطَسيس[4] ، فصلى بهم ووعظهم وأمرهم بالجهاد ، ثم قصد بهم إلى دير مر[5] ملُوخ وهو قِبْلَة من دارا عند ميدان الروم ، مما يلي باب عَمُودًا ، وقال : ليس هذا وقت العبادة ، وما زال مُذْ نزل عن صومعته يسير حتى وصل إلى نصيبين ، وخرج إلى لقائه الملك قرياقس ، فترجل له وصافحه ، وسار بين يديه إلى البيعة المعظمة عندهم ، وهي بيعة مريم[6] ، ثم زار دير يعقوب وهرع إليه أهلُ[7] نصيبين فوعظهم وأمرهم بالجهاد ، ثم خرج منها إلى بيعة صَهْيا[8] وبيعة نَسطُور[9] وبيعة قَلْيَان[10] اليوناني وكانت تعرف ببيعة المعمدان وهي الجامع اليوم ، فصلى بها ولم يترك بنصيبين بيعة إلا صلَّى فيها ولا ديراً إلا صلى فيه ، ثم قصد الدير الكبير على الجبل وصلى فيه ، ونَفَّذَ أهله للجهاد وكذلك بمَعْرين[11] وما يليها ثم عاد إلى نصيبين ، ونزل فيها بدير بباب الروم وهو اليوم مسجد[12]

---

(١) بيعة كريان : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٢) بيعة الذهب : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٣) بيعة مريوش : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٤) بيعة انطسيس : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٢/ ٧٧ .

(٥) دير مرملوخ : دير كبير يقع إلى الجنوب من دارا / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٧/ .

(٦) بيعة مريم : في مدينة نصيبين بناء قديم محكم تقع في الجهة الغربية من المدينة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٨ وهناك بيعة مريم في مدينة آمد .

(٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٧ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٨) بيعة صهيا : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٨ .

(٩) بيعة نسطور : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٨ .

(١٠) بيعة قليان اليوناني : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٨ .

(١١) معرين : انظر ص١٤٦ وفتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ .

(١٢) مسجد كندة : من أكبر مساجد نصيبين وهو المسجد الجامع فيها . وينسب إلى قبيلة كندة المشهورة .

كندة . وكان يقال له : دير القربان ، ثم اشترى له لأَمَةَ حربٍ وجواداً وقصد رأس العين . وبلغ خبرُهُ أَرسيوس بن جارش فطلبه من الملك شهرياض أن يكون من أصحابه ، ويتبرك بكونه عنده ، ويَستعملَ رأيه ومشورته .

فلما أُسِرَ عبد الله بن عتبان ، ومن معه بعثه الملك ، مع الراهب ميشا بن عبد المسيح . والتقته مارية في الطريق على ما ذكرنا ، وأمرته أن يمضي بهم إلى قلعتها . فلما انحرف عنها لقيه أبوها في عسكره ، وهو يطلب عسكر المسلمين ، والراهب معوِّلٌ على قلعة مارية ابنة الملك ، فسلم عليه وأخبره بقصته ، وأن الملك قد نَفَّذني إليك لأكون عندك ، وأنا ميشا بن عبد المسيح ، فلما سمع أرسيوس قوله فرح به وقال : أنا لك وبين يديك ولستُ أستغني عن مثلك . ولكن انطلق بهؤلاء المحمَّديّين[1] إلى أعلى قلعتي وكن أنت على حفظهم حتى يأتيك أمري ، وهذا خاتمي معك إلى والي القلعة .

قال : فانطلق ميشا إلى أن صعد بهم إلى باب القلعة[2] وسلَّم خاتم أرسيوس إلى الوالي . قال : فَبَاسَهُ وجعَله على رأسه ، وأمر ميشا أن يصعد بهم القلعة ففعل ذلك ، وأقام ميشا على حفظهم ، وجعل ينظر إلى حسن عبادتهم وصلاتهم وجودة تلاوتهم فاقبل عليهم ميشا ، وقال : أخبروني كم افترض الله عليكم من الصلوات ؟ فقال عبد الله بن عتبان : خمس صلوات في اليوم والليلة فمن أتى بهنَّ بإتمام ركوعهنَّ وسجودهنَّ على الكمال لم يرد النار . قال الله تعالى في كتابه : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾[3] وقال نبينا ﷺ : « الصلاة صلة بين العبد وربه فيها إجابةُ الدُّعاء

---

(١) المحمديون : المسلمون أتباع النبي محمد بن عبد الله ﷺ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٧ .
وانظر ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ص١٣٢ .
وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٣٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

وقبولُ الأعمال وبركةٌ في الرزق وراحةٌ في الأبدان ومهادٌ في القبور وجواب مع منكر ونكير وسِتْرٌ بينه وبين النار وتثقيلٌ في الميزان وجوازٌ على الصراط ومفتاح إلى الجنة » .

وهذه الصلوات فرضت على جميع الأمم ، فردُّوها وقصَّروا فيها حتى فرضها الله تعالى علينا فأديناها ، والصلاة الجامعة للطاعات فمن جملتها الجهاد ، فإن المُصَلي يجاهد عدوين الشيطان ونفسه وفي الصلاة والصوم فإن المصلِّي لا يأكل ولا يشرب ، وزاد عن الصيام بمناجاته لربِّه وفي الصَّلاة والحج ، فإن الحج هو القصد إلى بيت الله ، والمُصَلي قصد ربَّ البيت وزاد على الحاج بالقرب من ملكوت ربه ، قال الله تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾[1] وقال نبينا ﷺ : « جميع المُفْتَرَضَات افترضها الله تعالى في الأرض إلا الصلاة ، فإنه افترضها الله تعالى عليَّ وأنا واقفٌ بين يديه وقال لي : يا محمد هذه الصلاة افترضْتُها على جميع الأنبياء ، وأمروا الأمم أن يمتثلوها ، فلم يأتوا بها فأمَّا قوم موسى فعملوا منها قيراطاً ، وأما قوم عيسى تركوها وأما أُمَّتُكَ فقد سَلَّمتها إليهم وجعلت جميع الطاعات كُلَّها في الصلاة »[2] .

وقال ﷺ :[3] « أتاني جبريل عليه السلام فقال لي : يا محمد قُمْ فاصنع مثل ما أصنع فَتَقَدَّمني وصلى فيَّ ركعتين ، وقال لي يا محمد هذه صلاة الصبح وهي أول صلاة صلاَّها ولذلك سَمَّاها الأولى . ثم صلى بعدها صلاة أخرى ، إذا صار ظلُّ كلُ شيء مثله . ثم قال : يا محمد ما بين هذين وقتٌ ثم صلى في المغرب والشمس قد غربت وقال هذه المغرب ثم صلى بي عند مغيب الشفق وقال هذه العِشاء الآخرة . ثم صلى بي الفجر وقال هذه الصبح » وقال

---

(١) سورة العلق الآية ١٩ .

(٢) انظر الحديث في : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ٧/ ١٩٦٨٥ و٩/ ٢٦١٠٦/ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ٧/ ٢٠٠٩١ ، ٢٠٠٩٢/ .

نبينا ﷺ[1] : « فُرِضَتْ عليَّ الصَّلاة مَثْنى مَثْنَى فَزِيدَ في صلاة الحضر وتُرِكَتْ صَلاةُ السَّفر على حالها » فقال ميشا لعبد الله بن عتبان : يا أخا العرب ما معنى رفع أيديكُم في الصلاة والتكبير ؟ قال : ألم تر أن الغريق إذا غرقَ يرفع يديه لعله يجدُ شيئاً يتعلق به ، وكذلك إذا دخل العبد في الصلاة فهو غريق في بحار الخطايا والمعصيةُ هاربٌ منكَ إليك[2] أما معنى القراءة في الصلاة فهو عتاب بين العبد وربه ، وأما الركوع فهو أن العبد يقول : أنا عبدك أنا عبدك ، وقد مددت عنقي ، والرفع من الركوع وقول العبد ربّنا ولك الحمد على عتق رقبتي من الذنوب ، يقول الله حينَ يقول العبد : أنا عبدك : قد أعتقتك من ربقة الذنوب . عندها يقول العبد : ربنا ولك الحمد ، وأما معنى السجود فالسجدة الأولى : اللَّهم منها خلقتني ، والرَّفع منها أخرجتني . والسجدة الثانية فيها تعيدني ، والرفع الثانية منها تخرجني تارة أخرى ، ومعنى السلام على اليمين اللهم أعطني كتابي بيميني والسلام على الشمال ولا تُعطه بشمالي »[3] .

ولما حضرت وفاة رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الله والصلاة وما ملكت أيمانكم » وقال ﷺ : « من[4] حافظ على الصلوات الخمس بفرائضها وركوعها وسجودها حرَّم الله جسده على النار » وقال ﷺ[5] « مثل الصلوات الخمس مَثَلُ نهرٍ عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فلا يبقى من دَرَنه شيئاً فكذلك الصلاة لا تبقي على العبد خطيئة » قال : فلما سمع الراهب ميشا قول عبد الله بن عتبان . قال : أشهد أن دينكم

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٧ .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٨ .
(٣) انظر الحديث في : كنز العمال / ٩/ ٢٥٠٠٣ .
(٤) انظر الحديث في : كنز العمال / ٧/ ١٩٠٥١/ .
(٥) انظر الحديث في : كنز العمال / ٧/ ١٨٩٣١/ .

هو الحق وقولكم هو الصدق ، ثم أسلم وحسن إسلامُه[1] .

وبعد أيام وصلت مارية من عسكر أصحاب رسول الله ﷺ ، وعرَّجت عن قلعتها إلى قلعة أبيها ، لما علمت أن الصحابة هنالك ، فلما صارت بأعلى القلعة ونزلت في دار أبيها ، جعلت تفكر في خلاصهم ، وكيف تملكهم قلعة أبيها ، وباتت على قلق من ذلك . فلما كان من الغد ، دخل عليها ميشا بن عبد المسيح ، فسلم عليها وباسَ يديها ، فقالت : يا ميشا ما الذي صنعت بالعرب ؟ قال : قد استوثقت منهم ، ووكلت بحفظهم حتى يرى الملك رأيه فيهم . قالت : ما قصَّرت ولكن اجعلهم في البيعة التي معنا في القلعة حتى يروا حسن عبادتنا ، وقراءتنا الانجيل فلعلهم يرجعون إلى ديننا . فقال : السمع والطاعة . ثم خرج من عندها وخلَّصهم ، وجعلهم في البيعة كما رسمت ، فلما كان من الليل خرجت من دار أبيها ، ودخلت البيعة ، ونظرت إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم في القيود ، ولم يكن هناك سوى ميشا ، قالت : يا أبانا أنت الآن من علماء ديننا ، ولا يخفى عليك الحق مع من هو ، معنا أو معهم ؟ فقال : أيتها الملكة ليس على الحق من خفاء ، والحق مع هؤلاء العرب ، والذي جئت فيه فأنجزيه من قبل أن تطلبي الأمر فلا تقدري عليه ، وقد رأيت بيان صدق القوم حين جمع الله بينك وبين ولدك عمودا . فلما سمعت ذلك من ميشا بن عبد المسيح بقيت باهتة ، ثم قالت : من أين لك بيان ما ذكرت ؟ قال : رأيت[2] ذلك مناماً ، وحدَّثها كأنه حاضر مع القوم . قال : فسجدت شكراً لله تعالى ، فلما رفعت راسها وثبت قائمة ، وأمرت ميشا ففتح قيود أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم سلَّم إليهم لأمَة حربهم فلبسوها ،

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٨ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٨ .

انظر فتح ماردين في : ابن شداد الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢/ ٥٤٥ وابن العبري تاريخ مختصر الدول ص١٠١ وابن خلدون تاريخه ٢/ ٤/ ٩٥٥ .

وقالت : اجعلهم في موضع خفيٍّ إلى الليلة الثانية ، ودبر كيف تقبض على الوالي ؟ . واملك القلعة بهم وها أنا سائرة إلى قلعتي . ثم خرجت من عنده من البيعة ، وأمر ميشا بعبد الله وأصحابه إلى مكان لا ينظر إليه أحد . ولما كان من الغد نزلت مارية وقصدت قلعتها واستوثقت منها ، وأبعدت من تخاف منه ، فلما جنَّ الليل وكانت ليلة الأحد ، صلى الوالي وأصحابه معه في بيعة القلعة ، ثم خرجوا منها ينظرون الصباح . وكان ميشا قد حصَّلَ أصحاب رسول الله ﷺ في بيت المذبح[1] . وقال : إذا كانت الغداة وأقبل الوالي وأصحابه ، فاخرجوا عليهم إن شاء الله تعالى ، والله يوفقكم وينصركم .

قال الواقدي رحمه الله : فلما كان من الغد استوثق الوالي من أبواب القلعة ، وصعد هو وأصحابه وخواص قومه إلى البيعة للصلاة ، وضربت الأجراس والنواقيس ، وجاء القس لفتح باب المذبح ليقرب القربان[2] ، فلما عَوَّلَ على فتح الباب خرج عبد الله بن عتبان رضي الله عنه هو وأصحابه وكبروا تكبيرة واحدة دَوَّت لها القلعة وما فيها ، وبذلوا فيهم السيف فقتلوهم[3] عن آخرهم واحتووا على القلعة وما فيها ، وسمع أهل الربض التكبير من الصحابة فعلموا أنهم قد ملكوا القلعة ، فولوا على وجوههم هاربين . قال : ولما سمعت مارية الصِّياح علمت أن قلعة أبيها ملكت ، فأمرت بأبواب قلعتها فغلقت ، بعد أن بعثت من تثق به إلى الأمير عياض بن غنم يخبره بالأمر . فلما بلغه ذلك ، سجد شكراً لله تعالى . ووصل أكثر المنهزمين إلى الملك شهرياض ، وأعلموه أن ماردين قد مُلكت ، فصعب عليه وكبر لديه وأيقن بتلف

---

(١) بيت المذبح : هو المكان الذي تقدم فيه القرابين في الكنائس والمعابد .

(٢) القربان : هو ما يتقرب به الإنسان من الخالق ، إذ يقدم شيئاً أو ذبيحة يتقرب بها إلى الله تعالى فتسمى قرباناً .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٨ .
وانظر معجم البلدان ، ياقوت ٥/ ٣٩ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

ملكه ، ووقع الرعب في قلبه وقلوب البطارقة ، وسمع أرسيوس أن قلعته قد مُلكت وخزائنه قد أُخذت ، فكتم أمره إلى الليل ، ثم أخذ أصحابه ومن هو في خدمته ، وركب وتسلل من العسكر وسار يطلب حران ، فوصل إليها من الليلة الأخرى . فلما قدم على الأبواب صاح أصحابه بالحراس وقالوا : افتحوا قد جاء البطريق رودوس ، يعنون بطريقهم الأول وقد تخلص من قبضة العرب ، فبادروا وفتحوا ، فدخل أرسيوس وملك المدينة . وبلغ الخبر صاحب الرَّها فاحتفظ على مدينته وشاع الخبر في تلك الأرض أن أرسيوس صاحب ماردين قد ملك حران بجملته فقصد إليه جميع أصحابه ، ومن يريد الديوان ، فصار في جيش عرمرم(١) .

قال : وكان لرودوس صاحب حران المقبوض عليه عند عياض بن غنم ولد شجاع ، وكان اسمه (ارجوك) وكان أبوه قد قبض عليه من قبل ، لأنه كان قد خاف منه فقبض عليه وحبسه في موضع يسمى العمق(٢) ، وكان له أم اسمها هريل مكين ، (معناه ست العسكر) ، وهي ابنة صاحب سُميساط(٣) ، وكانت قد مضت لزيارة أهلها ، وغضبت لكون أن ولدها مقبوض عليه ، فلما بلغها الخبر أن أرسيوس ملك حران صعب عليها ، فركبت وجاءت إلى العمق ، وحلَّت ولدها . وقالت له : إن حرَّان ملكها أرسيوس وتسلم خزائنها وأموالها . وقال لأمه : ابذلي لي خزائنك حتى تنالي مقصودك ، فسلمت

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٨ .
والجيش العرموم : الكثير العدد .
وانظر فتح قلعة ماردين في : تاريخ الدولة العربية ، عبد العزيز سالم ص٥١٤ ، ٥١٥/ وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ .

(٢) العمق : حصن يقع قرب البيرة على الفرات وحالياً في تركيا / الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٢٢ .

(٣) سميساط : مدينة هامة تقع شرقي جبل اللكام وبها قلعة حصّينة كانت تعرف بقلعة الطين / انظر مروج الذهب ١/ ١١٨ ، وبلدان الخلافة الشرقية ١٤٠/ .

خزائنها إليه وأموالها وجميع حالها . وقالت : أنفق واستخدم الرجال واجمع لك جيشاً ، وامض إلى لقاء هذا الرجل ففعل وبذل المال ، وأتت إليه الرجال ، إلى أن صار من الأرض في ثلاثة آلاف فارس ، وعبر الفرات يريد حرَّان . وبلغ الخبر إلى أرسيوس فخرج إلى لقائه ، والتقوا فوقعت الواقعة على صاحب ارجوك ، وبارز (ارجوك) ارسيوس وجرى بينهما حرب عظيم وأسر أرسيوس[1] ارجوك الأرمني .

٢ ـ فتح حرّان والرُّها

قال عبد الله بن أسيد الخولاني : حدثني سالم ابن ربيعة الدوسي قال : لما انتهت الأخبار إلى عياض بن غنم رضي الله عنه ، أن أرجوك الأرمني سار إلى لقاء ارسيوس الرومي . قال : فأحضر عياض بن غنم رودوس المأسور عنده وحدَّثه بما سمع من خبر ولده ، وأنه يريد أن يلتقي بارسيوس ، وأني قد عوَّلت على أني أقتلك ، إلا أن ترجع إلى ديننا قال : أيها الأمير إني لا أريد الرجوع أبداً ، ولكن إن أنت اصطنعتني ، سلَّمت إليك ما تحت يدي من القلاع ، ولعلي أملك حران ، فإن أهلها يرون دولتي ، لأني كنت شفيقاً عليهم محسناً إلى صغيرهم وكبيرهم ، وإن هم رأوني سلموا إليَّ ، وأنا أسلّم إليك على أن تعطيني السويداء[2] ونصيبين[3] الصغرى ، وأؤدي الجزية في كل عام . قال : فأجابه عياض إلى ذلك وأمر عبد الله يوقنّا أن يُحلِّفه بأيمان الروم . فأجابه إلى

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٩ .
وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص١٨٠ .

(٢) السويداء : مدينة هامة في الجزيرة وتتبع لديار مضر وهي بين آمد وحران وأهلها أرمن ونصارى فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم / معجم البلدان ٣/ ٢٨٦/ .

(٣) نصيبين الصغرى : هي نصيبين الروم مدينة على شاطئ الفرات فيها وبين آمد أربعة أيام ومن قصد بلاد الروم من حران مر بها لأن بينهما ثلاث مراحل / مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٧٤ .

ذلك وخلّى سبيله ، وبعث معه يوقنّا في ألف فارس من أصحاب الروم ممن أسلم ورد على رودوس خيامه وثقله وأصحابه ، وانسلوا في الليل من مرج رعبان طالبين حرّان . قال : فوافى يوقنّا ورودوس القوم في الليل ، وقد أسروا أرجوك ابن رودوس ، وعسكره على حاله . وقد بعث إليهم أرسيوس رسولًا يستدعيهم إلى طاعته ، وأن يكونوا من حزبه وينعم عليهم وينزل بهم وبعسكرهم على الرُّها ليخلصوها وتصير من تحت يده ، فقالوا : حتى ندبر أمرنا في ذلك ، فلما قدم رودوس ونظر إلى العسكرين والنيران تشتعل ، قال رودوس ليوقنّا : هذه النيران القريبة لا شك هي لعسكر ولدي ؛ ثم بعث[1] جاسوساً من أصحابه ليعلمه الخبر على حقيقته . فمضى الجاسوس ودخل في العسكر وغاب إلى أن قرب الفجر ، إلى أن يطلع ثم عاد . وقال : إن القوم قد عوّلوا أن يحلف لهم أرسيوس بن جارش ، ويكونوا من أصحابه . وقد تركت عشرين من جند الأرمن مع ولدك يخرجوه غداً إلى دير فرها[2] ، بين الرّها وحرّان حتى يتعاهدوا هنالك .

فلما سمع يوقنا ذلك تهلل وجهه فرحاً . وقال لرودوس : أبشر فإن القوم في قبضتنا ، ثم نهض بالألف يطلب دير فَرَها ، وبعث غلاماً من أصحابه كان يوقنّا ربّاه ، وكان من أهل الخاص ، وكان اسمه شامس ، وكان غلاماً لبيباً وقال : يا شامس انطلق إلى صاحب الرُّها وهو كيلوك وقل له : إن مقدمي الجيش من أصحاب ارجوك ، قد بعثوني إليك كي يكونوا من رجالك فإنك منهم وإليهم . وأرسيوس من الروم . وإن رجالًا منا يخرجون إلى دير فرها ،

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٩ ، والفتوح ، لابن الاعثم الكوفي ١/ ٢٥١ .
وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ / وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ١/ ٩٩ .

(٢) دير فرها : أحد الأديرة الهامة على لطريق بين مدينتي الرها وحران انظر فتوح الشام ٢/ ٧٩/ .

وأرسيوس يريد أن يمضي حتى يحلف لنا ونحلف له ، ونريد أن تخرج في مائتين من قومك وتكمن لنا بالقرب من الدير ، فإذا قدمنا فاخرج علينا . قال : فانطلق شامس إلى أن قدم على صاحب الرُّها وحدثه بما ألقى إليه يوقنا . وكان من قضاء الله وقدره ، أن الحيلة التي أرادها يوقَنّا وبعثها إلى كيلوك ، كان قد بعث بها مشايخ أرجوك صاحب الرُّها[1] ! فلما قدم شامس عليه من قبل يوقَنّا وحدثه بالحديث الذي ذكرنا ، فتأكد الحديث عند كيلوك الأرمني . وخرج في أربعمائة فارس من قومه بالدروع والجنائب[2] ، وصاروا طالبين دير فرها . ويوقنّا قد كمن بأصحابه الألف هنالك . وقدم كيلوك أيضاً فكمن بالبعد من مكمن يوقنا . قال : واختلس شامس منهم بالليل وأتى إلى يوقنا وحدثه بالحديث . قال : وأما ما كان من حديث ارسيوس بن جارس ، فإنه أنفذ رسوله إلى الأرمن أصحاب أرجوك ابن رودوس وقال : أنا أحلف لكم على ما تريدون . قال : فلما جنَّ الليل أخذا مائتين من غلمانه ، وأمرهم أن يلبسوا الدروع ويجنبوا الجنائب ففعلوا ، وساروا في أوساطهم . وأنْفَذَ إلى مقدمي الأرمن ، فخرج منهم عشرون مقدماً ، وساروا معه طالبين الدير ، وقد علموا أن كيلوك صاحب الرُّها ، قد كَمَنَ لأرسيوس ليأخذه ، فأمر أصحابه الثلاثة آلاف أن يَنْسَلَّ منهم ألف فارس من شجعانهم وأن يكونوا عوناً لكيلوك صاحب الرُّها . وقالوا لهم : إذا خرجتم عليه لا تخرجوا حتى تروا رجال كيلوك ، قد خرجوا عليه وازعقوا بشعاره كأنكم من أصحابه لعلنا نأخذه ونستخلص به أميرنا (ارجوك) من أسره ، فإن له علينا حقاً وقد استوثق منا بالعهود فإنَّا متى أَسَرَنَا هذا لا يتخلى عنا . قال : فانسلَّت الألف بالليل مخافة أن تعلم بهم جيوش

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٩ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ وانظر فتح الرها في : الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٢/ .

(٢) الجنائب : هي الخيول المسرجة الملجمة التي تسير في موكب السلطان أو الأمير زينة وتفاخراً من غير أن يركبها أحد . / النظم الاقطاعية ٤٧٧/ والسلوك ١/ ٤٣١/ .

ارسيوس[1] إذ هم بالقرب منهم . قال : ولما سار ارسيوس يطلب دير فرها ، وأبْعَدَ عن جيشه سمع عن يساره قعقعة اللجم . قال : فوقف هو ومن معه لينظروا مالذي دهاهم . وإذا هم بمائتي فارس من العرب أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان المقدم عليهم عمرو بن معدي[2] كرب الزبيدي . وكان السبب في ذلك من قدومهم ، أن عياض بن غنم رضي الله عنه ، لما بعث رودوس ومعه يوقنّا ، ساءَ ظنه من جانب رودوس وقال : إني فرطت إذ بعثت ولي الله مع عدو الله . فقال خالد بن الوليد : أيها الأمير لا تشغل قلبك من قبل رودوس ، فإن ملوك الروم إذا قالت وفت ، ويرى أحدهم العار على نفسه إن قال قولًا ولم يَفِ به . فقال : يا أبا سليمان إنه يجب علينا أن لا نَغْفَل عن صاحبنا ومن معه . ثم إنه أنفذ عمرو بن معدى كرب ومعه مائتي فارس ، وتسببوا من العسكر ليلاً ، وساروا طالبين حرّان والرُّها . فالتقوا في طريقهم بأرسيوس بن جارش وقد خرج بطلب دير فرها ليُحَلِّفَ الأرمن على زعمه . فخرجوا عليه وقبضوا عليه وقبضوا على من كان معه . وأما يوقنّا فإنه قبض أيضاً على كيلوك الأرمني صاحب الرُّها ، وكمن إلى الليل ثم توجه إلى الرُّها ، وقد لبس الثياب التي كانت على صاحبها ، وتزيا بزي أصحابه وغلمانه[3] . وألبسهم الملابس التي كانت على عسكر الرُّها . فلما قرب منها ، أوقد المشاعل أمام يوقنّا ، وركضوا بالخيل ففتح لهم الباب فلما حصلوا في داخلها ، رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين . فلما سمعوا التكبير ، ماجسر أحدٌ من العوام أن يتكلم واحتوى يوقنّا على ما كان في القلعة من الخزائن والأموال ، وترك عليها من يثق به بعد أن قبض على كل من

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ وابن الأعثم الكوفي الفتوح ١/ ٢٥٢ .

(٢) عمرو بن معدي كرب الزبيدي : انظر : الاصابة ٣/ ١٨ ـ ٢٠ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ . وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهبا ، للطباخ الحلبي ١/ ٩٩ .

يخاف منه من رؤسائها وكبرائها . وكان ابن عم كيلوك قد دلّه على ذلك ، بعد أن ضمن له يوقنّا أن يُخلّيه هو وأهله وينعم عليهم ، ثم أخذهم أمامه وساروا معه إلى حرّان فوجد رودوس قد فتحها . وذلك أنه لما قبض أصحاب رسول الله ﷺ على أرسيوس بن جارس بعثوا يعلمون يوقنّا بالأمر فنفذ إليهم رودوس وقال : انطلق إلى حران فإن أهلها يفتحوها لك . فمضى رودوس ومعه مئة فارس من أصحاب يوقنّا ، فلما وصل إلى حران نظروا وإذا بالعامة على الأسوار . فكلمهم بنفسه وقال : أنا صاحبكم البطريق قد جئت إليكم ، فلما سمعوا كلامه ورأوا شخصه فتحوا له الباب ، وصعقوا له وساروا بين يديه إلى دار إمارته ، فلما استقربه الجلوس دخلوا عليه وهنأوه بالسلامة فقام فيهم خطيباً وقال لهم : اعلموا أن الله عز وجلّ قد أنقذني من الضلالة إلى الهدى ونّجاني[1] من الجهالة والردى ، وقد جرى من أمري كذا وكذا ، وإني عاهدت أمير القوم على أني أسلّم إليه القلعة ويولّيني على نصيبين الصغرى والسويدا ، فأطلقني وقد حلفت له وإني سوف أفي بوعدي ، فلا أنقض عهدي ، وأنا أشهدكم ، أن كل ما سوى الإسلام فهو باطل وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فلما سمع أهل حران إسلام بطريقهم . قالوا : لقد أراد الله بك خيراً فنحن نوافقك على الإسلام فأسلموا إلا القليل منهم[2] .

٣ ـ فتح مدينة رأس العين (عين وردة) وملحقاتها

قال : حدثني ربيعة بن هيثم ، قال : أخبرنا عبد الله بن يحيى التنوخي ، قال : حدثني عبد الله بن عطية قال : ما أسلم أحد من أهل الجزيرة طوعاً ، إلا

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠/ وانظر فتح حران في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ وانظر : الفتوح ، لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٤ .

(٢) انظر : الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٤/ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ .

لأجل أهل حرَّان . قال : فلما نظر إليهم أصحاب رسول الله ﷺ قد رجعوا إلى الإسلام . قالوا : اللهم ثبتهم على الحق والسنة ولا تمكن من بلدهم عدواً قال : ثم خرجوا من عند رودوس ، وردُّوا الكنائس كُلَّها مساجداً ، إلا ما تركوا بأمر الصحابة ، لمن بقي منهم على دينه ، واتخذوا البيعة المعظمة جامعاً وهي بيعة[1] جرجين وتسلم الصحابة ما حول حرَّان والرُّها تسليماً .

وأقبل يوقنا من الرُّها إلى حرَّان واجتمع بأصحاب رسول الله ، وشاورهم في أمر الرُّها وكيف يكون حكمها . قال سعيد بن زيد : إنك أخذتها بالحيلة ونبينا ﷺ[2] . يقول : الحرب خُدعَة ، فكل من فيها عبيد للمسلمين وأموالهم نهبٌ لهم . فقال يُوقنَّا : يا أصحاب رسول الله ﷺ ، أنتم تعلمون أن أكثر الجزيرة ما ملكتموها بعد وفيها معاقل وحصون ، والصواب أن تصنعوا جميلاً يعلو به ذكركم ويرتفع به فخركم . فقال سعيد : فإذا كان الأمر على ما ذكرت ، فاتركوا القوم على حالهم حتى نرى ما يأمر به الأمير عياض بن غنم . قال : ففعلوا ذلك ثم إن الأخبار اتصلت بالملك شهرياض بأن حرَّان والرُّها والسُّخن[3] وأكناس[4] وسُروج والعَمْق[5] قد صارت كُلُّها بيد العرب فصعب عليه وكبر لديه ، وأيقن بتلاف ملكه ، وأنه دخل إلى رأس العين متنكراً

---

(١) بيعة جرجين : هي أكبر بيعة في حران وكانت تسمى البيعة المعظمة وبها دير وكنيسة كبيرة تحولت بعد الفتح الاسلامي إلى مسجد جامع أيام عياض بن غنم الفهري / الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٤٥ ـ ١٤٧ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠/ وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٥/ والفتوح ، لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٦/ .

(٣) السخن : هكذا وردت في الأصل وهو تصحيف لاسم قلعة السن من أعلى الجزيرة قرب سميساط وتعرف بسن ابن عطير وهو رجل من نمير . /معجم البلدان ٣/ ٢٦٩/ .

(٤) اكناس : حصن في ديار ربيعه .

(٥) العَمْق : انظر فتح الرها ص٧٣ .

هو ومن يثق به ، من أرباب دولته ، وصَلُّوا في بيعة نسطوريا[1] ، وهي موضع الجامع اليوم ، فلما فرغوا من صلاتهم جمعهم إليه وقال : يا معشر الروم من بني الأصفر ، اعلموا أن العرب قد شاركونا في بلادنا وقد صارت لهم معاقل يجتمعون إليها ، وتقوم بأودهم ويصل إليهم منها العلوفة والطعام وتجبى إليهم الأموال ، والخابور كُلُّه بحكمهم وما بيننا وبينهم إلا هذا المصاف[2] . فإن كانت علينا فالبلاد لهم دوننا[3] ، وقد رأيت رأياً فيه السَّداد ، قبل وقعتنا مع القوم . قالوا : أيها الملك وما الرأيُ حتى نُشاركك فيه قال : يا قوم أرى أنَّا نماطل العرب بالمصاف ، ونكتب إلى الملكين المُعَظَّمين ، وهما شقرا[4] وزَعْقرة[5] ، ونستنجد بعسكريهما ، ونكاتب الملك حرِفتَاس بن دَادَرْس صاحب ميافارقين[6] ، وكيفا[7] ، وصاحب حصن أرجَاس[8] وأسعرْدْ[9] ونستنجد أيضاً بالملك المعظم سَرَوْرَند ابن ذاوك صاحب أخلاط[10]

---

(١) بيعة نسطوريا : بيعة هامة في رأس العين وتشتمل على كنيسة ودير ومساكن أخرى / فتوح الشام ٢/ ٨١ .
(٢) المصاف : الموقف في الحرب والمواجهة .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠ / وابن الأثير ، والكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٤ وابن الأعثم (الفتوح) ١/ ٢٥٦ .
(٤) شقرا : من ملوك المدن في بلاد ارمينية .
(٥) زعقرة : من ملوك المدن في بلاد أرمينية .
(٦) ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر وهي مدينة حصينة فتحها عياض وخالد بن الوليد / معجم البلدان ٥/ ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦١ ، ٢٦٦ فتح الشام/ ٢/ ١٠٤ .
(٧) كيفا : حصن يشرف على نهر دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر وحالياً هي في تركيا / مراصد الاطلاع ١/ ٤٠٧ .
(٨) أرجاس : هي نفسها حصن أرجيش في ارمينية / مراصد الاطلاع ١/ ٦٠ .
(٩) اسعرد : مدينة تقع في شمال دجلة وجنوب ميافارقين وكان بها قلعة حصينة فتحها المسلمون صلحاً / تقويم البلدان ٢٨٩/ .
(١٠) أخلاط : مدينة هامة في ارمينية تقع على طرف بحيرة وان وبها حصن . فتحها المسلمون صلحاً / معجم البلدان ١/ ٣٨٠ ، ٣٨١ .

وأَرجيش[1] ومَنازَ كَرْد[2] وحَوفا[3] وسَليباس[4] ، ونكاتب الملك سُلَيْطَر بن الهَزَبْرُبيط ، صاحب جبل السناسنة[5] ونُنَفِذّ إلى الملك الأنطاق ، صاحب نينوى[6] وبلادها ، وإلى الحرِّ بن صالح صاحب الكَهَّارِية[7] ، فإذا نَفَدوا إليَّ بعساكرهم استَعَنْتُ بالمسيح والتقيت القوم ، والله يعطي النصر لمن يشاء . قال : فاستصوبوا رأيه وكتب لهم الكتب في بيعة نسطوريا ، ونفَّدها مع الرسل إلى من ذكرنا من الملوك ، ثم عاد من ليلته إلى عسكره .

قال الواقدي رحمه الله : وأما الذي منع عياض بين غنم من لقاء القوم ، لأنه رأى البلاد تفتح لأصحابه ، دون قتال ، فلذلك لم يستعجل ، وقد قوي ظهره بالبلاد التي فتحت له ؛ وأيضاً إنه كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، يطلب منه نجدةً ثانية . قال الواقدي : ووصلت الكتب أيضاً إلى سَرَوْرَنْد بن داوك صاحب أرض أرمينية[8] فلما قرأ الكتاب أمر أربعة آلاف لابسٍ أن يجهزوا رَكْبَهُم للمسير إلى نُصرة الملك شهرياض ففعلوا ذلك[9] . قال : وكان له ابنة

---

(١) أرجيش : أحد حصون ارمينية الكبرى وتتبع لخلاط / مراصد الاطلاع ١/ ٦٠ .

(٢) مناز كرد : مدينة قديمة تقع شمال بحيرة وان على نهر أرستاس وحالياً في تركيا / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٨/ .

(٣) حوفا : أحد حصون ديار بكر / الأعلاق ٣/ ٢٥٢/ .

(٤) سليباس : هو حصن السلاسلة في ديار بكر / الأعلاق ٣/ ٢٥٢ .

(٥) جبل السناسنة : من جبال ميافارقين في ديار بكر وسكانه من الروم / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦١/ .

(٦) نينوى : مدينة بشمال العراق شرقي الموصل وشرق نهر دجلة كانت عاصمة الآشوريون فتحها المسلمون صلحاً / بلدان الخلافة الشرقية ١١٦/ .

(٧) الكهارية : هي الهكارية انظر ص٤٢ .

(٨) ارمينية : بلاد واسعة فيها كثير من المدن والحصون حدها من برذعة إلى باب الأبواب وتمتد من جبهة أخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق . وهي صغرى وكبرى ، فالصغرى تفليس ونواحيها والكبرى خلاط ونواحيها / مراصد الاطلاع ١/ ٦٠/ ودائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٣٣ .

(٩) انظر الخبر في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨١ . وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

من أهل الحسن والجمال ، فارسةُ الخيل خَوّاضة الليل ، وكان اسمها طارون وكان كُلُّ من يطلبها للزواج لا ترضى به ، إلا أن يلقاها في الميدان فإن غلبها كانت له وإن غلبته لم ترضَ به . قال : وإنها غلبتْ جميع من طلبها . قال : وإن غلاماً اسمه موش بن اسْلَيْطر صاحب جبل السناسنة قد قدم إلى أخلاط بهديةٍ من عند أبيه إلى عند أبيها ، فصادفها قد نزلت من جبلها لزيارة أبيها ، فلما رآها في الموكب وقعت بقلبه فخطبها من أبيها . قالت : على الشَّرط . ثم بارزته في الميدان فغلبته فجزّتْ ناصيته وتركته .

قال الواقدي : ومرت الأيام والليالي فلما بعث الملك شهرياض أن يستنجد الملوك ، ونَفَّذَ إلى صاحب أخلاط ، نَفَّذَ إليه أربعة آلاف فارس ، وأَمَّر عليهم ابنته طارون ، وقال لها : يا بنية قَدَّمْتُكِ على هذا الجيش ، وأريد الذي كنتِ تُظهريه على الفرسان من شجاعتك أظهريه على العرب ، حتى يشكرك عُبَّاد المسيح وتنالين الثَّواب . قال : وأقبل الغلام مُوشْ ابن ملك السناسنة أيضاً في عسكرٍ من عند أبيه اسْلَيطَرْ في ألف رجل ، وسار في صحبتهم . قال الواقدي : وكان الغلام قد تكامل شبابه وحسن كماله وأبدر هلاله ، ولم يكن أحد في زمانه أحسن منه[1] . فلما نظرت إليه وإلى حسنه وجماله ونظرته بغير العين الأولى . وقعت في شبكة عشقه ، وجعلت رجالها مع رجاله . قال الراوي رحمه الله : وأحسن ما رُوَي لي من هذه الفتوح ، أنه كان لهذه الجارية طارون ، التي نحن في ذكرها ابن عم يقال له : بوغور وهو اسمه . وكان يحبها وهي لا تستطيع أن تسمع بذكره . وكان من أهل الشجاعة والشدة ، وكان تحت يده من المعاقل : « حيَّزانْ[2] والمَعْدَنْ[3] وأَبرون[4] » ، وقف

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨١ . وانفرد الواقدي بهذه الرواية .

(٢) حيزان : أحد القلاع الحصينة في ديار بكر وحالياً هي في تركية وهي ذات مياه وزروع وبساتين وتقع بالقرب من اسعرد / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٠/ .

(٣) المعدن : إحدى المدن الحصينة في ديار بكر . / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٠/ .

(٤) أيرون : قلعة هامة وحصينة في داير بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

وانظر[1] وبَدليس[2] وأرزن[3] » وأنّه سار يُنْجد الملك شهرياض في ثلاثة آلاف فارس . فلما عبر جيش ابنة عمه ببدليس اغتنم صحبتها ، وأكرمها وأهدى لها الهدايا والتحف وصار معها . ولم يزالوا في جَدٍ من السَّير إلى أن عَبروا الشّط ، وأخذوا طريقهم إلى الموزر ، وأنهم وصلوا إلى حصن يعرف بالهُتَاخ[4] ، على طريق النهر وكان لابن عمها عليها عيون ، يطالعونه بأخبارها ، وذلك أنها لما نزلت على النهر . أنفذَت إلى الغلام موش الذي تحبُّه وهي تقول له : اعلم إن المحبة الصادقة ما تكون إلا بعد العداوة المفرطة ، وقد ندمت على ما كان مني إليك من مهري ، وجزِّي لناصيتك وإنِّي قد عوّلت بعد رجوعنا من قتال العرب أن تُنفِذ إليّ وأن تَطْلُبني من أبي ، ولكن أريد أن تَقْدُمَ إليَّ في الليل على حين غفلة من ابن عمي بوغور ، حتى أحلف[5] لك وتحلف لي أنّك تطلُبُني من أبي ، وأحلف لك أني لا أريدُ سواك . وبَعَثَتْ مع خادم من بعض خدَّام صَحبها من زادها والحلاوات وغير ذلك ، ونفَّذت أيضاً لابن عمها مثل ذلك ، لئلا ينكر عليها وكذلك لجميع أمراء الجيش . قال الراوي : وإن الخادم أعلمه بما قالت وما جرى جميعه لابن عَمِّها ، وقال له : إنها قد نفَّذتني للغلام موش ، حتى تجتمع به في هذه الليلة لتحلف له ويحلف لها .

قال الواقدي : وكان هذا الغلام[6] قديماً لملك ارمينية ، وكان قد ربّاه

---

(١) قف وانظر : من قلاع ديار بكر الهامة / ناصر خسرو في رحلة سفر نامة ٤٠/ .

(٢) بدليس : بلدة بنواحي ارمينية قرب خلاط ، كثيرة المياه والبساتين فتحها المسلمون صلحاً / معجم البلدان ١/ ٣٥٨ .

(٣) أرزن : قلعة حصينة ودورة على تل عالٍ مانع / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٣٤٣/ .

(٤) الهتاخ : أحد الحصون المانعة في ديار بكر فتحه المسلمون عنوة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١ وهي قرب مبافارقين / اللؤلؤ المنثور ٥٢٠/ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨١/ وانظر فتح رأس العين ، في الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٧/ .

(٦) الغلام : هو ابن ملك السناسنة ويدعى موسيس أو موش . وتمتد مملكة السناسنة على=

الملك والغلام بوغور ، وإن ملك أخلاط بعثه مع هدية عظيمة ، إلى صاحب السناسنة . قال : فلما كانت هذه النوبة ، حدَّثته نفسه بجميع ما جرى ، قال : فتكتَّم الغلام بوغور ، فلما جن الليل أمر بعظماء جيشه وقال لهم : اعلموا أني ما أريد لكم إلا ما أريده لنفسي ، وما وُلِّيتُ عليكم إلا وقد علم المسيح أن عقلي أوفر من عقولكم . فقالوا : أيُّها الصاحب ، أعلمنا بما تريد . حتى نُنجزَ أمرك وندبِّر رأيك ، نمتثلُ أمرك . قال : يا قوم إنَّا سائرون إلى العرب لحتف نفوسنا ، وهلاك أرواحنا . فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأن العرب لا يقاومهم أحد ، وقد عاد النصر لهم ومع هذا فإن الملك شُهرياض ما هو بأعظم من جنود الملك هرقل ولا ماهان الأرمني ! وقد أذهبت العرب دولتهم[1] وأخذت معاقلهم وأرضهم وملكت مُلكهم ، وأنا أعلم ان الملك شهرياض لا ثَبات له مع العرب يوم المصاف وهذا جزء من بلاده ، قد مُلِك وهي : حرَّان وسَروج والعَمْق والبيرة[2] والخابور أيضاً ، وقد صارت قلعة ماردين بأيديهم ، يعني قلعة المرأة مارية ابنة أرسيوس ابن جارش ، وكأنكم بالعرب قد مَلَكَتْ ديار شهرياض ، وعادت إليكم وتملكت دياركم وسَبَتْ حريمكم ؛ واعلموا أن الحق مع العرب وأنهم إذا قالوا قولًا وفوا به ، ومن سلَّم إليهم أَمِنَ على نفسه وبلده سواء رجع عن دينه أو أقام عليه واعلموا بعد ذلك ، فإني في النار مع هذه الجارية طارون وقد نَفَّذتُ لها مراراً أن أكون لها بعلاً ، وتكون لي أهلاً ، فأبت ذلك . وإنما تحب ابن ملك السناسنة ، فإن تزوَّجها وصارا يداً واحدة ، أخذا معاقلنا وملكانا وحصوننا ولا مقام لنا معهما ، وقد رأيت رؤيا ، أنيَّ الليلة أقبضُ عليها ونسير بها . فقال العقلاء

= الجبال القريبة من ميافارقين / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦١/ .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨١ وابن الأعثم الفتوح ١/ ٢٥٦/ .

(٢) البيرة : مدينة تقع على الفرات قرب سميساط وبها قلعة هامة وتعتبر من مدن الجزيرة وهي حالياً في تركيا / دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٨٥٦٦٧ .

منهم : أيها الملك إذا أنت فعلت ذلك فأيّ أرض تحميك ؟ فقال : يا قوم نقصد عسكر العرب ونأخذ أماناً لأنفسنا منهم . قالوا : فإذا عولت على ذلك فاعْزم . قال : فخذوا على أنفسكم وتأهبوا للرحيل ، ففعل القوم ذلك . قال الواقدي : فلما جنَّ الليل تزيَّا الغلام بزي ابن سُلَيْطَرْ ملك السناسنة ، وسار إلى سرادق الجارية ، ودخل عليها على حين غفلةٍ منها ، فلما رأته ظنت أنه موش فوثبت له قائمة وسلمت[1] عليه وصفقت له ، وكانت قد أبعدت الغلمان والحُرَّاس والحجاب ، حتى لا يطلع أحد على سرها إذا قدم عليها الغلام موش ، فلما نظرت إلى ابن عمها ، استحيت ، ولم يمكنها إلا أنها تخدمه أتم خدمة . فقال لها : يا طارون أتظنين أني لا أقف على سرك ولا أبحث على أمرك ؟ ويحك أَيُّ مناسبة بين الروم وبين الأَرْمَن ، حتى مِلْتِ بكلّيتك إلى ابن ملك السناسنة . وتركت مثلي ؟ ثم مال عليها بشدة في غضون كلامه وقبض عليها . وأَلْقَمها أكرةً كانت معه ، وكان جهزها لها ، ثم كَتَّفَها وخرج بها إلى عسكره فوجد أصحابه قد لبسوا وركبوا وتأهبوا ، وأرموا مضاربهم وخيامهم ، فلما وصل إليهم أمرهم بالمسير ، فساروا ، ونظر أصحاب الغلام موش ، إلى رحيل بوغور ، ثم إن الغلام قال لأصحابه : تأنَّوا بمسيركم إلى أن يطلع الفجر فإن هذا طريق مضيق ، وتزدحم فيه الخيل والبغال . قال : ففعلوا ذلك ، وأما بوغور ، فَجَدَّ في سيره فما أصبح إلا وهو على مرج الصُّور[2] فنزل هنالك ؛ وأما الغلام موش ابن ملك السناسنة ، فلم يقصد الجارية ولا سار إليها لأنه خاف أن يقبض عليه ، وأن تكون قد عملت عليه حيلة ، فلما كان وقت رحيله شَدَّ على نفسه ، وركب وركب أصحابه ، وأقبل إلى سرادق الجارية طارون فوجد أصحابها وحَجَّابها ينتظرون خروجها من سرادقها ، وإذا بخادمها قد أقبل

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٢ .

(٢) مرج الصَّوْر : هو مرج الصور بجانب حصن الصور المنيع وهو من حصون ديار بكر الهامة / الأعلاق الخطيرة ٢٥١ / اللؤلؤ المنثور ٥١٧/ .

من خيمته[1] وعنده الخبر فدخل السُّرادق وخرج وقال : أين الملكة فقيل له : لا ندري ما كان من أمرها ولا السَّبب في غيبتها . قال : فَشَاشَ[2] أصحابها وماج بعضهم في بعض ، وأرادوا الرجوع ، فقال الحجاب والمماليك ، إنْ عدنا إلى الملك (سُرُوَرنْد) ضرب رقابنا ويقول : كيف اغتيلت ابنتي وأُخِذَتْ وما عندكم خبر منها ، وما أخذ الملكة إلا ابنُ عمِّها بوغور ، لأنه كان في قلبه منها النار ، ثم جدُّوا في سيرهم وتقلبوا على الجنائب وساروا يجدون السير . وأما بوغور لما استراح في مرج الصور ، وهمَّ بالمسير ، وإذا بالقوم قد أشرفوا عليه ، وهم يزعقون : يا ويلك اترك الجارية من يدك قبل حلول رمسك[3] . قال : فاستقبلهم الغلامَ بمن معه وهم بنو عمه ، فلما رأوا أصحاب الجارية أنهم مقبلين مصممين على الحرب ، وكذلك جيش السناسنة ، علموا أن القوم يريدون حربهم . فقال بعضهم لبعض : يا قوم قد لَزِمَنَا الأمر ، وليس ينجينا إلا الجدُّ والقتال .

وأما الغلام بوغور ، فجمع أصحابه وقال لهم : يا قوم قد دهمنا أعداؤنا ، واعلموا أن القوم الذين نريدهم لا يتخلفون عنا ، إن علموا أنا قصدناهم وأردناهم ، ومن طريق العقل أن دينهم أفضلُ من ديننا . لأنهم يشيرون بالوحدانية لرب العالمين . ونحن نسجد للصُّور والصلبان ونعتقدُ زوجةً وولداً للخالق[4] فلو كان له زوجة أو ولد ، لكان مثل خلقه ، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وقد بلغني أنهم يقولون ، من قتل منهم صار إلى الجنة ، ومن قتل منا صار إلى النار ؛ فإن كنتم تريدون النصر على عدوكم ، فاذكروا ربكم بالوحدانية وقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٢ .
(٢) شَاشَ : أي اختلط عليهم الأمر .
(٣) الرَّمسْ : هو تراب القبر على وزن الفلْس وهو في الأصل مصدر .
(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٢ . وانفرد الواقدي بهذه الرواية .

قال الواقدي رحمه الله : فأعلنوا بكلمة التوحيد ، فدوت لأصواتهم الجبال والتلال والرمال ، وأشرف عليهم أعداؤهم ، وهم قد لبسوا السلاح ومدُّوا الرماح ، فلما سمعوهم يوحِّدون لرب العالمين ، ويصلون على النبي ﷺ ، أيقن أعداءُ الله أن بوغور ومن معه قد رجعوا إلى دين الإسلام ، فعند ذلك تقدم الغلام موش ، وقد دارت به أصحابه وأصحاب الجارية وقالوا : يا بوغور أبيت إلا أن تكون غادراً ماكراً ، ومع غدرك ومكرك ، قد صرت كافراً ، كيف تركت دين آبائك وأجدادك ، وعدت إلى دين القوم ، أتظن برجوعك إلى دينهم وقولك بقولهم ينصروك علينا ؟ وأين العرب وأنتم وما يصل الصياح إليهم ، إلا وقد فرغنا منكم وقتلناكم عن آخركم ، وها نحن نحمل عليكم ، فقولوا لمحمدٍ ينصركم ، ثم حملوا بعسكرهم على بوغور ومن معه ، واستقبلهم بنية صادقة وهمة عالية مُوَافقةٍ وأعلنوا بالتكبير بذكر الحق[1] ، وصلُّوا على سيد الخلق ، وبذلوا صوارمهم في الأعداء ، وروَّقُوا لهم شراب الردى وقصدوا نحو أعداء الله بالأسنة ، وجللوهم بالنوائب والمحنة ، وطلبوا بجهادهم فيهم الجنة ، وطَلَّقُوا الدنيا بتاتاً ، وحَسِبُوا أنفسهم أمواتاً ، وصاروا بعد الألفة أشتاتاً ، كانوا يمسون في ظلمات ثلاث : ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة أنفسهم . فانقدح نار شوقهم من زناد صدقهم ، فأحرق درع الكفر ، ﴿ فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ [الكهف : ٤٥] . فلما أضاءت لهم الأفكار ، ولاحت لهم لوائح الأنوار ، لم يجدوا من يشار إليه بالوحدانية ويوصف بالإلهية . ويُنعتُ بالأزلية إلا واحداً أحداً . فرداً صمداً ، فخرَّوا على وجه الاعتذار ، ونادوا بلسان الاقرار . فلما سجدوا وجالت منهم خواطر الأفكار في أسرار الاستبصار ، وقالوا : كيف عبدنا سواه ، وليس معبود إلا إياه . واخجلتنا إذا وقفنا بين يديه ، يوم العرض عليه ، بأي عملٍ نَرِدْ

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٢ ، ١٢٢ .

أم باي قاصدٍ نقصد . فأشار منادي الايمان إليهم ، ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

لما دخلوا في معسكر الطاعة ، وخافوا من هول يوم الساعة ، جعلوا أرجل رجائهم ، في ركائب إقبالهم ، وساروا في مواكب عزهم وجلالهم[١] لمَّا رُفعَتْ ضياء إيمانهم ، في وادي أمانهم ، وأشرقت شموس إسلامهم من فلك استسلامهم ، واقتضت براءة أفراحهم هزار أتراحهم ، وحادي حِمَالِ حَمَالِهم قد سار ، ودليلُهُم بسرادقات الجلال قد استجار ، ومنادي جهادهم ينادي بإجهار : ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٤] .

قال الواقدي رحمه الله : ودارت بهم الأعداء وشرَّعوا نحو صدورهم الرَّدى ، وأشرف بوغور وأصحابه على الهلاك ، وإذا بباب الصُّور قد فتح ، فطلع مائة فارس كالليوث الغواشم ، إلا أنَّ عليهم زيَّ العرب ، وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ، وهم ينادون لمن أعلن بكلمة التوحيد : أَبشروا بالنَّصر والتأييد ، نحن قد أتينا لدعوتكم ، وخرجنا لمعونتكم وسوف نخلصكم من الأمر المهول وها نحن أصحاب الرسول ﷺ .

قال الواقدي رحمه الله : لما سَلَّمَ الراهب ميشا ماردين للمسلمين فإنه كان على الصُّور ابن عمه طالوت[٢] ، وكان يحبه حباً شديداً ؛ وبعد أن سَلَّمها لأصحاب رسول الله ﷺ ، بعث من وقته وساعته إليه يقول له : يا ابن العم إن الدين الذي لله قد ظهر مع هؤلاء العرب ، وهذا الدين هو دين الإسلام . ومحمد الذي بشَّر به المسيح ، وإني أريد لك من الخير ما أريده[٣] لنفسي ،

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٣ .
(٢) طالوت : هو صاحب حصن الصُّور القريب من ماردين / اللؤلؤ المنثور ص٥١٧ .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٣ ، ١٢٢ .
ـ انظر فتح ماردين في : الخراج لأبي يوسف ص٣٩ وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٣٤ .

والصواب أن ترجع إلى دين القوم وحصنك لك ، لا يزحزحك منه أحد وأنا أضمن لك من العرب كل ما تشتهيه ، فلما بعث إليه بالرسالة أجاب إلى دين الإسلام وعرض الإيمان على أصحابه ، فمنهم من أسلم ومنهم من أبى ، فمن بقي على دينه صرفه ، ومن أسلم استخدمه ، وبعث ميشا إلى عياض بن غنم يعلمه بإسلام ابن عمه طالوت ، فنفذ عياض إليه يشكره على ذلك وَيَعِدُهُ بكل خير ، وأنفذ إليهم عامر بن الأخوص[1] الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، حتى يُعلِّمهم شرائع الإسلام ، ثم بعد أيام بعث مائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ليأتوا بطعام من الصُّور وعلفٍ لخيولهم ، وكان المقدم عليهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفيهم : ضرار بن الأزور ، والمقداد بن الأسود ، وسعد بن غنيم ومعمر بن ماجد ، وبادي بن مرة وهلال ابن عامر ، وعينيه بن رافع وخضر بن يعشور الفزاري ، ومثل هؤلاء السادة . فلما وصلوا إلى الصُّور تلقَّاهم طالوت بالرَّحب والسَّعة ، وأنزلهم وأكرمهم وأمر لهم بالطعام ، فأقاموا عنده ثلاثة أيام ، حتى جاء بوغور وكان من أمره ما كان ، وما ذكرناه . فلما سمعوا تكبيرهم ، قالوا : هؤلاء قد رجعوا إلى ديننا ووجب علينا نصرتهم ، لأن عليهم ما علينا ، ثم خرجوا كما ذكرنا ، وحملوا على أعداء الله وأعداء رسوله[2] .

قال : ونصروا بوغور وأصحابه ، وقتل من أصحاب الجارية طارون ومن رجال السناسنة ألف وأربعمائة رجل ، وفرَّق بينهم الظلام ، فولى موش ومن تبعه وانهزموا بالليل ، وقصدوا طريق رشمن[3] ، وساروا إلى مرج رعبان ،

---

(١) عامر بن الأخوص الأنصاري : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٣ .
والأعلاق الخطيرة لابن شداد ٣/ ٢/ ٥٤٥/ .

(٣) رشمن : هكذا وردت في الأصل وهو تصحيف . والصحيح هو : طريق ريشعينا المحطة الهامة على طرق المواصلات بين المدن الكبرى في الجزيرة / كتاب الرها ص١٤/ .

إلى الملك شهرياض وأعلموه بما جرى عليهم . فأيقن بزوال ملكه وتعجيل هلاكه .

أ ـ « **فتح كفر توثا** » ولما أصبح الله بالصباح نظر بوغور ومن معه ، وإذا بأعدائهم قد انهزموا ، فأقبل بوغور ومن معه يشكرون الصحابة . وازداد الإيمان في قلوبهم ، وحدثوا ما كان من أمرهم ، ثم ساروا مع الصحابة إلى عسكر عياض بن غنم رضي الله عنه . ولما عبروا على ماردين نزل إليهم ميشا رحمه الله ، وقد بلغه حديثهم ، وسلم عليهم وهنأهم بالسلامة ، وقال لهم : إذا كنتم تريدون الثواب الجزيل من الملك الجليل ، فتمِّمُوا إسلامكم بما أُلْقِيْهِ إليكم .

قال بوغور : وما ذلك ؟ فقال له : اقْصُدْ من وقتك هذا إلى كفرتوثا(١) ، ولعل الله تعالى يفتحها على يديك . قال بوغور : وكيف ذلك ؟ قال ميشا(٢) : انزل بفنائها أنت ومن معك ، فإذا غابت الشمس تسيروا على بركة الله تعالى وعونه ، واقصدوا كفرتوثا فإذا أنتم جئتموها ليلاً ، قولوا لأصحابها : قد وجهنا إليكم الملك لحفظ المدينة ، فإذا صرتم في داخلها فَثُوروا على اسم الله وبركة(٣) نبيه ﷺ . قال : ففعل ذلك . وودعه الصحابة رضي الله عنهم .

وَزَوَدُّوه بالميرةِ وجلس بوغور إلى أن جنَّ عليه الليل ، ثم ارتحل بجيشه وثقله إلى أن وصل كفرتوثا ، وقد مضى هزيع من الليل ، وكان القمر تلك

---

(١) كفرتوثا : كورة من أعمال الجزيرة قصبتها بلدة كفرتوثا وتمتد بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٤/٤٦٨ .

(٢) ميشا : هو الراهب ميشا بن عبد المسيح الذي أعلن إسلامه قبل فتح ماردين .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/٨٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ . وفتوح البلدان للبلاذري ص١٨٠ .

الليلة قد أَبْدَرَ[1] شهر ذي الحُجَّة سنه سبع عشرة من الهجرة ، فلما وصل إليها أمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بشعارهم حتى لا يستوحش القوم ، وجاءوا في الأثقال والبغال والبَرْك . قال : فلما سمع أهل كفرتوثا ، أشرفوا عليهم من باب مروان ، وهو باب دنيسر[2] ، وسألوهم وقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن عسكر الملك شهرياض وقد بعثنا الملك لنكون عوناً لكم .

قال الواقدي رحمه الله : وأعجب ما في هذه القصة ، أن الملك شهرياض كان قد سيَّر إليهم في يوم تلك الليلة وبعث لهم أني مُسيِّرٌ إليكم جيشاً مع كَلْجَرْجي الحاجب الكبير ، فإذا قدم عليكم ليلاً فافتحوا له الباب ، لأن العرب في آثارهم .

قال الراوي : فلما أشرف بوغور وجيشه ، وقالوا : نحن من عسكر الملك فنزلوا وفتحوا لهم الباب ، ودخل بوغور ومن معه ، ولم يُحدث حدثاً حتى أنزلوه في دارٍ قد أُعدَّت لحاجب الملك . فلما استوثق من رجاله وخزائنه ، صعد على السُّور وقال : لا يقرب أحد منكم سور الملك فنحن المُوكَّلون به وبحفظه ، وبهذا أوصاني الملك . فقالوا : أيها السيد وكذا وردَ اليومَ كتابُ الملك[3] أنه لا يتولى حفظ السُّور ، إلا الحاجبُ الكبير وأنت هو ذلك .

قال الواقدي رحمه الله : فلما سمع الغلام بوغور قولهم علم أنَّ الملك يريد سيُنفذ إليهم جيشاً ، ولولا ذلك ما فتحوا له . فقال : انصرفوا إلى منازلكم وإياكم أن يظهر أحد منكم بليل ، فإن من وقعتُ به قتلته . قال : فانصرفوا إلى منازلهم ولم يبق عنده سوى الوالي الذي كان من قبل البطريق هو وغلامه ،

---

(١) أبدر : أي صار بدراً .

(٢) باب دنيسر : هو أحد أبواب ماردين بمواجهة حصن دنيسر القريب من ماردين . انظر : معجم البلدان ٢/ ٤٧٨ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ وفتوح البلدان للبلاذي ص١٨١ .

فقبض عليهم بوغور وضرب رقابهم ، وتركهم في بعض الأبراج ووصى أصحابه . وقال : كونوا على حذرٍ فإن شهرياض يريد أن يُنفذَ جيشاً إلى هذه القلعة ، وإذا رأيتموهم فانزلوا وافتحوا فردَةَ الباب ، وكلَّما دخل فارس أبعدوه عن الباب ، وأنزلوه عن فرسه ، وخذوا لأْمَةَ حربه وأوثقوه . فقالوا : السمع والطاعة . فبينما هو يوصيهم إذ أقبل جيش الملك ، وهم ألف لابسٍ ، وعلى مقدمتهم حاجب الملك الكبير وهو كلجرجي ، فصاحوا بمن على السور ، افتحوا لجيش الملك فتبادر أصحاب بوغور ، وفتحوا من الباب فردة واحدة . وقالوا : إنَّا لا نمكِّنُ أحداً منكم يدخل إلا واحداً بعد واحد ، مخافة من يوقَنَّا وأصحابه العرب ، أن يدخلوا في زيِّكم . وصار كلما دخل فارس وأبعد عن الباب ، رجَّلُوه وأخذوا لأمة حربه وجواده وأوثقوه ، إلى أن حصل الألف في رِبْقةِ الأسر . ثم إنهم استوثقوا[1] من الباب وأشهروا سيوفهم واظهروا حتوفهم ، وصاحوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قال الواقدي : فارتجَّت كفرتوتا من قواعدها ، ووقع الرعب في قلوب أهلها ، وعلموا أن العرب قد ظفرت بهم ، فلم يجسر أحد منهم يظهر في المدينة ، فلما كان من الغد نادى المنادي من لم يخرج من بيته إلى وسط المدينة قتل .

قال : فخرج القوم مذعنين . فقال بوغور : أريد أن ينحاز الكبار والبطارقة وشيوخ المدينة عن الأعوام . ففعلوا ذلك . فلما انحازوا قبض عليهم واستوثق منهم ، وأنفذ إلى عياض بن غنم يعلمه بما صنع . فلما وصلته الرِّياسة سجد لله شكراً . وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأصحابه وصلوا بالميرة والطعام ، وحدَّثوا عياضاً بحديث الغلام ، فكان ينتظر

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٤ . وانظر فتح كفرتوثا في : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/

ما يؤول من أمره . فلما أتاه الخبر بالفتح سجد لله شكراً واطال الثناء لله وتفاءل بالنصر ، وقال : يا أصحاب رسول الله ﷺ ، اركبوا ودونكم والقوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ب ـ (معركة مرج رعبان)

ثم أمر خالداً أن يكمنَ في ألفٍ عن يمين القوم ، وأمر عمرو بن سالم[(١)] بن أمية بن أَصْهَبان أحد بني عبد الدار أن يكمن عن يسار القوم في ألف فارس . وقال : لاتخرجوا من الكمين حتى تشبَّ نار الحرب ويشعلَ الطَّعن والضرب[(٢)] ، وإذا حملتم فاعتمدوا على السُّيوف ، فإنها جلاء الحتوف ، وليكن شعاركم التهليل والتكبير ، واقطعوا حبلَ أمانيكم من الحياة الفانية ، وارغبوا في العيشة الباقية ، وإياكم والميل إلى دار الغرور ، ومحلِّ النوائب والثبور ، وولا يغرنكم بالله الغرور ، ووافقوا بهممكم قوماً غدوا بحلاوة قضائه ، فصاموا وأمرهم بالوقوف على طاعته فهاموا ، وتجردوا لخدمته في الليل فقاموا ، فأثنى عليهم إذ هم بمحبته هاموا . فقال : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ [(٣)] . قال : فركب المسلمون وتقدم المجاهدون وزحف الموحدون ، ونشرت الرَّايات والبنود ، وتواعدوا بالقيام لليوم الموعود ، وقالوا : إلهنَا مالنا سواك نصير ، أنت ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾ [الأنفال : ٤٠] قال : ووقع الصائح في عسكر الروم : إن المسلمين قد زحفوا إلى قتالهم ، فبادروا للقتال ، وسابقوا للنزال . ولبسوا وتدرَّعُوا وعن الآخرة تورعوا ، وإلى رضى الصليب أسرعوا ، ورفعوا رايات الصُّلبان ، وتلا الانجيل القُسَّاس والرُّهبان ، وفتحت لهم أبواب النيران عندما أشركوا

---

(١) عمرو بن سالم بن أمية : انظر أسد الغابة ٤/ ١٠٥/ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ وفتوح البلدان للبلاذري ص١٨٠ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٠ .

بالرحمن ، واستغاثوا بمريم وبرضا المعمدان[١] ، وصار عليهم من الكفر شِبهُ الدُّخان ، ووقعوا في أمر مَريج . فلما نظر المسلمون إلى تقدُّمِهِمْ وكثرةِ من اجتمع إليهم من قومهم استسلموا لحكم القضاء ، وقالوا : مرحباً بما قدَّر وقضى[٢] .

فَنُودوا في سرائرهم ، قد اشترينا منكم النفوس ، فَسَلِّموا واصبروا لحكم القضاء ، وقولوا : مرحباً بما قدر وقضى ، ولا تُولُّوا الأدبار فتندموا ، فبهذا سبق الحكم وخطَّ القلم في اللوح المحفوظ بما جرى ، وكتب في أمره وقرأ : ﴿ إن الله اشترى ﴾ . قالوا : ما الذي اشترى قال من له المِنَّة : ﴿ أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [التوبة : ١١١] . فقالوا : نحن نريد التسليم لنصلَ إلى جنة النعيم . قيل : فانهضوا إلى سُوق البيع فقد هبت نسمات النعيم ، وتجلَّى لقبض أرواحكم الرَّؤوف الرحيم . فسّبحوا وسجدوا ورفعوا أصواتهم بتوحيده ومجَّدوا . فلما أيقنوا بالوصال ، طلعت لهم نجوم الاتصال ، وشوَّقَ سُهيلٌ[٣] بتسهيل الحال ، وأزهرت زهرة[٤] الأحوال ، واستدار قمر قبولهم في فلك التيسير ، وناداهم منادي التحذير : ﴿ إني بما تعملون بصير ﴾ [سبأ : ١١] ، فلما سمعوا حَدْوَ حُدَاةِ الأفكار وَوَقْعَ أخفافِ راقصات الافتكار ، بَذَلَوا سيوفهم ، وأرضَوا قُدُّوسهم ، وجاهدوا واجتهدوا وحملوا واقتصدوا ، ونهلوا من منهل سُهاده ووردُوا ، ولم يزالوا في حرب الأعادي ، وموارد الاجتهاد في معاني ميادين الجهاد ، حتى خرجت الكمناء ، وهبت عواصف الفناء ، وزعزعوا ما كان قد شَيَّد الكفَّار من البناء ، وانتشرت عنهم استبطان ما أمَّلُوا من

(١) يوحنا المعمدان : هو النبي يحيى عليه السلام ابن خالة السيد المسيح عليه السلام .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٤ .
وانظر الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٦ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .
(٣) سُهيلٌ : هو نجم في السماء .
(٤) زهرة : هو نجم الزهرة في السماء .

الأماني والمنى ، فقتل منهم أقيال[1] صناديد[2] ، وأصبحوا قتلى على وجه الصَّعيد ، وناداهم منادي التهديد : إن عذاب جهنم لشديد ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ [هود : ٨٣] ، ولم يزالوا في قتال القوم إلى أن مضى النهار ، وأقبل الليل ودنا والمسلمون ، يقولون : يا ليت تمادت رايات الأنوار ، ولم يدركنا جيوش الاعتكار ، حتى كنَّا نهزم عساكر الكفار ، وإذا قد ظهر على أطناب السُّراةِ القتال . ﴿ ولا الليلُ سابق النهار ﴾ [يس : ٤٠] .

قال الراوي : ولما أتى الليل بجانبه ، تبادروا للحرب ومقام الطعن والضرب ، ولم يتمهَّل بعضهم على بعض دون أن وقعت . قال : فانهزم الجناح الأيمن من المسلمين[3] ، وكان فيه أخلاط العرب من ربيعة[4] وكندة[5] ، وعاملة[6] ومرة[7] وبجيلة ، وانهزمت ميسرة العدو ، ووقع فيهم القتل الذريع من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يزل القتال بينهم إلى أن جَنَّ الليل وتحارسوا ، فلما كان في اليوم الثالث من الحرب تولَّاهُ خالد بن الوليد ، فرتب الناس للحرب ترتيباً جديداً ، وجَعَلَ في الميمنة باهلة[8] وطيء[9] ونهد[10] ،

---

(١) أقيال : جمع ومفرده قيل وهو الملك الفارس .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٥ .
(٣) انظر خبر المعركة في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٥ / وابن الأعثم الفتوح ١/ ٢٥٧/ .
(٤) ربيعة شعب عظيم فيه قبائل وبطون وأفخاد يستغنى المنتسب بها عن ربيعة / اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ١٦ .
(٥) كندة : قبيلة عربية مشهورة من اليمن وتتصل نسباً بكهلان بن سبأ / اللباب ٣/ ١١٥/ .
(٦) عاملة : قبيلة عربية تنسب إلى كهلان بن سبأ القحطانية وتلتقي مع كندة في عدي ابن الحارث / اللباب ٢/ ٣٠٧/ .
(٧) مرة : قبيلة عربية تنتسب إلى مضر / اللباب ٣/ ٢٠١ .
(٨) باهلة : قبيلة عربية تنتسب إلى باهلة بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر / اللباب ١/ ١١٦ .
(٩) طيِّ : قبيلة عربية قحطانية ينتسب إليها قبائل وعشائر وبطون كثيرة / اللباب ٢/ ٢٧١ .
(١٠) نهد : قبيلة تنسب إلى قضاعة / اللباب ٣/ ٣٣٦/ .

وفي الميسرة عديٌّ[١] ونمير[٢] وفزارة[٣] ، وسنبس[٤] وفي الجناحين كندة وعاملة ومرة وبجيلة والسكاسك[٥] والسكون[٦] . وفي القلب أبطال الموحدين والمهاجرين والأنصار وجعل راية الميمنة بيد عامر[٧] بن سُراقة العوفي ، وصاحب راية الميسرة بيد ضرار بن[٨] الأزور وصاحب راية الجناح الأيمن عبد الرحمن الأَشَرْ[٩] وصاحب راية الجناح الأيسر ربيعة بن عامر[١٠] وجعل لواء المسلمين في القلب ، مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وأقبل خالد يرتب المواكب ويَصُفُّ الكتائب ، ويقول : اتقوا الله الذي إليه مصيركم واعلموا أن الله متكفلٌ بتأييدكم ، وإياكم أن يؤتى الاسلام من قبلكم . فمن ولى الأدبار كان مأواه النار ، وغضب عليه الجبار ، واعلموا أن الله فرض عليكم الجهاد ، وقتل الأعادي وما عند الله جل جلاله أفضل من قطرتين : قطرة دم جرت في سبيل الله ، وقطرة دمع جرت من خوف الله وهذا اليوم له ما بعده ، فاتقوا الله عباد الله ، واثبتوا في هذا الموطن ، كما ثبتُّم في مواطن كثيرة ، وإياكم والفشل فتذهب ريحكم ، وقوموابشريعة نبيكم واعلموا أن الله

---

(١) عدي : بنو عدي بطن من قريش وينسبون إلى عدي بن كعب بن لؤء بن غالب بن فهر / اللباب ٢/ ٣٢٨/ .

(٢) نُمير : بنو نمير ينتسبون قبائل تميم ٣/ ٣٢٧ اللباب/ .

(٣) فزارة : وهي قبيلة تنسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفاة . من قيس عيلان / اللباب ٢/ ٤٢٩ .

(٤) سنبس : قبيلة من قبائل طيْ القحطانية ولها بطون وأفخاذ أيضاً / اللباب ٢/ ١٤٤ .

(٥) السكاسك : انظر الصفحة ٥٢ .

(٦) السَّكُون : هي إحدى بطون قبيلة كندة / اللباب ٢/ ١٢٥/ .

(٧) عامر بن سراقة العوفي : انظر : الطبقات خليفة ص٢٢/ .

(٨) ضرار بن الأزور : انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١١/ ١٥٣ .

(٩) عبد الرحمن الأَشَرْ : انظر : أسد الغابة ٣/ ٣٢٠/ .

(١٠) ربيعة بن عامر : انظر أسد الغابة ٢/ ١٦٩/ .

مع الصابرين ، ولا يضيِّع أجر المحسنين وها أنا أنفرد وجماعة من المسلمين إلى صليب القوم ، ولسنا براجعين إلا بحطم من حوله من الكفرة والمشركين . قال الله تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[1] فإذا رأيتم الصَّليب قد وَهَى إلى الأرض ، فاحملوا والله ينصركم ، ثم حمل هو ومن معه ، وقصد لواء الملك شهرياض وصليبه الأعظم ، فما ردَّهُم عن حَمْلَتِهم كثرةُ العَساكر ولا تمنُّعُ الدُّروع[2] ولا كثرة السِّهام .

قال الواقدي رحمه الله : ولقد بلغني ممن أثق به أنَّهم لما حملوا طحطحوا الكتايب وزعزعوا العساكر ، وأزالوا الأبطال عن مراكزها والبطارقة عن مراتبها ، ولم يعتمدوا على رمحٍ ولا رَمي سهمٍ ، بل جرَّدوا السيوف واستقبلوا بها الصفوف . ولما رأى الملك شهرياط ، إلى فعل أصحاب رسول الله ﷺ ، رمى التاج عن رأسه وزعق بالبطارقة[3] والأراخنة[4] والقياصرة وقال لهم : يا معشر الروم من بني الأصفر ، اعلموا أن ما بين ذهاب دولتكم وبينكم إلا هذا ، فإما أن تقاتلوا عن مِلكِكم ودينكم وحريمكم وأموالكم ، وأنتم أضعاف القوم مراراً ، فأخلصوا نيَّاتكم ، وثبتوا أقدامكم ولا تُوَلُّوا الأدبار ، فيطمع عدوكم فيكم وفي جانبكم ، فمن ولَّى منكم غضب عليه المسيح وأدخله النار . قال : وبلغني أن في يومهم هذا وصل بطركهم[5] الكبير ، المشار إليه

---

(١) سورة الروم . الآية ٤٧ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٥ والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٧ .

(٣) البطارقة : مفردها بطريق وهو القائد من قواد الروم ، ويقود عشرة آلاف جندي ويعهد للبطارقة في الدولة الرومانية بتولي شؤون الحكم في المدن / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٨١ .

(٤) الأراخنة : رتبة قيادية كبيرة في الجيش الروماني تلي رتبة البطريق مباشرة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٨١/ .

(٥) البطرك الكبير : لقب ديني كبير لدى النصارى فوق مرتبة المطران . الصحاح في اللغة والعلوم ـ مادة : بترك .

في دينهم ، ومعه كُلُّ قسٍ كان بأرض الجزيرة ، وكل مطران وشماس ، والرُّهبان قد أنزلهم من (قلاليهم)[1] ليحرضوا القوم على القتال . وكان هذا البطرك اسمه (دين الدِّين) كان يسكن بدير يقال له : دير قَرقوتْ[2] ، وإنهم وصلوا قبل حملة الروم والمسلمين ، فوعظهم بين الصفوف وقال لهم : من انهزم منكم حَرَمْتُه ولا يقبله المسيح أبداً[3] .

ثم انفصل عن القوم ، ومن معه من الأقسَّة ، وصعدوا على رابيةٍ مشرفةٍ على المصاف ، ورفعوا الصلبان وفتحوا الأناجيل وقرْدَشُوا وأشركوا .

قال الواقدي : حدثني بشر بن عامرٍ ، وكان ممن حضر وقعة مرج رعبان قال : وكانت الوقعة يوم الثلاثاء من شهر صفر سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكان شهرياض قد أنْفَذَ إلى رأس العين وسائر بلاده ، وأتى بحريم الأجناد ، وسائر البطارقة وأولادهم وأقامهم يوم المصاف على أبواب الخيام والسُّرادقات ، وقال : لا تبقى امرأة إلا وترفع ولدها على يديها ، وتصيح باسم بعلها أو أخيها وإنما فعل ذلك لِتَثْبُتَ العساكر والبطارقةُ ، لقتال أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الراوي : ووقع الصياح من كل جانب وعملت القَواضب ، وثبتت الروم ثباتاً عظيماً لأجلِ حريمهم اللواتي نصب أعينهم ، وأيضاً لأجل البطرك ، وعلماء دينهم وترجَّل منهم أهل القلاع والحصُون والملوك ووقفوا صفاً واحداً ، وألصقوا المناكب بعضاً ببعض وأقبلوا على رمي النشاب . ووقف في مقابلتهم رجال اليمن ، من عاملة وبجيلة ومرة ومراد[4] والسكاسك يرمون

---

(١) قلالي : هي أماكن الاعتكاف والعبادة لدى رهبان النصارى . مفردها قُلَّة .

(٢) دير قرقوت : يقع هذا الدير عند قرية قنقرت في ديار بكر ، وقرقوت تصحيف والأصح دير قنقرت حيث أنشئ فوق مقام للنبي إيليا / اللؤلؤ المنثور ص٥١٣/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٥ .

(٤) مراد : قبيلة عربية كبرة من اليمن تنتسب إلى مذحج . / اللباب في تهذيب الألباب ٣/ ١٨٨ .

بالنبل . وأما خالد وأصحابه رضي الله عنهم حملوا يريدون صليب القوم[١] وهو ينشد ويقول[٢] : [البحر الطويل]

ونَهْـزِمُ جيـشَ المُشْـركيـن بهمَّـةٍ تَطُولُ على أَعْلَى الجبَال الرَّواسِبِ
ونَنصـرُ ديـنَ الله فـي كـلِّ مَشْهـدٍ بِفتيـان صِـدْقٍ مـن كـرامِ الأعَـاربِ
فَيَا مَعْشَرَ الأصْحاب جُدُّوا وجندلُوا وكَـرُّوا علـى خيـلِ كـرام المَنَـاسِـبِ
فَـدُونكُمـو قَصْـدَ الصَّليـبِ وبَـادرُوا ليَرْضى إلهُ الخلقِ رَبُّ المواهبِ

قال الواقدي : ثم قصدوا القلب والصليب ، وكان اللعين شهرياض ، لما صفَّ الصفوف أقام حول الصليب الأعظم ، اثني عشر ألف فارس ، وزرع حولهم حسكاً من الحديد ، حتى لا يصل إليه أحد من العرب ، ولما حمل خالد وأصحابه ، وقربوا من مضارب القوم ، وداست خيولهم ذلك الحسك انكبَت على وجوهها ، وأوقعت الصحابة عن ظهورها ، فأكبَّت عليهم الروم بغيظها وحنقها ، فأخذوهم قبضاً باليد لأنهم لا يقدرون على قتال ، ولا تثبت أرجلهم على الحسك ، فأخذوهم عن بكرة أبيهم ، وارتفعت العطاعط[٣] من كل جانب ، وعملت المرهفات والقواضب . قال : ولما نظر الأمير عياض بن غنم ، ما وقع بخالدٍ ومن معه صعب عليه وكبر لديه ، وقال : يا ابن غنم ما يكون عذرك غداً بين يدي الله تعالى ، وقد نكبَ هؤلاء السادة تحت لوائك[٤] .

فنادى بأعلى صوته : معاشر المسلمين احملوا ولا تمهلوا وأيقظوا هممكم وعجِّلُوا واستخلصوا أصحابكم من الأسر ، واطلبوا من الله النصر قال : ولما

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٦
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .
(٢) انظر الأبيات في : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨١ .
(٣) العطاعط : الصياح .
(٤) انظر : أسر خالد وأصحابه في فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٦ .

همَّ عياض بالحملة لاستنقاذ خالد من الأسر ومن معه ، وقف أمام صفوف المسلمين رجلٌ يقال له : ناسبُ بن وضاح الذبياني ، وكان حليفاً لخالد ، فحضر يومه ذلك بمرج رعبان ، وكان من أفصح العرب لساناً ، وأجرأهم جناناً وأحدَّهم لساناً وأعلمهم بياناً . وقال : أيها الناس إن الصبر والثبات جندان لا يُغْلَبان . وهذا اليوم له ما بعده ، وما ترون من نخوتكم ودينكم ومروءتكم ، أن تدعوا أصحاب رسول الله ﷺ ، في أيدي الأعداء فاستخلصوهم من ربقةِ الردى ، واتقوا الله الذي إليه مصيركم ، واعلموا أن ترك الأشياء النفيسة ، لا تليق إلا بالنفس الخسيسة ، أما تحققتم أنَّ الدنيا تؤول إلى الزوال والفناء ، والآخرة هي دار النعيم والبقاء ، أما سمعتم أن الهمم الإنسانية والأرواح الجثمانية ، عوّلت بالانتقال عن الدُّنيا السَّاحرة إلى دار الآخرة ، وقالت : لا بد من الرحيل ، لأن البقاء في الدنيا قليل ، فَنُودُوا معاشر الأرواح ، قد قرب الرَّواح ونحن القصد منكم قد عرفناه ، ومُرَادُكم قد فهمناه ، وإنَّ سفركم سفرٌ شاق ، يحتاج إلى زادٍ ورفاق[1] . قالوا : وما الزَّاد الذي نكثر منه ولا نعدل عنه ؟ قيل لهم : إنه الزاد الأوفى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾[2] . قالوا : فما هذا الزاد فما مِنَّا من يقدر عليه ؟ ومنَّا من لا يصلُ إليه فلا تتعرضوا لتلافكم ، وعليكم بتلاقي شرابكم ، وإياكم والتعَّرضَ لهذا السَّفِر بغير زاد ولا أعمال ، واعملوا ليوم لا بيع فيه ولا خلال .

فلما خلصوا من ربقةِ أسر الدنيا ، خلعَ عليهم خِلَعَ الأنعام ، وتَوَّجَهُم بتيجان التبجيل والإكرام ، وجعل لهم الفِردوسَ منزلا ، وقال في حقهم : ﴿ كانت لهم جناتُ الفردوس نُزلاً ﴾ [الكهف : ١٠٧] . فابتغوا لازما . قال

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٦ .
انظر : الفتوح ، لابن الأعثم ١/ ٢٥٦ .
(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٧/ .

المليك المقتدر : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾[١] قال : فلما سمعوا هذه الموعظة حملوا بأسرار صافية ، وهمم وافية ، وطعنوا في صدور الرجال ، وفُرِّقَتْ طيورُ الآجال ووضعوا السيف في الروم ، وصبَّحُوهم بيوم مذموم .

قال : فلم يزل القتال بينهم بقية يومهم إلى أن جنَّهم الليل وانفصلوا عن القتال ، ورجع المسلمون وهم متأسفون على أسر خالدٍ ومن معه ، وباتوا يسألون الله تعالى أن يَمُنَّ عليهم بخلاصهم .

قال الواقدي رحمه الله : وأما ما كان من حديث خالد ومن معه ، فإنهم لما وقعوا في الأسر وانفصل الناس من الحرب وجنَّ الليل ، أنفذهم الملك شهرياط إلى رأس العين[٢] مع حاجبه نُقَيْطَا ابن عَيْرَبُوش ، ومعه ألف فارس ، يُسلِّمهم إلى زوج ابنته وهو مُرتَميُوش ابن احترنَوش العَمْقي الوالي على رأس العين .

قال : فذهب بهم فلما طلع الفجر وهم برأس العين ، نفَّذَ إلى الحاجب عيربوش يُخبر الوالي بالقصة ، فخرج في موكبه إلى لقاء الحاجب ، ووقع الصايح في عين وردة ، بقدوم من أسر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فما تخلف منهم أحد ، وكان يوماً مشهوداً .

وألقاهم الوالي في كنيستهم العظمى وهي الجامع اليوم ، واستوثقوا منهم بالقيود والأغلال .

قال : حدثني رُوَيم بن قادم اليشكري قال : أخبرنا خالد بن بشار بن عدي قال : حدثني سُراقة بن زهير ، قال : أخبرني خُزَيمةُ بن عامر عن جدِّه عبد الله

---

(١) سورة الأحزاب . الآية ٢٣/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٦ .
وانفرد الواقدي برواية أسر خالد ورفاقه وإرسالهم أسرى إلى رأس العين .

بن عامر قال : لما فُتحتْ الرُّها وسروج وحرَّان صلحاً ، اجتمع يوقنَّا رحمه الله مع رودوس وجمع أصحابه وهم أربعمئة فارس فقال لهم : اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح هذه البلاد مِنَّةً علينا ، واعلموا أن رأس العين مدينة آهلةٌ بالخَلْق ، واسْتَعَدَّ أهلها بآلة الحصار ، وربما صَعُبَ فتحها على المسلمين ، وإني أريد أن أهب نفسي لله تعالى ، وأسير بجميع أصحابي ، فلعليَّ أن أحصل في المدينة ، ولعلَّ الله تعالى يفتحها على يدي[1] . فقال سعيد رضي الله عنه ، قوَّى الله إيمانك وثبَّت جَنَانك . قال : وعوَّل يوقنَّا على المسير تلك الليلة ، وإذا بعيون المسلمين قد أقبلت إلى حرَّان ، تخبر أنه قد وردَ عاصمُ بن رواحة[2] المتنصِّر ، في خمسمائة فارس من قومه من إياد الشَّمْطَاء ، وكان قد وصَّل قومه إلى قسطنطين[3] بن هرقل ، وتديَّر في بلاد القسطنطينية ، حتى جاء كتاب عمر[4] بن الخطاب رضي الله عنه إلى قسطنطين أن يبعدهم من دياره ، وإلا غزاه فأبعدهم من دياره وأرضه ، فتفرقوا على كل أرضٍ وموضع ، وقَصَدَ منهم هذا الرجل عاصم بن رواحة الإيادي ، إلى الملك شهرياض في خمسمائة فارس كما ذكرنا .

وكان الملك يحبه ويرى له ، وإنه لما وصَلَ إلى البيرة ، كتب إلى الملك يُعرِّفه أنه خرج من ديار قسطنطين ، وقد أتيت قاصداً إلى خدمتك . وبعث الكتاب مع رجل من بني عمه اسمه رفاعة بن ماجد ، فعبر الفرات وأقبل إلى الملك وناوله الكتاب ، ففرح الملك بقدومه ، ونفَّذَ يستعجله بالقدوم عليه ، وأنفَذَ إلى والي رأس العين أن يخلي له داراً ينزل فيها إذا قدم مع أصحابه .

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧ .
وابن كثير ، البداية والنهاية ٧/ ٧٦ ، ١٣١ .
(٢) عاصم بن رواحة = عاصم بن رواحة الإيادي .
(٣) قسطنطين : هو قسطنطين بن هرقل تولى حكم بيزنطة بعد أبيه هرقل وعاش زمن خلافة عمر بن الخطاب / الأعلام/ .
(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧ .

قال : فلما بلغ الخبر ليوقنَّا رضي الله عنه من عيونه فرح وقال : أي طريق يأخذ ؟ قالوا : على سَروج ، وقد تركناه يعبر ليلة غدٍ مع أصحابه[1] .

قال الواقدي : فخرج يوقنَّا رحمه الله ومن معه وصُحْبَتُه عمرو بن معدي كرب ، وسعيد بن زيد وقومه الأربعمائة ، وساروا يجدُّون السَّير إلى أن كمنوا له ، وقد علموا أن لا بد لهم من العبور هنالك ، فلما ضرب الليل سرادقهُ وظَلاَمه ، ونصب على الخافقين قَتَامَه ، رتب عساكر ديجوره والدجى ، ونادى منادي الغيب : ﴿ والليل إذا سجى ﴾ [الضحى : ٢] .

فبينما هم مكمنون ولأعداء الله ينتظرون ، إذا أقبلت خيول القوم وسمعوا قعقعة اللُّجم ، وصريرَ الحُزَمْ فتركوهم حتى توسطوا مكمنهم ، وخرجوا عليهم من مكمنهم من كل جانب ، قصد كل فارس لفارس من القوم ، فأخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت من القوم أحد ، واحتووا على أثقالهم ورحالهم ورجعوا إلى مكمنهم ونزلوا عن خيولهم .

فقال سعيد بن زيد : من أميركم حتى أخاطبه ؟ فأشاروا إلى عاصم .

فقال سعيد : أخبرني أيُّ مناسبة بينكم وبين الروم ، حتى لُذْتَ بجانبهم ، وتركت العرب العَرْبَاء ، وأنت منهم وأنت منَّا وإلينا ، وحَسَبُكَ حَسَبُنَا ونَسَبُكَ نَسَبُنَا ؟ لأن أنمار[2] وإياد[3] وربيعة[4] ومضر[5] كلُّها نرجعُ إلى نزار[6]

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧ .
وانظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٤ .

(٢) أنمار : قبيلة عربية من القبائل العدنانية / اللباب ١/ ٩١/ .

(٣) إياد : قبيلة عربية من القبائل العدنانية / اللباب ١/ ٩٦/ .

(٤) ربيعة : شعب عظيم فيه قبائل وبطون وأفخاذ كثيرة من القبائل العدنانية / اللباب ٢/ ١٦/ .

(٥) مضر : جد من جدود العرب وهو مضر بن نزار نن معد بن عدنان وإليه تنسب قريش وهو وربيعة بن نزار من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام / اللباب ٣/ ٢٢٢ .

(٦) نزار : جد من جدود العرب وهو نزار ابن معد بن عدنان أبو ربيعة / اللباب ٢/ ١٦/ .

بن معدِ بن عدنان .

وإن الله اختارهم لسكنى حَرِمهْ وجوار بيته ، وقد كنَّا نسجدُ للأصنام ونستقسم بالأزلام ، ونتَّبع طرق الحرام ، حتى بعث الله نبيَّه ﷺ[1] . وقال له : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2] ، فقام ﷺ في دار الخَيزَرَان[3] ، فدعاهم إلى عبادة الملك الدَّيان وقال : أنتم ولَدُ اسماعيل وجدُّكم ابراهيم الخليل وقد فضَّلكم بارئ النَّسم بسكناكم البلد الحرام ، والبيت المعظَّم وزمزم والمَقَام . فما لي أراكم على الأصنام عاكفين ، وبالأزلام حالفين ، وفي أسمال الكفر رافلين .

أما لكم عقول تردُّكم ؟ أما لكم بصائر تصدُكم ؟ أما أنتم ذوي الآراء الشَّامخة ؟ أما أنتم ذوي الأحلام الراجحة ؟ ألهذا خلقتم ؟ أم به في الأنام أمرتم ؟ نَحَتُّمْ الأصنام من الأحجار ، وسلكتم طريق الفجار ، وكفرتم بالواحد الجبَّار ، الذي زجر البحار وأجرى الفَلَكَ الدَّوار ، وخلق الليل والنهار ، أما تتفكرون في الصانع الذي جعل النُّجوم مشارق ومطالع ، وكلٌّ منكم إليه في المعاد راجع . قالوا : يا محمد من أمرك بكسر أصنامنا ، وتسفيه أحلامنا ؟ قال : يا قوم العَالِم أمرني والعقل بصَّرني ، أما علمتُم أنه من نظر في المصنوعات ، وتدبَّر وعلمَ أنَّ لها صانعاً لا يتغيَّر ، فالنظر في المخلوقات حِكْمة ، والتفكُّر في صنعته هبة ، والإقرار بوحدانيته نعمة ، والإيمان به رجمة . قالوا : فمن تعبد . قال : الذي خلقني وفطرني وصوَّرني وشرح لي صدري وصوَّر ، وخلق المخلوقات وقدر ، وأنزل الأرزاق بقضاء وقَدَر ، ليس

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧ .
(٢) سورة الشعراء . الآية ٢١٤ .
(٣) دار الخيزران : هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة اختفى فيها الرسول ﷺ لما اشتد عليه أذى قريش / المنتظم ٢/ ٣٨٠/ .

في مشيئته كَيْف[1] ، ولا في أقْضيته حيف ، يقول ولا يتلفظ ، ويعلم ولا يتحفظ ، يريد ولا يُضمر ، ويسمع ويبصر . تعالى عن المكان والأَيْن ، والتشبه والشيْن ، وقال تعالى : ﴿ لا تتخذوا إليهن اثنين ﴾ [النحل : ٥١] .

أما علمت يا ابن رواحه أن ديننا الحق ، وقولنا الصِّدق ، وما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا وأمَرَ أمَّتَهُ بالإسلام . قال الله تعالى في القرآن المبين : ﴿ ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدِّين من حرجٍ مِلَّة أبيكم ابراهيم ، هو سمّاكُم المسلمين من قبلُ ﴾[4] .

وأنت تعلم أنك في قبضتنا ، فإن آمَنْتُم بالله وصَدَّقْتُم برسالة رسول الله ﷺ ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم ضربنا رقابكم .

قال : فلما سمع عاصم بن رواحة ذلك قال : فإن رجعنا إلى قولكم أيغفر الله‌لنا ذنباً أتيناه من معصيته والإشراكِ بربوبيته والسُّجود لغيره ؟ قال سعيد : نعم لأن الإسلام يهدم ما قبله ، وجميع ما كنتم فيه لا يطالبكم الله به ، وتخرجون من الذنوب كيوم خرجتم إلى الدنيا من بطون أمهاتكم[5] . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[6] .

قال : فلما سمع عاصم بن رواحة كلام سعيد قال له : مُدَّ يدك أنا أشهد أن

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧/ .
(٢) سورة آل عمران . الآية ٦٧/ .
(٣) سورة المائدة . الآية ٣/ .
(٤) سورة الحج . الآية ٧٨/ .
(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٨ .
(٦) سورة الزمر . الآية ٥٣/ .

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فلما نظروا إلى سيدهم قد أسلم آمنوا جميعهم بالله ورسوله ، ففرح المسلمون بذلك وقالوا : يجب علينا أن نطيِّب قلوب هؤلاء القوم ، ثم ساروا من وقتهم وساعتهم إلى حرَّان ، وأنزلوهم وخلعوا عليهم .

وقال يوقنَّا : الآن فتحنا رأس العين إن شاء الله تعالى وربّ الكعبة .

فقال سعيد : وكيف ذلك يا عبد الله ؟ قال : سوف أُريكَ بيان ذلك إن شاء الله تعالى . ثم قال لعاصم بن رواحة في السِّرِ : أريدُ منك في ليلتك هذه أن تشدَّني كتافاً وتربطني وثاقاً ، والأربعين غلاماً من أصحابي ، وتجعلنا على ظهور الجمال التي وَرَدَتْ معك تحملُ أثقالكم ، ويركبون هؤلاء السادة يعني الأربعمائة أصحاب رسول الله ﷺ ، وتسيروا من ليلتكم هذه إلى رأس العين ، وتقولوا لواليها ، لما عبرنا الفرات وجئنا نريدكم خرج علينا هؤلاء ، فرزقنا المسيح النصر عليهم ، فقتلنا من قتلنا وانهزم الباقون ، وأسرنا هؤلاء وقد جئنا بهم ؛ وإياك أن تمكِّنَه أن يقتل أحداً منَّا ؛ وإذا أراد ذلك فقل له : المصَافُ بين الملك والعرب ، ولا تدري من يؤخذُ من أصحابه ، فتمسكون هؤلاء بسبب الفداء . قال عاصم : ولم لا نسير بجمعنا وأصحابي كلِّهم[1] .

فقال : يوقنَّا إنَّ الاسلام بعدُ لم يَحُلَّ في قلوب القوم ، ونخاف أن أحداً منهم يَغمزُ علينا ، فيفسد علينا حالنا ، والثقة بكل أحدٍ عجزٌ . فقال : صدقت في قولك . ثم أنزل بني عمه والخمسماية بحرَّان وثلاثة أولاد له ، وإنما فعل يوقنَّا ذلك على سبيل الرهينة ؛ ثم كَتَّفُوا يوقنَّا هو وأربعين رجلاً من بني عمه ، وتزيّوا أصحاب رسول الله ﷺ بزيّ إياد الشمطاء . وخرجوا من حرَّان ليلاً ، وساروا طالبين رأس العين . فلما وصلوا إلى موضع يعرف (بعلُوا)[2] ،

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .
وانظر الفتوح ، لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٧ .

(٢) علوا : مكان يقع بين سميساط ورأس العين .

سمعوا قعقعة اللُّجم ودويَّ الخيل ، فوقفوا مُتَجسِّسِيْن وإذا بهم أربعمائة رجل من السودان ، وخمسون فارساً وهم يقرأون القرآن ، وبعضهم يُسبِّح فاستقبلهم سعيد بن زيد بمن معه ، وكبَّروا بتكبيرهم وتعارفوا ، وإذا هم موالي لأصحاب رسول الله ﷺ ، والمقدم عليهم دامس أبو الهول[1] . والسبب في قدومهم لما بعث عياض كتاباً إلى أبي عبيدة يستنجده ، ويعلمه بمن اجتمع عليه من الكفار في مرج رَعْبَان . فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب ، أنْفَذَ إلى دامس أبو الهول ومن معه أن يُنجدوا عياضاً ، وكانوا في سميساط[2] وبلادها ، فترك مائتين من أصحابه بها ، وجاء في بقية أصحابه وعبروا الفرات ويمَّموا نحو مرج رعبان ،. فالتقاهم سعيد بن زيد ومن معه[3] ، فسلم عليهم وكان مُلْتَقَاهُمْ على (الزَّيْلَخَة)[4] ، وفرحوا باجتماع الشمل ونظر دامس أبو الهول في ضوء القمر ، وإذا بيوقنّا وأصحابه موثوقين على الجمال .

فقال : أظفرتم في طريقكم بهؤلاء ؟ فقال سعيد : هذا عبد الله يوقنّا وأصحابه قد باعوا أنفسهم من الله وقد اتفق رأينا على كذا وكذا . قال : فلما سمع أبو الهول كلام سعيد سجد لله تعالى شكراً ، فلما رفع رأسه سلم على يوقنّا وأصحابه ثم قال : مرحباً والله بقوم طَلَّقُوا الدنيا في مرضاة الله عز وجل . ثم قال دامس لسعيد بن زيد : يا صاحب رسول الله ﷺ ، أشركونا معكم في

---

(١) دامس أبو الهول : كان مولى لبني طريف ملوك كندة ، اشتهر بالفروسية والشجاعة في بلاد كندة وحضر موت وجبال مهرة وكان طويلاً كبير الحجم قدم إلى حلب والمسلمون محاصرون قلعتها فنزل على بني طريف وكثرة وشارك في تسلق أسوار القلعة وفتحها . / فتوح الشام للواقدي ١/ ١٦٥ ، ١٦٧/ .

(٢) سميساط : الطين انظر : / بلاد الخلافة الشرقية ١٤٠ ومروج الذهب ١/ ١١٨/ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٤) الزيلخة : موضع بين سميساط ورأس عين شرقي الفرات وهي أقرب إلى رأس العين منها إلى سميساط / فتوح الواقدي ٢/ ٨٨/ .

هذه الحيلة ، فقال : نعم . ولكن أَنيخُوا هذه الجمال ، وأَخْفُوا الدُّروع والعدد واحتزموا وسوقوا الجمالَ أمامنا كأنكم عبيدنا ، فإنه لا ينكر عليكم ذلك . قال : نعم . وفعلوا ما أمرهم سعيد بن زيد ، وأخفوا لأَمَتَهُمْ في وسط الأثقال ، وأقبلوا على سوق الجمال ، فلما وصلوا إلى (الزُّليخة)[1] نزلوا هنالك ولبسوا ، وتدرعوا ونشروا الأعلام والصلبان التي كانت معهم ، وداروا بيوقنّا وأصحابه ، وجعلوهم في وسطهم وساروا حتى بقي بينهم وبين رأس العين فرسخ .

بعث سعيد بن زيد رجلاً من حلفائهم إلى رأس العين يبشِّر بقدوم عاصم بن رواحة وإياد الشمطاء . قال : فلما جاءه الرسول خرج بالمواكب إلى لقائهم[2] ، وقد أعلمه الرسول بقدوم يوقنّا أسيراً من قومه ، وصاح الصائح بذلك في رأس العين فما بقي أحدٌ إلا وخرج أمام الوالي ، والتقيا بأصحاب رسول الله ﷺ ، وهم بزِيِّ إياد الشمطاء ، وقد داروا بعاصم بن رواحة وكان الوالي يحبه ويعرفه ، فترجل بعضهم لبعض وتعانقا ، ثم ركبا وأقبلت المواكب فسلَّم الوالي على أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم يشيرون إليه بالتحية . فقال مرتميوش : لعاصم كيف أخذت هذا المارق يعني يوقنّا . قال : نعم ، لما وصلنا إلى موضع كذا وكذا ـ قال الواقدي رحمه الله : وقد ألَحَّ عليه الموضع ـ خرج علينا هذا المارق برجاله فقاتلونا ، فنصرنا عليهم المسيح فقتلنا خمسين ، وأسرنا هؤلاء وانهزم الباقي .

قال الواقدي : ففرح فرحاً شديداً ، وتفاءل بالنصر وأقبل يعنِّف يوقنّا بالكلام وهو لا يرفع رأسه ولا يرد جواباً والرُّوم تشير إليه وتحدِّق به وتشتمه ،

---

(١) الزليخة : موضع قريب من رأس عين تبعد عنها بضعة أميال / فتوح الواقدي ٢/ ٨٨/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٨ .
وانظر فتح رأس العين في : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

وهو لا ينطق بكلمة واحدة إلى أن دخلوا رأس العين ، وأمر بهم إلى بيعة[1] نسطُوريا وقال : اطرحوهم مع أولئك الذين أسرهم الملك ، واحتفِظُوا بهم حتى نكاتب الملك في أمرهم برأيه ، فألقوا الخمسمائة مع خالد رضي الله عنه وأصحابه[2] . قال عاصم بن رواحة : أيها الصَّاحب أنت تعلم ما بيننا ، وبين هؤلاء القوم من الأحوال والعداوة ، وإن كانوا عرباً مثلنا ، ونخاف إن تركْتَ على حظهم أحداً من الروم أو الأرمن ، يتخذون عندهم عهداً ويأذن بإطلاقهم ، وتدخل المضرَّة عليك وعلى الملك ، والصَّواب أننا ننزل كلنا في البيعة بعضنا من داخلها وبعضنا من خارجها ، فإنه من أتى إلى الجهاد ، لا يأوي إلى الراحة لأنه من تعب في الدنيا قليلاً استراح في الآخرة طويلاً .

قال الراوي : فاستصوب الوالي رأيه ، وأنزله في البيعة وأصحابه ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، وأضاف يوقنّا وأصحابه إلى خالد ومن معه .

قال الواقدي رحمه الله : حَصل في رأس العين ستماية من الصحابة ، مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد الأشتر ، وعبد الرحمن بن عامر والنعمان بن المنذر والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر وعبَّاد بن بشر وعمرو بن معدى كرب والحارث بن خزرجة ، وعامر بن ربيعة وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله ﷺ ، ويزيد بن[3] أبي سفيان ورافع بن ظاعنٍ ، ومرة بن خلاَّن وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومعقِبّ بن أُسَيد ، . وعمار بن أوس وحامد بن

---

(١) بيعة نسطوريا : هي أكبر بيعة في رأس عين وبها كنيسة عظيمة / فتوح الواقدي ٢/ ٨٩/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .
وانظر : الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٧/ .

(٣) يزيد بن أبي سفيان : عقد له أبو بكر سنة ١٣هـ على جيش وبعثه إلى الشام وولاه على دمشق . شارك في اليرموك وغيرها وفتح دمشق وتولى إمارتها حتى مات بالطاعون سنة ١٨هـ في خلافة عمر بن الخطاب فولى مكانه أخاه معاوية ، ولا أظنه شارك في فتح الجزيرة شخصياً / الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٠٦/ .

مزينه ومثنى بن سلمة ، وأبان بن عثمان ، وضرار بن الأزور وعاصم بن ماهر ، وأبو ذرّ جندب ابن جنادة الغفاري[1] ومعاذ بن جبل وسعيد بن زَيْد ، والمرقَالُ بن سارية ، وأميةَ بن كعب وسعيد بن زُرَارة وزُفَرَ بن سعيد ، ومثل هؤلاء السادة ويوقنّا وأصحابه الأربعين وأبو الهول وأربعمائة .

قال الرَّاوي : فلما استقروا في بيعة نسطوريا وجنَّ عليهم الليل ، أقبل سعيد بن زيد في السِّر من الموكِّلين به ، وكانوا قد دخلوا للقربان فسلَّم عليهم وبشَّرهم بالخلاص .

فقال خالد : يابن زيد قد علمت أن يوقنّا قد أُتي به وأربعين من أصحابه ، ونظرتُ بنور الإيمان فعلمت الآن صحة ذلك .

قال الواقدي : ثم إن الوالي بعث إلى الملك شهرياض يبشره بأن ابن رواحة ، قد قدم ومعه خمسمائة من بني عمه ، وأسر يوقنّا وأربعين من أصحابه ، فلما بلغه الخبر فرح ، وأمر بالبوقات فضربت في عسكره ، وسمع المسلمون ذلك فقالوا : ما ضربت هذه البوقات في عسكر العدو إلا لأمر مهم . وإذ قد أقبل عبَّاد بن[2] بشير وهو متنكر ، وقصد موضع عياض بن غنم ، فلما عرفه قام له وسلم عليه وقال : يا ابن البشير بشِّرني أقرَّ الله عينيك . فلم يردَّ عليه شيئاً حتى دخل معه إلى الخيمة وحدَّثه بجميع ما جرى . فلما سمع عياض بن غنم رضي الله عنه بشارة عبَّاد بن بشير ، سجد لله تعالى شكراً فلما رفع رأسه قال عباد بن بشير : أيها الأمير إن سعيداً ومن معه يسلمون عليك[3] ويقول لك : أنجز المصافَّ ، فلعلَّ الله تعالى أن يفتح على يديك ،

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .
ولم ترد رواية الأسرى المسلمين في رأس العين إلا في أخبار الواقدي .
(٢) عباد بن بشير بن زغبة : انظر : خليفة الطبقات ص٧٨/ .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .

فما بينكِ وبينَ فتح عين وردة إلّا أن نهزم القوم ، إلّا وقد فتحت لك إن شاء الله تعالى .

قال عياض : توكلت على الله وحده لا شريك له . قال : ولما جنَّ اللَّيلُ جمع عياض أصحاب الرَّايات ممن يثق إليه ، وحدَّثهم في السِّر بما ألقى إليه عبَّاد بن بشرٍ .

وقال لهم : لا تُعلِمُوا أحداً مخافةَ الجواسيس ، وإياكم أن يَصبحُ الصَّباح إلا وأنتم على تعبئة الحرب ففعلوا ما أمرهم به عياض ، فلما أصبح الله بالصَّباح أخذ المسلمون مَصَافَّهم بعد أن صَلُّوامُغلِسين[1] . قال : ولما نظرت الروم إلى كتائب الموحدين قد أخذوا أهبتهم وركبوا وأخذوا مصافَّهم .

قال الواقدي رحمه الله : فلما طلعت الشمس وانبسطت على الأرض عَلَت على الخيل ركَّابها وحملت بأصحابها ، وشبَّت من الحرب نارها ، وثارت أسودها وبعدت حدودها ، وصبر على الهول رجالها ، وتدانت آجالها ، فهم في المواقف يتقاربون وإلى العدوِّ متلاصقون وفي زحف القِرَاع مختلفون ، والعجاج ثائر والدم فائر ، والأشلاء تنهشها السباع ولحوم القتلى تنوشها الطير والضباع ، وكثرة البهائم تشتكي منها الأسماع والشموس ، ومصادمات تضجر منها الجسوم والنفوس ، والحرب قد أخذت بأوفر سجال ، وقد وقعت على أهلها الآجال[2] وحمي الوطيس في جنباتها واللَّيث غير مجانبها . والصفوف تبادر إلى الهياج ، وقد غيَّبهم غَيمٌ عَجَاج ، وقد قدم أسامَةُ جيشه ، وأتى طُرقه ومَيْسه ، والخيل تكرُّ كرَّاتٍ وتجمح مرَّات ، والسيوف تقطع البيض ، والنفوس تكاد تميَّز من الغيظ ، وكأن القيامة قد قامت . قال : وأشعل المسلمون الحرب الخطير ، والضِّرام المستطير وحلَّ بالرُّوم العقاب ، فولَّت

---

(١) مغلسين : الغَلَسْ : ظلمة آخر الليل ، أي أنهم صَلُّوا بغَلَس .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .
والفتوح ، لابن الأعثم ١/ ٢٥٦ .

ناكصةُ على الأعقاب ، واستحثُّوا بنفوسهم النشيطة ، فنال المسلمون على المتاع والوسيطة لا يشترك غيرهم في أثقالها .

قال الواقدي رحمه الله : والتقى عبد الله بن عَتْبَان بن وائل بن صعصعة بن النجَّار ، وعبد الله بن قُرُط[1] بن صخر بن هبيرة بن شرجيل بن كعب بن عامر بن حارثة بن مالك بن النخع بالملك شهرياض . وقد عوّل على الهرب وكلُّ فارس قد اشتغل بنفسه عن نصرة أخيه ، وليس حوله إلا عشرةٌ من خدمه وغلمانه فأطبق عليه .

قال الواقدي رحمه الله : وقد ارتَجَّ على أيهما كان . قال : وطعنه في صدره فأبرز السنان من وراء ظهره ، فلما نظره غلمانه مجندلًا ، ولُّوا على أدبارهم ، فنزل عبد الله فاحتزَّ رأسه وألقاها على رأس السنان ، ثم ركب وصاح ، ألا وإني قد قتلت الملك شهرياض . قال : فعند ذلك فرَّ من كان قد ثبت للحرب وولّى[2] .

قال الرَّاوي : وتركوا الأثقال والأحمال والخيام ، والفساطيط[3] والأموال والسُّرادقات على حالها ، فاحتوى المسلمون على ذلك .

قال جَريرُ بن ناسب بن ضَمْرَة الضَّمري : كنت مولعاً إذا سكنت الحرب ، أن أعدَّ القتلى من الروم ، فأخذت مخلاةً[4] علَّقتُها على عاتقي ، وملأت حجري حصىً ، وكنت لا أمر بقتيل ، إلا أحذفُ حصاةً في المخلاة . فلما فرغت عددتها فإذا قد قتل من الروم والأرمن ثمانون ألفاً وسبعمايةٍ وخمسون رجلاً .

---

(١) عبد الله بن قرط النخعي : انظر : أسد الغابة ٣/ ٢٤٣/ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ . والفتوح ، لابن الأعثم ١/ ٢٥٧/ .
(٣) الفساطيط : الخيام الكبيرة ويتسخدمها قادة الجيوش والملوك .
(٤) مخلاة : كيس من جلد أو قماش يضع الفارس فيه طعامه وأشياءه .

وأما الأُسارى فلا يقع عليهم عدد ، فلما وضعت الحرب أَوزارها أمر عياض بن غنم بالأثقال والأسارى إلى كفر توثا ، بَعثهم مع الصَّلت بن مازن بن ربيعة ، وكان حليفاً لقريش ، ونفَّذُ معه جميع ما غنم مع ألف فارس وأمره أن لا يبرح منها إلا أن يفتح الله عليه برأس العين ، ثم ارتحل عياض في إثر الوقعة إلى عين وردة ، وبات ليلته بتلِّ القباب[1] . قال : ووصل المنكسرون إلى رأس العين وهم بأسوأ حال ، ووقع الصياح في جوانب المدينة بهزيمة الجيش وقتل الملك شهرياض، فكَبُرَ عليهم وعَظُم لديهم ، واستوثق مرتيموش بأسوار المدينة ، وعوّل في صبيحة غدٍ أن يضرب رقاب المسلمين المأسورين ، أعني خالداً ومن معه ويوقنّا وبني عمه ، وكان هذا زيُّ[2] القوم ، إذا قتل لهم ملك يقتلون عليه مائة أسير من أعدائه[3] .

ت ـ (حصار رأس العين)

قال الواقدي : فلما كان من غدِ الوقعة[4] ، ركب مريموش إلى وسط المدينة ، وأمر أن يؤتى بخالد ومن معه ليضرب أعناقهم ، فلما هَمُّوا ومضوا ليأتوا بهم فإذا بعياض بن غنم قد صَبَّحهم صباحاً فأشغلهم عن ذلك ، ونزل من باب[5] أُسْطَا خرون ، وهو الباب الشرقي من نحو باب مِكيانُوس[6] ، وهو باب الخابور وناصبهم القتال ، وكان على الباب الشرقي ، قُبَّة من الدِّيباج

---

(١) تل القباب : هي قرية من أعمال ماردين في ديار بكر / اللؤلؤ المنثور ٥٠٦/ .
(٢) زيُّ : عادة أو عرف .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .
(٤) الوقعة : يقصد معركة مرج رعبان .
(٥) باب اسطاخرون : وهو الباب الشرقي لمدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ وابن الأعثم ، الفتوح ، ١/ ٢٥٦/ .
(٦) باب مكيانوس : وهو باب الخابور لمدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ .

المُدبّج برسم عدوا الله مُرتَمُوش ، وبباب القبة منجنيق عظيم يُسَمُّونه الدَّمُوك ، يتعلق بحباله مائة رجل .

وصاحبه ابن عم الملك ، وكان اسمه بَقْرِيشْ بن أكشِفَاط وكان أبوه هو الملك قبل شهرياض . وهو صاحب الدَّنانير الأكشفاطيّة .

قال الراوي : وما تقدم للقتال أصحاب رسول الله ﷺ ، إلا ليشغلوا أعداء الله عن قتل أصحابهم ، وكان عياض قد علم ذلك ، وأنه متى قتل للروم ملك قتلوا عليه مائة أسير ، فلذلك تقدم للقتال ليشغلهم ؛ وأيضاً إذا أشغلهم بالقتال وجد خالد ومن معه للمدينة سبيلاً ، فجعلوا يرمون بمنجنيقهم وسهامهم وكان قد وصل مع عياض بن غنم غلام من المدينة اسمه جميل بن سعيد[1] الدوسي ، وكان أرمى خلق الله بالنبل[2] .

وكان قد وصل ومعه أمٌّ عجوز ، فلما كان في ذلك اليوم ودَّعها ، وهي في آخر الجيش ، وقال : يا أماه لا بدَّ أن أجاهد حق الجهاد ، فلعلِّي ألحق بأبي وجدِّي اللذين قتلا بين يدي رسول الله ﷺ . فقالت : يا بني نصَرَك الله وأيَدك . قال : فتقدم الغلام ورفاقه يَسْتُرُونه بالأتراس ، وكان قد اشتهر ذكره بين العرب ، وأنه كان يأخذ النبلة وينظر الطير في الهواء ويقول لمن معه : قد عوَّلت أن أضرب هذا الطير في موضع كذا وكذا ، ثم يضربه فتقع الضَّربة في العُضو الذي يقول من الطير . فلما كان ذلك اليوم في قتال عين وردة ، تقدم وجعل يضرب البطارقة ، فما يقع السَّهم إلى في فؤادٍ أو حدقةٍ ، حتى قتل ثلاثين بطريقاً فمنهم من وقع إلى المدينة ، ومنهم من وقع إلى خندقها . وانكشف برج الباب وكان عدو الله يَرتَمُوش المقدم ذكره صاحب المنجنيق أرمى خلق الله فجعل يعبر ويرمي .

---

(١) جميل بن سعيد الدويسي : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ .
وابن الأعثم ، الفتوح ، ١/ ٢٥٦/ .
وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

فقال المسلمون لجميل : يا غلام أَبعد إلى موضعٍ لا يصل إليك فيه حجر المنجنيق ، فإنَّا نخاف عليك منه ، فقال : يا قوم اعلَموا أني سمعتُ قول الله تعالى حيث قال في كتابه الكريم : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾[1] ولا بد أن أثبتُ لهم ثم رمى رجلاً من الذين يجرُّون الحبال فقتله[2] .

وثانياً وثالثاً فهربت البطارقة من حبال المنجنيق ، وقالوا : لا طاقة لنا للوقوف في هذا المقام من أجل سهام هذا الغلام . فقال لهم مريميوش : البسوا الدروع وتنكَّبوا تحتها ففعلوا ذلك ، واستتر اللعين عدو الله خلف السهم ، ثم صاح بالرجال ، فقعدوا في الحبال فرمى حجراً فوقع على رجل من بجيلة فقتله ، ولم يزل كذلك حتى رمى ستة فقتلهم . قال : ثم إن جميل بن سعيد رضي الله عنه جعل يرمي فلا تخطئ نباله وهو يقول : واشوقاه للشهادة ، لأصل إلى دار عالم الغيب والشهادة ، فنودي في سِّرِه ، إن كنت أردت ذلك فبادر ، ولا تخف فيما تحاذر ، وأطلق عنان همَّتك في ميدان طلبنا ، وإياك والتخلف عن بابنا ، فمن أرادنا أردناه ، ومن أحبَّنا أحببناه . فقال : ها أنا أتقدم ولساني عن الحقيقة يَتَلَعْثَم ، وقد بعتُ نفسي منك ما قبل شراءها ، فعسى أني للجنَّة أراها . قيل له : قد قبلنا فَافرح ، واطلق جنانك بشكرنا وامرح ، فمن باع نفسه منَّا لم يكن في الشراء مغبون ، ويسمعُ ما شرطناه في الكتاب المكنون . ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[3] .

---

(١) سورة النساء . الآية ٧٨/ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٠ .
والفتوح ، لابن الأعثم ١/ ٢٥٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩/ .

قال الراوي : فبينما هو كذلك ، إذ عَيَّر عليه عدو الله ورماه[1] . وكذلك جميل قصد بنبلة عدو الله فوقعت في صدره ، فمرقت من ظهره ونظر جميل إلى الحجر وقد قصده ، وعلم أنَّه ميِّت لا محالة ، فالتفت إلى ابن عم له اسمه رافع بن خالد الدوسي . وقال له : بلِّغ العجوز سلامي وأنشدها عني[2] : [البحر الطويل]

أيا رافعاً إلّا حملتَ رسالةً ... مُخَبِّرَةً أنّي لقيتُ حِمامي
وإنْ جئتَ أُمِّي والخَواتِ وعِتْرتي ... فَخُصَّهُمُ عنِّي بكلِّ سلامِ
طريحٌ ببابِ الحصن لما تطايرتْ ... من الحجر الصَّلْدِ الأَصَمِّ عظَامي
ولستُ أُبالي إن قُتلتُ فإنَّني ... أُرَجِّى بقتلي في الجنانِ مُقامي

قال : ووقع عليه الحجر فمات رحمه الله تعالى . قال : وأُعلمَ عياض بن غنم بقصَّتهِ فبكى رحمةً لأمه ، وأمر به فدفن في موضعه بعد أن صلى عليه . قال : وبلغ الخبر لأمه فصبرت صبر الكرام . وقالت : يا بني عشت سعيداً ومُتَّ شهيداً ، وسلكت سبيل أَبيك ، رحمك الله وآنس غُربتك ، ونفعنا بك يوم القيامة ، ثم قرأت : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[3] .

قال : حدثنا مَعْمَرُ بنُ الجوني النبهاني ، وكان جدُّه ممن حضر رأس العين . قال : لما قتل جميل رحمه الله فرحت الروم وتفاءلت بالنصر[4] .

وإن عدو الله مَرْتمُوش صار صاحب الأمر بعد شِهرَياض ، ولما رأى المسلمين معوِّلين على حصاره ، مضى بالليل إلى بيعة نسطوريا ، فصلى وقرّبَ القربان ، وكان من تجبُّره على الله تعالى ، قد صور على باب البيعة

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩١ .
والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٦/ .
(٢) انظر الأبيات في فتوح الشام ٢/ ٩١ للواقدي .
(٣) سورة البقرة . الآية ١٥٦/ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩١ .

صورة رجل من العرب ، وكتب على رأسها هذا نبي العرب ، فمن كان يعبر البيعة يبصق عليه ، وكان في داخل البيعة صورة القيامة والميزان والصِّراط والجنة والنار ، وكان فيها صورة عيسى ، وبيده صليب وأُمَّتُه تحت لوائه بباب الجنة ، فلما صلى قال لعاصم بن رواحة الإيادي : قد أردت الليلة أن أقرِّب عشرة من هؤلاء الأسارى في بيت المذبح . فقال له عاصم : ليس هذا رأيٌ أيها الملك ، حتى نرى ما يكون منَّا ومن العرب وهذا بين يديك . قال : فتركهم ومضى ولم يَدَعْ عاصم أحداً في البيعة من الروم ، واستوثقوا من أبواب البيعة ، وصلى أصحاب رسول الله ﷺ ، ووجدوا في البيعة سلاحاً مما يجتمع من النُّذُور ، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ ، وعوَّلوا في صبيحة غد ، إذا اشتغل أهل المدينة بالقتال على السُّور ، وفي الفُرْجَة ، يثورون في المدينة .

قال : فلما لبسوا وتأهَّبوا قاموا طول ليلتهم يذكرون الله تعالى . وينظرون إلى تلك الصُّور المصوَّرة[1] . وصورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار .

قال عاصم بن رواحة لسعيد بن زيد : ما الذي سمعتَ في القيامة من رسول الله ﷺ لأزداد ايماناً ؟ قال : نعم . ﴿ وبُرِّزَت الجحيم لمن يرى ﴾ [النّازعات : ٣٦] ، وصُفَّت صفوفَ المتَّقين ، وجُنِّبَت جنائب الموقنين ، ونُشِرَتْ رايات الصَّادقين ورُفعت أعلامُ المُحقِّقين ، ونُصبتْ منابر الأنبياء والمرسلين ، وقُصدت مراتب السابقين ، وتوِّجَتْ رؤوس الموحِّدين ، ﴿ وقيلَ بعداً للقوم الظالمين ﴾ [هود : ٤٤] . وذَلَّتْ الملوك والجبابرة ، وطاولت رؤوسها الأكاسرة والقياصرة ، وزفرت النار وتبدَّلت الأشرار ، وتبلبلت الأسرار ، وخابت الأشرار ، ويئست الفجار واستبشرت الأبرار ، ونادى منادي الحقيقة والأنذار ، ﴿ لمن المُلْكُ اليوم لله الواحد القهَّار ﴾

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩١ .
لم يذكر هذه الرواية غير الواقدي .

[غافر : ١٦] ألم نحذِّرك دار البَوار ؟ ألم تأتكم رسلكم بالإنذار ؟ ألم تسمعوا إلى ما قُلتُ من التهديد والاعتذار ؟ على لسان سيد الأخيار . ﴿ قُلْ تمتَّعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ [إبراهيم : ٣٠] . أين من كذَّب بيوم الدين ؟ . ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأوَّلين ﴾ [المرسلات : ٣٨] . هذا يوم العرض ، هذا يوم القرض ، هذا يوم الآزِفَة ، هذا يوم الفصل . هذا يوم العدل ، هذا يوم القضاء ، فإذا انْفَضَّ الموقف بأهله ، وندم كلُّ ذي جهلٍ على جهله[1] ، وعَضَّت الأنامل أسفاً ، وتطايرت القلوب لهفاً ، ونادى المنادي في وسع ذلك النادي : يا معشر المجرمين أما سمعتم في الكتاب المكنون ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ [يس : ٥٩] . فبينما هم قد خَضَّهمُ العطش ، ولحقهم الدَّهش وعظم الأرق ، واشتد القلق وسال العرق ، إذ نادى المنادي وهم يسمعون : ﴿ وَقِفُوهُمْ إنهم مَسؤولون ﴾ [الصّافات : ٢٤] . أوقفُوهم حتى يَروا هيبتي ومملكتي ، ويشاهدوا سلطاني وعظمتي ، أوقفوهم حتى أعرض عليهم كتابي ، أوقفوهم حتى أناقشهم حسابي ، أين من عصى وأجرم ؟ اين من طغى وظلم ؟ أنا الجبار الأعظم ، أنا الذي لا أرحم من لا يرحم ، أين أمة نوح ؟اين من يغدو في البطالة ويروح ؟ أين قوم هود ؟ أين ثمود ؟ أين قوم ابراهيم ؟ أين أمة الكَليم ؟ أين رهط شعيب ؟ أين أهل الشَّك والريب ؟ أين أمة التوحيد ؟ أين أهل الصلاة والتمجيد ؟ أين أهل القرآن ؟ فعندنا الغفران أين أمة راكب البراق ؟ أين أمة الطاهر الأخلاق ؟ هَلُمُّوا للعرض والحساب ، فقد تجلى رب الأرباب ، ﴿ لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ [غافر : ١٧] . والمصطفى صلوات الله عليه وسلامه في كبكبة من حشمته ومواكب زينته ، على رأسه تاج الرضى ، منقوش عليه بقلم الإمضاء . ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[2] [الضحى : ٥] .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩١ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٢ .

وبيده لواء الحمد ، وعن يمينه الأنبياء وعن يساره الأولياء ، والملائكة تطرق بين يديه ، وأهل الموقف ينظرون إليه ، وأُمَّتُه يصلُّون عليه ، وقد تهللت وجوههم فرحاً ، وتبختروا بين الأمم فرحاً ، وقد أضفَى عليهم الاسلام سرباله ، وقد وصل بهم جماله ، وقد رفعوا أصواتهم بالتمجيد ، وأزعجوا الموقف بالتوحيد . وقد أضاء لهم نور إيمانهم ، ورفعت ضياء أمانهم ، وعُرضوا على ديَّانهم .

فاستشهدهم على الأمم فشهدوا بقبول شهاداتهم ، وغُيِّبَ عنهم نجوم الأفلاك ، وأمنوا من الهول واليأس ، ونادى مناديهم : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[(١)] .

وأهل الموقف ينظرون إلى جمالهم ويتعجبون من هيبة جلالهم ، ويقولون : قد فاز من اتبع ملَّتهم ، وصدَّق شريعتهم . قال : مالكُ يوم الدين ، ﴿ وبما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [الحجر : ٢] ، فإذا ورد نبينا ﷺ مَقامه ، أطال هناك قيَامه وبسط كف ابتهاله ويخلص في طلبه وسؤاله ، ويقول : أسألك شفاعتي في العصاة من أمتي . وإذا النداء من ساحات النداء : وعزتي وجلالي لا أخلفتُ لك موعداً ولا نقضت لك عهداً ، ولأُرِيَنَّ أهل الموقف عُلُوَّ شأنك ، ورفيع مكانك ولأعطينَّك حتى ترضى ، ولأمنحنَّك القبول والرضى[(٢)] . لمعنى قوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[(٣)] .

قال الراوي : فازداد عاصم إيماناً ، ولما كان وقت السَّحر وثبت الصحابة على أقدام العزم وخرجوا إلى أهل المدينة ، واستعانوا بنصر الله ، وقالوا :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠/ .
(٢) فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٢ .
(٣) سورة الضحى . الآية ٥/ .

اللهم انصرنا بنصر نبيِّك يوم أحد وكيوم الأحزاب ، ثم قال خالد : إياكم وأن تتفرقوا فتذهب ريحكم واتقوا الله الذي إليه مَصْيرُكُم ، واعلموا أن الأعداء يجتمعون عليكم والنساء يرجمونكم والشباب يقاتلونكم ، وإياكم والفشل ، فإنه داعية الكسل ، ويؤدي إلى الخبل ، وإياكم أن يطمع أحد منكم بالحياة ، ولتكن المنية نصب أعينكم ، وتيقنوا أن الذي ينصركم في الكثرة ينصركم في القلة[1] ، فإنه قادر على ذلك ، وبذلك وعدكم عز وجل . قال الله تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾[2] واعلموا أن هذا السُّور قد أحاط بكم ، والأبوابُ مقفلة دونكم ، وكل من في هذه المدينة يَردُّكم فاجعلوا قصدكم الله ، فهو قادر على فناء أعدائه ، وصولوا على الأعداء وأذيقوهم كؤوس الردى ، واتكلوا على المولى ، واحملوا على الكافرين ، ودمِّروا ديار الفاسقين ، واسمعوا ما قال أرحم الراحمين ﴿ فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ﴾[3] .

قال سعيد بن زيد : يا أبا سليمان ما تكلمت بشيء إلا ونحن به عارفون ، وما ألقينا أنفسنا في أضيق المسالك إلا وقد عوَّلنا على أن كلاً منا هالك ، ولا بد من خوض المعارك ، والإتكال على الملك المالك ، الذي ليس له في ملكه مشارك ، قال : وأجابه كلٌّ من الصحابة بجواب وقد عوَّلوا على إتلاف أنفسهم في رضى خالقهم ، إلا شرجبيل[4] بن حسنة فإنه لم ينطق في ساعته تلك بكلمة ، فقال له خالد رضي الله عنه : يا أبا عبد الله مالي أراك لا تردُّ جواباً ولا تبدي خطاباً ، ورأيك الذي عهدناه وما نعتمد على سواه ، ونحن نستشيرك فيما نصنع من قبل ينقضي ما نحن فيه ، فقد قال الله تعالى لنبينا ﷺ :

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٢ .
(٢) سورة البقرة . الآية ٢٤٩ .
(٣) سورة آل عمران . الآية ١٧٥/ .
(٤) شرحبيل بن حسنة : انظر : الاصابة ٢/ ١٤٣ وابن سعد ، الطبقات ٧/ ٣٩٧/ .

﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾[1] .

وإنما أمره جبراً لقلوبنا ونتبع سنة نبينا . فقال شرحبيل بن حسنة : اعلم يا أبا سليمان ، أنه من ألقى نفسه في بحار الحرب ، صبر على موارد الطعن والضرب ، وإنما يبين صبرُ الرِّجال عند ملاقاة الأوجال ، وما نحن ممن يفزع من هجوم الآجال ، لأنَّا قد تحققنا لكل واحد منَّا أجلٌ لا يتعداه ، وأمل لا يتحاداه ، ومن خاطر بعظيم صبر على الضَّيم المُضيم ، وهذه المدينة آهلةٌ بالخلق وهي فُرْضَةُ ديار ربيعة[2] ، وقد حصلنا في وسط مدينة القوم ، والفائت لا يُتَكَلَّمُ فيه ، وإذا قد عزمت على هذا الأمر ، فاصبروا ولا تعجلوا ، فالعجلُ مقرون بالذُّلِ ، والتأنِّي مقرون بالتَّمنِّي ، والصبر عاقبته الظفر ، واعلموا أن هذه البيعة ، هي بيعتهم المعظمة ، ولا بد لهم من الصلاة فيها والقربان ، فإذا حصل هنا وَاليْهِمْ ومقدمي عساكرهم ، أطبقنا عليهم من كل جانب ، وخرجنا عليهم بالقواضب ، فإذا قُتلت الملوك وعظماء البطارقة لم يَجْسُر أحد من العوام أن يتكلم ، وأيضاً لأنه لا اعتبار لهم .

فقال عاصم بن رَواحة : لقد صدقت يا صاحب رسول الله ﷺ وتكلمت بالصَّواب وأجملت في الخطاب ، فليلزم كل واحد مكانه ، واجلسوا على السلاح واتركوا أيديكم تحت ثيابكم ، وإذا اشتغل القوم بصلاتهم ثُرنا عليهم ، ومددنا أيدينا إليهم ، فاستصوب القوم رأيه ، وعلموا أنه رأي سديد ، ليس عليه مزيد . وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في دار كبيرة من البيعة ، كانت برسم أسباب البيعة من الفُرشِ والطَّرحِ والقناديل والستور ، والرحْبِ والأدهان .

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١٥٩/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٢ ، وابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص٩٥ وابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ١/ ٤ .

قال : حدثنا عبد الله ابن يانس عن جده فياض بن زيد ، وكان من جملة من ذكرناهم من الصحابة وحضر فتوح رأس العين[1] قال : هكذا كانت قصَّتُنا ، وكنا ندبِّرُ هذا التدبير وقضاء الله تعالى يجري في الخلق . قال : ورجعنا عمَّا كنا عزمنا عليه في يومنا ذلك فكان الأمر المقدَّر ، وذلك أن اليوم الذي رجعنا فيه لم يقاتل أحدٌ من جند رأس العين . وذلك لسبب نحن نذكره .

قال الواقدي رحمه الله : وكان من قضاء الله السَّابق في خليقته ، أنَّ للوالي مرتميوش أخ عاقل لبيب له عقل وتدبير ، وكان قد قرأ أشياء من الحكمة التي وضعها (شِهْراويش) بعض حكماء اليونان ، وكان قد كَمَلَ في علم النجوم ، وكان صاحب سِرِّ الملك شهرياض ، وكان لا يصنع شيئاً إلا بمشورته . وكان قد نهاهُ عن قتال العرب ، وقال له : ما أرى لك في قتالهم من خيرة ، والأمر عليك لالك ولم يشرح له بأكثر من ذلك ، فلما كان من أمر الملك ما كان ، وقتل هو وجيشه ورجع الأمر إلى مرتميوش . فقال له أخوه الحكيم وكان اسمه (ارسَالُوس) معناه حكيم زمانه : اعلم يا أخي أنه يجب على العاقل الأديب الفاضل اللبيب ، أن يَرُمْ لنفسه من غير مرامها ولا ينقاد بزمام شهوة النفس ، فإنه من طاوع نفسه هوى في مهاوي الزلل ونُسب إلى الجهل ، فإن الشهوة عَرَضٌ ، واتباع الهوى مرض[2] ، والاستمتاع باللذات غرض ، ولا خير في شهوةٍ تؤول إلى الفناء وتعقب صاحبها العناء ، والشهوة حَيْن[3] والأمَلُ شَيْن[4] والاجتماع بَيْن[5] ، والتمتُّع دين وحبُّ الدُّنيا مَيْن[6] .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ . والفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٦ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٣ .
(٣) حَيْن : هلاك .
(٤) شين : العار والعيب .
(٥) بين : البعد والفراق .
(٦) مَيْن : كذب .

وما ندم من عَقِلَ ولا ساد من جَهِل ولا وُفِّق عجول ، ولا رَأَي لمَلُول ، ولا أوتمن خائن ، ولا صدق مائن[1] ، ولا عظم بخيل ، ولا تقدَّم ذليل ، ولا فَخُمَ نبيل ، ولا حَقُر جليل ، ولا نال العبادة من زهَدَ في الإفادة ، ولا أَمِن في الآخرة من تبوَّأ الدار السَّاحرة ، ولا سُدِّد من ظلم ، ولا حزم من ندم ، ولا خاب من تاب ، ولا رُدَّ من أناب ، ولا هجر من لزم الباب ، ولا زلَّ من اتبع الصواب ، واعلم أَنَّ بالسياسة تدومُ الرئاسة ، وبالعدل تدوم الدول ، وبالجور هلك الأُول ، وبقلَّة التدبير حلَّ التدمير ، ومن بذلَ جاهه كَملَتْ أوصافه ، وإفشاء السلام فضيلة الأنام ، وإصلاح السريرة نعم السيرة ، واتباع الكرم من حُسن الشيم ، وحلية الإنسان فصاحة اللسان ، وزينة الرجال كرم الخلال ، وخير الأصحاب التقوى ، وشر الاخوان اتباع الهوى ، وما أنجب من تعدَّى طوره ، ولا ارتفع من جهل قدره ، والتعلق بالآمال ضياع الأعمال ، ومعالي الأخلاق ، نعم الرفاق ، وممارسة الحلال نجاةٌ من الأهوال ، وحب العاجل ينسي الآجل[2] ، وطلب النجاة تحقيق الرجاء ، وارتكاب العصيان علامة الخذلان ، وتيسير الطريق علامة التوفيق ، والنظر في العواقب ، أمنٌ من المعاطب ، ومن نظر إلى الدنيا بعين الفناء أدرك في الآخرة ما يتمنى ، واعلم يا أخي أنك قد أصبحت مقيداً بحب الدنيا سابحاً في بحار أهوالها ، متعلق الآمال بمالها ، وقد تزينت لك برياشها ووقفت لك على قدم احتياشها ، ووضعت لك تاج شهواتها ، على مفرق رأس آفاتها ، حتى إذا أشرت إليها بالوصال منحتك لذيذ الاتصال ، وأحسنت لك صحبتها شهراً ثم رمتك بسهام الهجران دهراً ، فطالبت بما عليك مهراً ، حتى إذا عَلمتُ أنك عديم الإنعاظ غير سابغ الافتضاض ، ألقتكَ في سجن الآفات وحجبتك بحجاب الغَفَلاَت ، وصَغَّرت أمرك بين الناس ، ووكلت بك سجَّان الوسواس . فلا تبرح تذكر

---

(١) مائن : كاذب .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٣ .

الإنسان بما فيه حتى تخرج روحه من فيه ، واعلم أن من جملة ما قرأنا في كتبنا عن عيسى عليه السلام ، أنه رأى طائراً مليح الصورة حسن الريش كامل الزينة فقال له : من أنت . قال : أنا الدنيا ناظري مليح وباطني قبيح .

قال عيسى عليه السلام عجبت لثلاثة : لغافلٍ وليس مَغْفُولٌ عنه ، ومُؤَمِّلُ دنيا والموت يطلبه ، وباني قصر والقبر مسكنه[١] .

وإنما ضربت لك هذه الأمثال لتتَّعظَ ، بما نزل بالملك شهرياض، بالأمس كان واليوم قد بان ، أين ملكه الباهي ، صار في الحضيض الواهي ، تبدل ذلك الغناء بالعناء ، ووسع ذلك الفِنَاءِ والراحة بالنياحة ، والفرح بالترح ، والنوم على السرير بالقبر القصير ، ومعانقة الأتراب بالنوم على التراب .

بُدِّلَ عن خِلٍ ودود بمجاورة الدود ، وعُوِّضَ عن الحُجَّاب ملازمة الحجاب ، قهر فَقُهِر ، وانتظر فما أُنْظِر ، واشتغلَ باللّذَّات عن الواردات ، ادَّخر ماله ولم يدرِ مآله ، جاور وما أجار ، واشتغل بالدار عن الجار ، وبالرماد[٢] عن المِهَاد ، وبالظفر عن الغفر ، وانظر كيف صار القصر مهجوراً ، والعامر خراباً بُورا ، تبدّل السُّرور ثبوراً . ما نفعه الجيش وكثرته ولا الخزائن وعِدَّته ، أصبح والله بعد العزة ذليلاً ، وبعد الكثرة قليلاً ، فلا عمل صالح ولا متجر رابح ، ولا ثواب ينفع ولا جميل يدفع ، قد بقي مرتهَناً بأعماله ، مُوثقاً بأفعاله . وأنت تريد أن تسلك مسلكه ، وتتبع سَبيل ما أهلكه ، فلا أحد ينفعك ، ولا عمل صالح يتبعك . فاتَّقِ الله في نفسك وأهل بلدك واعقد لك مع هؤلاء صلحاً ، واحقن الدماء وارحم النساء وسَلِّم تسلَم . وهؤلاء القوم إذا قالوا صدقوا[٣] ووفُوا ، لأن الصِّدق أصل دينهم

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٣ .
(٢) الرماد : تراب القبر الناعم الشبيه برماد النار .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٣ .

وجمال يقينهم ، وما هم ممن يطلبون الملك فَيُنَازَعون عليه ، ولا يميلون إليه بل طلبهم الآخرة وما عند الله عز وجل ، وبالأمس وفَوْا لرودوس صاحب حرَّان ورجع إلى دينهم ، وكذلك الملكة مارية ابنة أرسيوس بن جارش ، وقد دخل في دينهم خيار ملوك الروم ، مثل يوقنّا وبوغور وعمودا وميشا بن عبد المسيح الذي كان أعلمنا في ديننا ، وقد ملكوا الأرض بالطول والعرض ، وإنما يحاصر عن نفسه من له مدد ، وجيش وعدد وسلاح ، وكم يقدر على محاصرة هذه البلد وهو بلد عظيم ، وما فيه ما يقوم بأَوَدِ أهله سنة ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر .

وإن لم تُسلِّمْ سَلَّمَ أهلها وسلَّموك برقبتك ، وهذه حران والرها وسروج وسنجار[1] وماردين وصور وكفرتوثا والخابور[2] ، وما عدا الفرات إلى الشام إلى أرض مصر وجيوشهم ، قد طبقت العراق وملأت الآفاق .

وقد بلغني أن الملك كسرى قد آل إلى اللحاق ، فابعث إلى أمير هؤلاء واطلب منه ما شئت فإنه يعطيك ، وتربح سلامة نفسك ومالك وأهلك وبلدك ، وعش في ظل القوم إن شئت على دينهم أو شئت على دينك .

قال الراوي : فلما سمع مريموش كلام أخيه أرسالوس غضب عليه ، وضربه بمقرعة كانت بيده[3] قال له : ما خلقك المسيح إلا ذليلاً ، كيف تأمرني أن أُسَلِّم للعرب ملكي ، وتعرِّض بي إلى العطب ؟ اخرج عني وإلا قتلتك . قال : فخرج من عنده غاضباً . وأما اللَّعين فإنه أمر بالبطارقة ، أن

---

(١) سنجار : مدينة في وسط البرية في سفح جبل وبها قلعة فتحها المسلمون صلحاً بعد فتحهم مدينة خلاط ، وأسكنها عياض بن غنم قوماً من العرب .
/ صورة الأرض ١٩٩ ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٥٤ ، فتوح البلدان ١٨٢/ .

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .
والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٧/ .

يجتمعوا في الكنيسة المعظمة ، وهي بيعة نسطوريا ، حتى يُحلِّفَهمْ ويأخذ عليهم عهداً ، أن لا يخونوه ولا يسلموه ، فمضى شاويشه وحجَّابه ، وجمعوا الملوك والبطارقة من الحجاب ، وشيوخ المدينة ومترفيها ورؤوسها وطوامحها ، فاجتمعوا الكلُّ إلى أن حَصَلُوا في البيعة وأحضروا الأقِسَّة والرهبان والشَّمامسة والبَتْرِكَ حتى يَستحلفَ من حضر إلى البيعة ، ممن تقدم ذكرهم .

قال الراوي: فلما حصلوا في البيعة أطبقوا عليهم أبواب البيعة حتى لا يدخل سواهم ، فلما حضروا أمام البترك والأقسَّة ، أخذوا يُحلِّفون الجميع والبطريق مريموش حاضرٌ ، وإليهم ناظر والقوم كلهم في كنيستهم المعظمة آمنون ، وفيما هم فيه مشغولون ؛ أخذ عليهم أصحاب رسول الله ﷺ بالسيف المسلول ، وعزمٍ غير مغلول ، وصاحوا بالتهليل والتكبير وأقبلوا عليهم بالتهويل العظيم ، وفاجأوهم بالموت الوبيل ، ونكَّلُوا بهم أي تنكيل ونادوا : نحن أمة التنزيل ، وصحابة الرسول الجليل ، نحن حملة القرآن وصُوَّامُ رمضان(١) .

قد أخذكم الله بذنوبكم ، وهتك السِّتر عن عيوبكم وأخذكم من مأمنكم ، وعصفت عليكم عواصف محنتكم ، أين الصُّلبان وعبَّادها ؟ أين الصور المعظمة في دينكم وحشمتها ؟ أين تقريب القربان ؟ أين قردشة الرُّهبان ، ادعوا الآن أربابكم ينصرونكم وبنا يظفرونكم ، هيهات اذهبوا والله بباطلكم ، وهلك بالشرك جاهلكم ، واضمحلت أيامكم وذهب دوامكم ، دونكم الضَّرب الفظيع ، واحملوا علينا جميع ، ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ [السجدة : ٤] ، ثم وضعوا السَّيف فيهم وقتلوا من يعينهم ، فما ثبتت البطارقة إلا وقد مَحَتْهُم الفئة الصادقة ، والصحابة الموافقة ، مالوا عليهم

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .
انفرد الواقدي بهذه الرواية .

ومَدُّوا سُيوفهم من أيديهم إليهم ، وثبتوا بين أيديهم وصالوا صولة أولي العزائم ، وقالوا : ربنا ومولانا أنت بالأسرار عالم ، ومالوا عليهم ميلاً ، ونالوا الجنة نيلاً ، وأسالوا النجيع[1] سَيْلاً ، وأظهروا النشاط والحَيْلا[2] ، ونظروا بشريعة من أُسْرِي به ليلاً ، لا جرَم أن الله تعالى أيَّدهم بنصره وأفرغَ عليهم جلابيب صبره ، عندما تبعوا غاية أمره ، لما علم أنهم يعبدونه وبالإخلاص يوحِّدونه . قال فيهم : ﴿ يحبُّهم ويحبُّونه ﴾ [المائدة : ٥٤] .

قال الراوي : فلما نَظَرِ الرُّوم إلى ما حلَّ بهم ، ضجُّوا بأصواتهم وعَجُّوا وطلبوا مُغيثاً فلم يجدوا[3] . وتخلى الوَادِدُ عنهم . فقال خالد : يا أولياء الله جُولوا وعلى أعداء الله صولوا ، ولا إله إلا الله [قولوا] ، ابْذُلُوا فيهم الصوارم ، وفلِّقُوا منهم الجماجم ، وانثروا منهم المعاصم ، والله هذا يوم كسب الثَّواب ، هذا يوم بلوغ المُجاب هذا يوم القصاص ، في من لا هرب له ولا خلاص ، أَرضُوا بارئكم فما أحدٌ في الفضل يجاريكم .

قال الراوي : وارتفع الضوضاء ، وضاق الفضاء ، ونزل القضاء ، وقُتلت الطَّرامخة[4] وملكت دولة الحشمة الشامخة ، وجدعت أنوف الملوك الباذخة[5] ، وذلُّوا اورُغموا ، وجار عليهم السيف بما ظلحوا ، كأنهم قَطُّ ما تَنَعَّمُوا ، وناداهم منادي القدر ، وفهموا ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ [النمل : ٥٣] . فبينما هم تحت السَّيف يُولْوِلُون وبأهل المدينة ينتصرون ، إذ وقع بأهل المدينة الإرجاف وفاجأهم التَّلاف ، وانهزم الأعوام عن الأسوار وحلَّ بهم البوار ، ونزلت بهم الأقدار وأقبلوا على الهرب ، وأيقنوا بالحرب

---

(١) النجيع : الدم .
(٢) الحيلا : من الحيل : القوّة .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .
(٤) الطرامخة : الأبطال والفرسان وهي كلمة رومية .
(٥) الباذخة : البذخ : الانفاق والتبذير بلا حدود ، دلالة الترف الشديد .

وخرجوا بأموالهم ، وما خفَّ من رحالهم ، يطلبون برجاً من ناحية المدينة وتحصن فيه من قَدَر على الدخول إليه ، وتحصنت الروم بالدّيار ، وأيقنوا بالدمار هذا والضَّجيج قد انعقد ، ونار الحرب قد اتَّقد وصياح المسلمين قد ارتفع[1] وصليب الروم قد اتَّضع والجبار قد اطَّلع ، وأبواب السماء قد انفتحت والأجسام قد جُرحت ، والروم مع نسائهم قد افتضحت ، والبطارقة قد ذبحت ودلائل الحق قد اتَّضحت والقتل يعمل في رأس العين ، وقد حلَّ بهم موارد الحَيْن ، وناح عليهم غُراب البين ، وبدت شريعة سيد الحرمين ومن عُرِجَ به إلى قابَ قوسين . وخالد قد حار ومن معه من الأخيار ، وما يدرون ما سبب المحنة ، وموارد هذه الفتنة .

قال الراوي : وكان السبب أن إرسالُوس وهو أخو مرتيموش ، لما زجره أخوه وضربه خرج من عنده على سبيل الغضب ، وعمل الحقد في قلبه ، وكان أكبر من في عين وردة يرى له ويحبه لعلمه وحكمته ، وكان يسكن من جانب باب[2] الخابور الذي عياض بن غنم رضي الله عنه نازل عليه ، وكان هناك بيعة بناها لنفسه وزيَّنها وفيها بيت حكمته ، وكان يدرِّس فيها من يقصد إليه . فلما خرج من عند أخيه قصد إلى البيعة وتبعه تلاميذه وأحباؤه ، فلما جلس في بيت الحكمة ، قالوا له : أيها السيد مالنا نراك في همٍ وإطراق ، وقد ساءت منك الأخلاق .

قال : لما يُريدُ ينزل بكم ويحلُّ ببلدتكم ، وقد وعظت أخي فَجنَحْ ، وبحب الدنيا قد افتضَح ، واعلموا أن الحكمة دُرَّة المصابح ، وسبب النجاة وسُلَّمُ الإفادة[3] ومنار العلم ونور البصائر وسبب الوصول إلى عالم العُلُوِّ ، ومن فقدها فقد ضَلَّ ومن وجدها فقد وصّل ، وقد عَتَبْتُ على هذا الجاهل

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥ .
(٢) باب الخابور : أحد أبواب مدينة عين الوردة من جهة نهر الخابور .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .

فأبى ، وهززت حسام جثمانه فنبا وقد عوّلت أن أعمل في خلاصكم من قَبلِ هلاككم ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : نفتح الباب للعرب ونبلغ ما نريد من الأرب . قالوا : افعل ما شئت فنحن تبعٌ لك .

فقال : اصبروا . ثم إنه كتب إلى عياض بن غنم مُلَطَّفَةً ، يقول فيها ما عزم عليه وطلب الأمان له ولمن يلوذ به ، وبعث الكتاب مع بعض التلامذة وقد ربطه في نشابه ، وقال : ارمِ به إلى جيش القوم ، وانظر ما يكون الجواب ، فإن كلامهم إشارة . فقال التلميذ : السمع والطاعة ، ثم صعد إلى برج الباب ومعه قوس ونشاب ، والنشّابة التي فيها الكتاب مخفيّة في كمه ، وجعل يرمي إلى أن رمى خمسة أسهم ، ثم غافل الروم ورمى السهم الذي فيه الكتاب ، فوقع في جيش المسلمين بين يدي جابر بن ميسرة[1] القرشي ، فلما رأى الكتاب في النشّابة أخذها وأتى بها إلى الأمير عياض بن غنم ، وقرأه عليه فلما علم مضمونه ، سجد شكراً لله تعالى وزحف من وقته وساعته بالجيش إلى الباب ، فما وصل إلى الباب إلا وقد فتح وكُسِرَت سلاسله ، فدخل الأمير عياض بن غنم رضي الله عنه والصحابة معه بأيديهم السيوف المشهورة والرايات الإسلامية منشورة[2] ، وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير ، ووضعوا السيوف على القُمَمْ ، وأبرَوا الأعصاب والرِمَمْ . ونفّذ عياض بن غنم ابن عمه الجرّاح بن سلامة الأشعري ، ومعه عشرة من بني عمه ، يخفُرُون أرسالوس ومن يلوذ به ، ففعلوا ذلك ولم يزل السيف يعمل في المدينة باقي يَومِهم ذلك ، فلما رأوا الغَلَبة والقهر ، قالوا : (لاغون لاغون) فأمر عياض بن غنم برفع السيف عنهم ، لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان قد كتب إلى عماله يأمرهم

---

(١) جابر بن ميسرة القرشي : هو جابر بن سمرة / جمهرة النسب ٢٧٣/ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .
والفتوح لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٧/ .
وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص١٠١/ .

وهو يقول : « إنه بلغني أن الروم يقولون عند الغلبة (لاغون لاغون) ، وهو طلب الأمان فإذا سمعتم ذلك منهم ، فأمِّنُوهم فلذلك رفع عياض عنهم السيف .

قال : حدثني رُوَيْم بن قادم اليشكري ، قال : أخبرنا عون ، قال : أخبرنا سُراقة بن زُهير ، قال : أخبرنا خزيمة بن عامر عن جدِّه عبد الله بن عامر . قال : كانت وقعة مرج[1] رعبان يوم الثلاثاء من شهر صفر سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكانت وقعة رأس العين يوم الثلاثاء من ربيع الأول في تلك السنة .

قال : وخرج الصحابة من البيعة وقتلُوا جميع من فيها ، وجمعوا الأموال والرِّجال إلى عياض بن غنم رضي الله عنه[2] ، وكان قِسْمُ الفارس عشرين ألفاً ، والراجل عشرَةَ آلاف وأسلم كثير من القوم وأسلم الحكيم أرسالُوس وتلامذته .

قال الواقدي رحمه الله : ولم يؤخذ في ديار ربيعة بالسيف إلا رأس العين[3] .

قال : وأخرج الخُمس من المال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكتب له كتاباً جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الأشعري إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أمَّا بعد : فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، وأصلِّي على نبيه . أما بعد فإنَّ الله وله

---

(١) مرج رعبان : يقع قرب مدينة رعبان المندثرة بين حلب وسميساط . / انظر : اللؤلؤ المنثور ٥١٦/ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .
وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٣٤/ .
وابن الأعثم ، الفتوح ١/ ١٥٦/ .

(٣) رأس العين : مدينة هامة وحصينة وهي قصة ديار ربيعة وبها مقر ملكها .
انظر : كتاب الخراج ، قدامة ابن جعفر ص٢٤٦/ .

الحمدُ قد فتحَ علينا يسيراً ما كان عسيراً ، وكان لنا عوناً ونصيراً ، بعد وقعةٍ كاد نارها يحرق الفئتين ، وشعاعهما يخطف العينين ، ولما تضايقوا أمامي وازدحموا قُدَّامي ، عاينت جيشاً كثيفاً وسداً منيعاً قد أقبلوا في الأفواج ، وتتابعوا كالأمواج وتناصروا من كل أوب ، واشتملوا بكل ثوب ، والحديد يتألق كالحريق ، ويومض كالبريق ، وطارت السيوف فُلُولًا والرماحُ كُعُوباً ، وانقضت العِدَّة ، ونفذت المدة ، ورأيت الموت قد اعترض ، والهلاك قد أومض ، فكاسرتُ مكاسرة الجارح وخرجت خروج القادح ، على أني لم أركض على عقبي ، حتى شفيتُ النفس وكشفت العار واللَّبْس[1] وصبغتْ كعوب قناتي عندما ، رويت مضارب سيفي دماً ، وقد وضعت الحرب أوزارها وأطفأت لهبها ونارها ، بعد أن قتل المسلمون أولئك الطُغاة الفاسقين ، ودانت بنصر الأولياء المقسطين ، ونصر الله الكفاة وخذل العتاة ، وأذل الولاة والملوك القساة وولت الأعداء الأدبار ، وقد تجللوا بالخزي والعار ، وانسلخوا من حَيْلِهِمْ وقُوَّتهم وتجردوا من بأسهم وعزتهم ، وذاقوا وبالَ الكفر ووخيم الغدر ، فعاجلتهم الحتوف ، وقطعتهم السيوف وجار عليهم الزمان وأيقنوا بالخذلان ، وأراحنا الله من مضرَّتهم ، وطهَّر البلاد من معرَّتهم ، وحسم غائلتهم وقطع مادَّتهم ، وشفى المسلمون منهم النفوس ، وجَزُّوا الغلاصم والرؤوس ، وكان زعيمهم المائن وملكهم الخائن ، أوَّل مخذول وأهونُ مقتول ، وبعد ذلك فتحنا رأس العين وذهبت عنَّا وصمةُ الشَّين ، ونحن مُعوِّلون بعد هذا النصر على فتح ديار بكر والله المعين وبه نستعين . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين . وأقرئ سلامنا قبر سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين »[2] .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .
والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

وسلَّم الكتاب والخمس لعبد الله بن جعفر[١] الطيار ، وضم إليه مائة فارس من المهاجرين والأنصار ، فسار بهم عبد الله يريد بهم المدينة[٢] وأقام عياض بن غنْم في عين وردة شهراً كاملاً ، بعد أن شكر خالداً ومن معه ، ويوقنّا وأصحابه ، وأبا الهول وجماعته . قال : وبنى ببيعة نسطوريا جامعاً ، وبنى المسلمون المساجد لكل قبيلة مسجداً تذكر به .

وأمّا ما حصل في البرج ، فإنهم لم يروا أن ينزلوا على حكم المسلمين ، فماتوا من الجوع والعطش وأخذ المسلمون ما كان فيه ، وبقيت عظامهم هناك . وترك عياض في رأس العين والياً ، وهو عرفجة بن مازن العامري[٣] في خمسمائة فارس من المسلمين ونفذّ الخُمس أيضاً مع عبد الله بن جعفر ، وسلامة بن الأحوص في عشرين رجلاً .

ثم ارتحل عياض من رأس العين ونزل (بكفر توثا) وأقبل الغلام بوغور فرحب به وولاه على المدينة ، وعرض الإسلام على الجارية طارون . فأسلمت فزوجها للغلام ووهب لهما مالاً كثيراً وبنى بها جامعاً وارتحل إلى دارا .

٤ ـ فتح دارا[٤]

فنزل عياض بدارا ، فخرج إليه أهلها ، فاعْتَقَبُوا لهم منه صلحاً . فكان من جملة ما صالح عليه عياض بن غنم أهل دارا على عشرين ألف دينار ، وثلاثين ألف درهم فضة .

---

(١) عبد الله بن جعفر الطيار وانظر تاريخ ابن معين ١/ ٣٢ وأسد الغابة ٣/ ١٣٣/ .

(٢) فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٣) عرفجة بن مازن العامري : انظر أسد الغابة ٣/ ٤٠١/ .

(٤) دارا : إحدى مدن ديار ربيعة من بلاد الجزيرة / الخراج ، لقدامة بن جعفر ص٢٤٥/ .

وأن لا يدعوا عندهم سلاحاً في خزائنهم ، فأجابوا إلى ذلك . ولم يبرح حتى بنى الجامع في كنيستهم المعظمة عندهم .

ولم يُسْلِمْ منهم إلا القليل ، فأقرهم على أداء الجزية بعد عامهم ذلك[1] .

٥ ـ فتح بيرحاء وباعما ونصيبين

وارتحل عياض من دارا ، وقَصَد بيرحاء[2] فصالح أهلها على ربع ما صالح عليه أهل دارا ، ويقال : الخمس ، ثم ارتحل فنزل على بَاعَمَا[3] ، وكان بنو اسرائيل يعظمونها ويقصدون إليها بالنُّذُر والشَّمع والزيارة ، وكان بانيها حزقيال[4] ابن بازيا أحد أنبياء الله ، ولما غزا سنحاريب[5] أرض الشام أسر أولاد الأنبياء وهدم بيت المقدس ، ثم عاد يطلب العراق ونزل بها وترك من أَسَرَ من الأنبياء في أرضها ، فلما فكَّ الله أَسْرَ بني اسرائيل . بَنَوا بها موضعاً للعبادة ، وأيضاً تبرَّك أولاد الأنبياء بالنُّزول بأرضها .

فيقال أيضاً : أنه لما غزا بخت نصر بني اسرائيل وهدم بيت المقدس ، أسر أشعيا[6] عليه السلام ، وقدم أرميا من أرض مصر وهو عُزَيرْ ، ورآها خلاءً بلقعاً . قال : ﴿ أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ [البقرة : ٢٥٩] . يعني أحياه الله وإذا بها قد عادت أعمر ما كانت . وذلك

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ ، واليعقوبي ، تاريخه ٢/ ١٥٠/ .

(٢) بيرحاء : بلدة تقع في منتصف الطريق بين دارا ونصيبين فتحها المسلمون وصالحوا أهلها وأخذ منهم عياض ربع ما أخذ من أهل دارا / فتوح الواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٣) باعما : قرية من أعمال نصيبين / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٤) حزقيال : هو أحد أنبياء اليهود الكبار نشأ في فلسطين وسبي إلى بابل سنة ٥٩٧ ق.م وله سفر حزقيال / معجم الحضارات السامية ٣٥٢/ .

(٥) سنحاريب : هو ملك آشور (٧٠٤ ـ ٥٦٨١.م) عاصمته بابل . هاجم عرب بلاد الرافدين وصور وبلاد كنعان وقتله ابنه سنة ٦٨١ق.م / ٤٩٥/ .

(٦) أشعيا : أحد أنبياء اليهود .

أن الله ألقى في قلب سنحاريب ملك نينوى ، أن سار إليها وعمَّرها . فلما جاء جبريل لعُزَير قال : ﴿ كم لبثت ﴾ فنظر إلى المدينة فوجدها أعمر مما كانت . قال : ﴿ لبثت يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام ﴾ [البقرة : ٢٥٩](١) . والقصة مشهورة . فلما أحياه الله تبارك وتعالى وأحيا حماره ، قصد يريد سنحاريب ليشكر فعله على بنائه بيت المقدس وعمارته له ، فنزل بالخُضَيْرَا(٢) وبنى هناك موضعاً للعبادة ، وهي بَاعمَا . فلما نزل عياض بن غنم بأرضها ، جمع طرياطس أرباب دولته و ودهاقنة المدينة ومترفيها في كنيسة مريم وصعد درج المعمودية ، وقال : يا أهل نصيبين إنِّي لم أزل أنظر في أحوالكم وأقضي حوائجكم وأُحسنُ السياسة فيكم ، وأعدل في أحكامي على طول أيامي ، وكنت بكم رفيقاً وعليكم شفيقاً ، واعلموا أن أيامنا قد مضت ، ودولتنا قد انقضت وهؤلاء العرب قد ملكوا البلاد والعباد ، وقد نزلوا بإزائنا وقصدوا بلدنا ، وقد عوَّلتُ على أن أخرج إليهم ، وأصالحهم وأحقن دماءكم بما يتم به الصلح من مالي ، وأريد منكم أن لا تردُّوا لي يداً ، وتشكروني عند هؤلاء العرب . قالوا : وما الذي يضرُّنا في ذلك(٣) .

قال الرَّاوي : وأخذ من كبرائهم خمسين سيِّداً وقصد باب الرُّوم ، ويمَّموا جيش المسلمين ووقفوا بين يدي عياض بن غنم ، وأعلموه بقصة طرياطس وأنه ملكهم(٤) قال : فعظَّم عياض شأنه ورفع مكانه وعظَّمه ، لقول رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه »(٥) قال : فلما استقر به المكان التفتَ إلى عياض بن غنم وقال : إنَّا قوم لم نزل نتلقَّت إلى قُدومكم ، ونتشوق

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ . والقصة مشهورة ووردت في القرآن الكريم .

(٢) الخُضَيرَا : موضع في بلدة باعما وهي من أعمال نصيبين / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢/ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٥) انظر الحديث في : كنز العمال / ٩/ ٢٥٨٤٤ ، ٢٥٤٨٧/ .

إليكم ونسمع بأخباركم ، وما أنتم عليه من العدل والخير والنَّصفة في الأحكام . إلى أن أتى الله بكم ، وقد خرجنا إليكم لتحملونا على بساط عدلكم ومروءة مثلكم ، وتأخذون منَّا ما أخذتم من أهل (دارا) على أني لم أزل ملك القوم ، ومن أراد من أهل بلدنا أن يدخل في دينكم فلا مانع يمنعه من ذلك .

فقال له عياض بن غنم : ما اسمك ؟ قال : اسمي طِرْيَاطِس . فقال له عياض : يا طرياطس أنا أحملكم على العدل ، فما فتح الله علينا إلا باتبَّاع الحق وسلوك طريق العدل وإنَّا نتجنب البغي والظلم ، وما قصدنا قاصد إلا وجدنا مُفْزَعاً لقصده ، ونجيب أربه ، وبعد ما خرجتم إلينا ، ووردتم علينا فنحن نجيبكم إلى ما سألتم ونصالحكم على ما صالحنا عليه أهل دارا . فعند ذلك قال طرياطس : وتصالحون أهل معرين[1] ، على ما صالحتم عليه أهل بَيْرحَاء ، فأجابَهم عياض إلى ذلك أيضاً ، وسبب إجابته لهم ولين عريكته حتى يبلغ الخبر لأهل ديار بكر[2] . فيجيبوه طائعين ، ويسلِّموا له من غير منازعةٍ وكان قد بلغه تحصُّن بلادهم وامتناع قلاعهم . قال : فدخل طرياطس ، واستخرج المال من خزائنه ، ولم يأخذ من أموال أهل بلده شيئاً وخرج به[3] إلى عياض فتسلَّمه منه وكتب لهم كتاب الصُّلح وشرط لهم الجزية من العام المقبل كما فعل بأهل دارا ؛ ولما انبرم الصلح ، دخل عياض رضي الله عنه ، ومعه أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار ونزل عند كنيسة مريم ، وبنى

---

(١) معرين : إحدى قرى كورة نصيبين وصالح المسلمون أهلها على مثل صلح بيرحاء عندما فتحوها بقيادة عياض بن غنم . / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥/ .

(٢) ديار بكر : تمتد من غربي دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين وحتى ميافارقين وآمد ولا تتجاوز السهل / معجم البلدان ٢/ ٤٩٤ ، ونخبة الدهر لشيخ الربوة ص١٩١/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ .
وذكر ابن الأثير أن نصيبين فتحت صلحاً على مثل صلح الرقة / الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٢/ .

الجامع وبنى كلٌّ واحد من الأربعين مسجداً ، ولما نظر أهل نصيبين إلى حسن سياستهم أَسْلَم أكثرهم وكان في جملة من أسلم أصحاب دير التُّذُور[١] ، وهو بجانب باب الرُّوم فأخذته كندة[٢] وبنو موضعه مسجداً ، وأقام عياض على نصيبين شهراً . فلما همَّ أن يرحل إلى ديار بكر[٣] ، جاءه طرياطس وقال له : قد صَغُر ديننا في أعيننا لما رأينا من حسن صلاتكم . ثم أسلم وحسن إسلامه ولم يزل ملكاً حتى مات في أيام عثمان رضي الله عنه . ونزل بمسجد كندة أسامة[٤] بن عامر الكندي وعشرة من بني عمه حتى يُعلِّمهم شرائع الإسلام ويحكم بينهم بالعدل .

قال : وارتحل عياض بن غنم حتى نزل تحت قلعة المرأة ، وهي مارية ابنة أرسَيوس بن جارش ، فنزلت إلى عياض بالإقامة والضيافة ، فسلَّم إليها ولدها عمودا بعد أن أعطاه معيشةً يعيش منها ، وهي القرية التي سميت باسمه على باب دارا ، وعشرين قرية سواها ، واستقبل على طريقه حتى نزل على آمِدْ[٥] .

---

(١) دير النذور : هو أحد الأديرة الهامة في مدينة نصيبين قرب باب الروم . / فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ .

(٢) كندة : قبيلة عربية مشهورة من اليمن وتنتسب إلى كهلان بن سبأ ، ولها كثير من البطون في الشام والعراق ، / اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ١١٥/ .

(٣) ديار بكر : بلاد واسعة بالجزيرة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها من غرب نهر دجلة إلى الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة واسعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من بلاد ولا يتجاوز السهل / معجم البلدان ٢/ ٤٩٤/ .

(٤) أسامة بن عامر الكندي : لم أعثر له على ترجمة .
ولكن ذكر اسمه الواقدي في فتوح الشام ٢/ ٩٥ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٥ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

الفصل الثالث

فتح ديار بكر

١ ـ حصار مدينة آمد

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال صاحب السيرة الواقدي رحمه الله تعالى :

حدثني نوفل بن عبد الله بن يحيى عن عامر بن بشر قال : نزل عياض بن غنم على آمد[١] يوم الجمعة . لسبعٍ خلون من جمادى الأولى سنة سبع عشرة من الهجرة . قال : وكان بآمد أَخَوَانِ شديدا البأس ، يقال لأحدهما : بطرس والآخر يوحنَّا ، وكان بطرس مما يلي شرقي المدينة ، ويوحنا مما يلي غربيَّها ، وكان ليوحنا ابنة تسمى زَعُورَه ، ولبطرس ابنة تسمى صغُوره ، وكل واحد مشتغل بموضعه ، وإن يوحنا أراد أن يتزوج فبعث إلى صاحب دارا وهو يومئذ مِرطَاوس بن جُرجُس ، فخطب ابنته مريم فزوجه بها وحُملت من دارا إليه . وكانت صاحبة حيلة ومكرٍ ودهاء ، فلما حصلت بآمد ونظرت إلى المدينة وكثرةِ نعمها ، وتحصين سورها وكثرة مياهها وغُزارة بساتينها ، فقالت لدايتها في السِّر : يا داية وحق المسيح ما رأيت أحسن من هذه المدينة ولا أحصن ولا أمنع ! ألا ترين إلى هذه الأعين المخترقة في وسطها ؟ وهذه

---

(١) آمد : مدينة هامة في ديار بكر وتسمى آمد السوداء لأن حجارة بنائها سود وبها قلعة وتقع غرب نهر دجلة فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم وهي في أيامنا تتبع لتركية . / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٤/ .

الجبال التي دارت بها يعني سورها الأسود ؟ يا ترى من بناها على الحقيقة[1] ؟ قالت الداية : يا بنية اعلمي أنه قد ملك بلاد الرُّوم جمعٌ من أولاد اليونان إلى بلاد عَمُّورِيَّة[2] . ملك يقال له : طَيْمَاوِسْ بن أَسَاوِسْ ابن جَهْمِيَاط بن مَكْلاَ وكرنْ بن الأصْفَر بن العيص بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وكان أول من بنى بيت الحكمة في بلده رومية[3] الكبرى ، وكان قد فتحت له المطالب ، وأثر في الأرض العجائب ، وإنه دعته نفسه لفتح الأرض كثرة الأموال التي وجدها ، فانتهى في فتحه إلى نَيْقِيَة[4] وسَرنيقية[5] ، وكان له ولد اسمه اسطنبول ، فقال لأبيه طيماوس : أريد أن أبني ههنا مدينة أُذكر بها . فقال له أبوه : افعل وأمده بالأموال والرجال ، وطلب ما يحتاج إليه وأحضر المهندسين والعمال ، فُدَوَّرُوا السور على ستة فراسخ . وسمّاها باسمه ، وتم ملكه أربع سنين ومات ، وخلَّف ولداً سمَّاه قسطنطين . فأتم بناءها فسميت اصطنبول[6] باسم الأب والقسطنيطينية على اسم ولده ، وأما أبو أبوه طيماوس فإنه سار يفتح البلاد إلى أن انتهى به المسير إلى هاهنا ، فرأى هذه الأعين والدّجْلَة فاستحسن المكان ودعا ببطارقته وأرباب دولته ، وكانوا اثنين وسبعين ملكاً . فقال لهم : قد اخترت أن ابني هذه المدينة لا يكون على الأرض أحصن

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٦ .

(٢) عمورية : مدينة وحصن منيع في بلاد الروم ، غزاها المعتصم وفتحها سنة ٢٢٣هـ . / معجم البلدان ٤/ ١٥٨/ .

(٣) رومية الكبرى : مدينة في وسط ايطاليا ، قرب الساحل الغربي على ضفتي نهر التيبر وهي اليوم عاصمة ايطاليا / انظر الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦٢/ .

(٤) نيقية : مدينة كبيرة قديمة من عمل القسطنطينية تقع على طرف بحيرة طولها ١٢ ميلاً وفي وسط البحيرة ثلاثة جبال يلجأ لها السكان عند الخطر ومن نيقية إلى عمورية ثلاثة أيام . / انظر الروض المعطار ص٥٨٩ ، ونخبة الدهر٢٢٨/ .

(٥) سريقينة : لم أعثر على مدينة قديمة بهذا الاسم وربما تغير اسمها .

(٦) اصطنبول : هي نفسها القسطنطينية أو بيزنطية وكان دار الملك الروم وعاصمة للعثمانيين من بعدهم / معجم البلدان ٣/ ٣٤٧ .

منها ولا أمنع . ولكن أريد كلَّ واحد منكم أن يبني لنفسه بَدَنَةً وبُرجاً . فقالوا : أيها الملك نفعل ، ثم ركب واختط المدينة وشرع في بنائها[1] . وأتى بالصُّناع من أقصى بلاد الرُّوم ، واحتفظ كل ملك ببرج وبدنة وحمام وكنيسة فلما تم بناؤها مات الملك ، فسميت آمد لانقضاء مُدَّته بها ، وما زال الملوك يتوارثونها إلى أن انتهت الدولة إلى هذين الأخوين بطرس ويوحنا .

قال فتعجبت مريم من قول دايتها وكتمت الأمر ، وكان لبطرس ولد اسمه لاوِزْ فطلب من أخيه (صفورةْ) ابنته . وقال : زَوِّجها لولدي حتى أزوِّج ابنتي لابنك ، فامتنع أخوه من ذلك فوقع الشرُّ بينهما ، وكان في وسط المدينة سور وأبواب فَغُلِّقت وصار كلٌّ واحد منهما مستقلٌ بناحية . قال : فلما رأت داية مريم ذلك دخلت على مريم وأعلمتها ، فدخلت مريم في الصلح بينهما ، وقالت : هذا لا يجوز وأنتما أخوان ، ويطمع في ملككما ملوك ديار بكر ، ثم ركبت بنفسها وأصلحت بينهما ، وفتحت الأبواب التي بينهما وصنعت وليمة عظيمة ، ودعت إليها بطرس وولده لاوز وابنته صفورة ، فأكلوا دعوتها وقدمت لهم الشراب ممزوجاً بالبنج ، فلما تمكن منهم قتلتهم ، وكذلك زوجها يوحنا قتلته وابنه وابنته ، وتملكت وصارت هي الملكة ، وبنت بالأموال بيعة لم يَرَ الراؤون أحسن منها في بلاد الروم ، وفرشت أرضها بفصوص الرخام ورصَّعت الحيطان بفصوص الذهب[2] ، وعُلِقت عليها السُّتور والديباج القُسْطُنطيني والمرايش ، ونفَّذت إلى بلاد الروم ، وأنت بكل عالم مشهور ، وأزالت عن أهل المدينة جميع ما كان عليهم من المظالم والجور ، فأحبَّها أهل المدينة لعدلها فيهم ، وشكروها واستخدمت الرجال ، وقصدتها التجار والرجال من كل الأرض لعدلها وحسن سيرتها ، ومضى لها في ملك آمد

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٦ .
وقد انفرد الواقدي بهذه الرواية .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٦ .

اثنتا عشرة سنة ، ثم بعد ذلك نزل عليها عياض بن غنم رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وأحاطوا بالمدينة .

قال الواقدي رحمه الله : وبلغني أنَّ عياض بن غنم نزل على باب[(١)] التل ، ونزل سعيد بن زيد على باب[(٢)] الروم ، ونزل مُعاذ بن جبل على باب[(٣)] الجبل ، ونزل خالد بن الوليد على باب[(٤)] الماء .

قال : فلما نظرت مريم إلى ذلك ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قد عوّلوا على حصارها ، ركبت إلى كنيستها وجمعت أرباب دولتها ، وقالت : اعلموا أن العرب قد حَلُّوا بساحتكم ، ونزلوا على مدينتكم وطمَّعُوا أنفسهم بأخذها وأنتم تعلمون أن هذه المدينة قفل ديار بكر ، ومتى فتحوها أخذوا ديار بكر عن بكرة أبيها ، واضمحلت دولة المسيح ولا تبقى لها قائمة في هذه البلاد ، وأنا أعلم أن الملوك ومن يُشَارُ إليهم من أهل دين النَّصرانية وبني ماء المعمودية[(٥)] كلُّهم ينظرون إليناوما يكون منا ، وقد علمتم أن مدينتكم لو أقاموا عليها مائة سنة ما قدروا عليها ، فقاتلوا عن دينكم واجمعوا حريمكم وأموالكم واصعدوا على الأسوار ، وقاتلواهؤلاء الأشرار ، ثم استدعت بالأقسة والرُّهبان وأمرتهم

---

(١) باب التل : وهو باب المدينة الغربي وله عتبة وطاق حجري وعليه باب من حديد / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٩٥ .

(٢) باب الروم : وهو الباب الملاصق لبرج الرومية في آمد أقامه أحد وزراء قسطنطين الكبير الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦٦ .

(٣) باب الجبل : أحد أبواب آمد وموقعه مقابل باب أرزن / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦٧/ .

(٤) باب الماء : في مدينة آمد يقع عند مخرج الماء ويسمى أيضاً باب أسفل العقبة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٦٧/ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٦ .
وذكر ابن الأعثم الكوفي في الفتوح أن مالك بن الأشتر النخعي سار إلى مدينة آمد بأمر من عياض ابن غنم ومعه ألف فارس من المسلمين ، فحاصرها حتى افتتحها وفرض الجزية على أهلها / الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨/ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤٦٢ .

أن يُحلِّفوا القوم ، وأن يكونوا يداً واحدة ، ولا يخامروا عليها ، ففعلوا ذلك ثم انصرفوا من كنيستهم وصعدوا على الأسوار ، ولبسوا السلاح ونصبوا المنجنيقات[١] والعرَّادات[٢] ورفعوا الصُّلبان ونشروا الرَّايات ، ونصب كل بطريق خيمته على برج ، وتوكلوا بحفظ المدينة .

قال : ولما نظر عياض بن غنم إلى ما فعل القوم ، وأنهم قد عوَّلوا على القتال من أعلى سورهم ، جمع عياض بن غنم أصحابه إليه وقال لهم : اعلموا أن هذه المدينة حصينة وهي عين ديار بكر ، ومتى فتحها الله تعالى علينا ، ملك المسلمون ديار بكر جميعاً . فما الذي ترون من الرأي ؟ وكيف يكون قتالنا لأعداء الله تعالى وقد تحصنوا منا ، بهذا الحصن المنيع ؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : اعلم أيها الأمير إننا ما ملَّكنا الله البلاد بقوةٍ ولا بكثرةٍ ، بل بتيسير الله سبحانه وتعالى وبركة نبيه محمد ﷺ ، وبذلك وعدنا نبيُّنا[٣] ﷺ ، ﴿ وكان أمر الله مفعولًا ﴾ [النساء : ٤٧] . وأن هؤلاء القوم وإن بادأونا على ظاهر مدينتهم في القتال ، لرجونا تسهيل الأمر ، ولكن اصبر فإن الصَّبرَ عاقبته الظفر ، ولعل يأتي في العرضيَّات ما ليس في الحساب ، وبعد ذلك فاكتب لهذه المرأة كتاباً وخوِّفها ثم مَنِّها بكل جميل ، فلعل الله تعالى يُعينُ ويُلَيِّن قلبها للإيمان أو تُسلِّمْ إلينا . قال : فدعا عياض بدواةٍ وكتب[٤] :

---

(١) المنجنيقات : مفردها منجنيق وهي من أسلحة لاحصار ويقذف بها الحجارة واللهب والزرنيخ وغيرها . وكانت المجانيق تحمل على عجلاتٍ وتجرها الثيران . القلقشندي صبح الأعشى ٢/ ١٤٣/ .

(٢) العرادات : مفردها عرادة وهي من آلات الحصار والحرب ، وأصغر من المنجنيق وترمي حجارة أصغر من حجارة المنجانيق إلى مسافات أبعد / التحريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٤٢ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٦ ، ٩٧ / والكامل في التاريخ لابن الثير ٢/ ٥٣٤ . وانظر فتح آمد في : الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٧ .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله ، من عياض ابن غنم ، أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى نصرنا ، وبجميع ملوك الكفر ظفَّرنا ، وما نزلنا على بلد إلا ملكناه ولا حَملْنا على جيش إلا هزمناه ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس حِصْنُكِ أعظمَ ولا أمنع من تدمر ولا أحصنْ وهو الحصين المنيع بناه سلمان ابن داوود ، فما هو إلا أن نزل عليه المسلمون حتى ملَّكهم الله إياه ، وكذلك بعلبك وانطاكية دار مملكة هرقل ، ولم يبقَ بين أيدينا صعبٌ إلا سَهَّله الله علينا وبذلك وعدنا نبيّنا ووعدنا ربُّنا في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ وكان حقّاً علينا نصرُ المؤمنين ﴾[1] فإذا وصل إليك كتابي هذا سَلِّمي تَسلَمي وإيّاك أن تخالفي تندمي ومهما أَرَدْتِ بلَّغناك إيّاه ، ولسنا نُكرهكِ على فراق دينك ولا أحداً من بلدك ، قال الله تعالى : ﴿ لاإكرَاه في الدين ﴾[2] إن أَبيتِ إلا اتباعَ الهوى . فستعلمون من أَضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً ، والسلام على من اتبع الهدى » .

قال الراوي : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لرجل من المعاهدين وقال له : اقْرُب من حصن القوم ، ثم قف حتى يَرُدُّوا الجواب .

قال : فأخذه المعاهدي ، ودنا من السور ونادى بلغة الرُّوم وأشار بالكتاب فأمسكوا عن رميه ودلُّوا له حبلاً ، وقالوا له : اربطه في طرفه ، فربطه ثم قعد بالقرب حتى يعلم ما تردُّ الملكة من الجواب . قال : ووصل الكتاب إلى الملكة مريم الدَّاريَّة ، فلما رأته بخط العرب ، سلَّمته إلى من يحسن القراءة بالعربية ، فقرأه عليها فلما سمعت ما فيه قالت لأرباب دولتها : ما تقولون فيما كاتبنا به أمير هؤلاء العرب . فقالوا : أيتها الملكة الأمر إليك مهما أمرتِ امتثلنا أمرك . فقالت : يا قوم أنت تعلمون أنَّ النَّار ولا العار ومتى سلَّمنا

---

(١) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

لهؤلاء العرب عيَّرتنا الروم من المشرق إلى المغرب ، ويقول القائل : كيف سَلَّمتم مدينتكم للعرب ، ولا حوصرتم سنة ولا عشرة ومدينتكم أحصن البلاد ، وإذا شئتم كان لكم فيها موضع تزرعون الزرع والمياه عندكم ، وكل ما تحتاجون إليه ،وقد وصلت إليَّ الكتب من سائر ديار بكر ، أن لا أُسَلِّمْ ، وقد وعدوني أن يجتمعوا بعساكرهم عندي إلى نصرتنا[1] ويزيلون العرب عنَّا فقالوا : أيتها الملكة هذا هو الرأي الرشيد ، فاكتبي للقوم حتى لا يلحقهم الطَّمع فينا فكتبت جواب الكتاب :

« أما بعد : فقد وصلني كتابك وفهمت خطابك ، وأما ما ذكرت من نصر الله لكم ، أما علمت أن الله يمهلكَم . وإنما هو استدراج لكم ثم يأخذكم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر . وكأنكم بالملوك وأولاد الملوك ، قد أقبلوا إليكم بسواعد شداد وسيوف حداد ، وجيوش مداد ، فيأخذون منكم بالثار ويكشفون عن عُبَّاد المسيح العار ، وما كنَّا بالذي نسلِّم حصننا إليكم أبداً . فإن شئتم المقام ، وإن شئتم الرحيل والسلام »[1] .

وربطوا الكتاب ورموا به إلى المعاهدي ، فأخذه وأتى به وسلَّمه إلى عياض بن غنم ، وسلَّمه عياضٌ لمن يقرأه بقلم الرُّوم ، فلما سمع ما فيه قال : اتَّكلنا على الله تعالى ، وفوَّضنا أمورنا إليه . ثم قرأ : ﴿ من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغٌ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾[2] .

وعوَّل على حصار آمد ، وخيله تُغيرُ على (بَالُوا[3] وحَانَى[4] ونحو

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٧ .

(٢) سورة الطلاق . الآية ٣/ .

(٣) بالوا : هي إحدى قلاع ديار بكر وهي حصينة وتقع بين أرزن الروم وبين خلاط من جهة ارمينية . / مراصد الاطلاع ١/ ١٥٧ ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٨/ .

(٤) حانى : هي إحدى قلاع ديار بكر وهي مدينة حاني / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٧/ .

الهَتَاخْ[1] ومَيَّافارقين[2] والسُّويداء[3] ، وجبل جور[4] وذو القرنين[5]) قال : وأذاقوا الرُّوم شراً وكان أهل آمد يضربون الناقوس على سورهم عند أوقات صلواتهم ، قال عياض : أتدرون ما يقول الناقوس على سورهم عند أوقات صلواتهم ؟ قالوا : لا نعلم يا صاحب رسول الله . فقال : لما بعث رسول الله ﷺ ابن عمه علياً رضي الله عنه وأنا معه وجماعة من المسلمين لِنُغير على أطرافِ تبوك[6] مما يلي الشام ، عبرنا على ديرٍ والديراني يضرب ناقوسه .

فقال علي رضي الله عنه : أتدرون ما يقول الناقوس ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال[7] : « يقول : مهلاً مهلاً يا بني الدنيا ، حقاً حقاً ، صرفاً صرفاً مهلاً مهلاً ، إن الدنيا [كم] غَرَّتنا واستهوتنا واستغوتنا ، لسنا ندري ما فرَّطنا . ما من يوم يمضي عنَّا إلا ووهى منَّا ركنا ، نَزِنُ ما نأتي به وزنا ،

---

(١) الهتاخ : قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميافارقين فتحها المسلمون / اللؤلؤ المنثور /٥٢٠ .

(٢) ميافارقين : مدينة قديمة تقع بين الجزيرة وارمينية ، بها قلعة حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٣/ تقويم البلدان ٢٧٨/ .

(٣) السويداء : مدينة هامة تقع بين آمد وحران من نواحي ديار مضر وأهلها أرمن ونصارى / معجم البلدان ٣/ ٢٨٦ .

(٤) جبل جور : هو أحد حصون ديار بكر ، وحوله كورة واسعة تتصل بديار بكر من جهة أرمينية / معجم البلدان ٢/ ١٠٢/ .

(٥) ذو القرنين : حصن يقع شمالي ميافارقين وأحد ينابيع نهر دجلة من قلعة ذي القرنين وفي ذروة جبلها مقام ذي الكفل عليه السلام . / صبح الأعشى ٤/ ٤٠٠ وشرفنامه ١/ ٣٤٤/ .

(٦) تبوك : موضع على الطريق بين وادي القرى والشام وهو حصن وبلدة قريبة منه ، غزاها النبي ﷺ سنة ٩هـ . وهي تبعد عن المدينة ١٢ مرحلة / معجم البلدان ٢/ ١٤/ .

(٧) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٧ .
ولم أعثر على مثل رواية الواقدي في مصادر أخرى حول غزوة تبوك ، ومارواه عن حديث الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

تفنى الدنيا قرناً قرناً . يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً ، يا ابن الدنيا شرطاً شرطاً ، ما من يوم يمضي عنَّا إلا أثقل منَّا ظهراً ، ما من يوم يمضي عنَّا إلا صار منَّا جهلاً ، ربَّ الموتى قد أخبرنا أنَّ الحشر له عدلًا ، قد ضَيَّعْنَا داراً تبقى ، واستوطنَّا داراً تفنى » قال عياض : فقلت يا ابن عم رسول الله ﷺ أَوتعلمُ النصارى ذلك . قال : لا يعلم ذلك إلا نبي أو وصيٌ أو صِدِّيق .

٢ - فتح ميافارقين

قال : حدَّثنا الربيع بن سليمان . قال : أخبرنا موسى بن عامر ، عن جده يونس بن عبد الحميد ، قراءة عليه بالخضراء من عسقلان[١] ، قال : لما أقام عياض على حصارِ آمد ومرَّ له عليها أربعة شُهورٍ أخرج عياض من جيشه عشرةً من أصحابه ، وهم الحكم بن هشام[٢] ، واليَسَعُ[٣] بن خلف والرَّازقي[٤] بن غانم ، وسهل بن ثابت[٥] ، والحارث[٦] بن زَرَارَة ، وعُقبة بن[٧] كامل

---

(١) عسقلان : مدينة على ساحل فلسطين فتحها المسلمون ايام إمارة معاوية على الشام / معجم البلدان ٤/ ١٢٢ وانظر فتح آمد في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(٢) الحكم بن هشام : انظر الطبقات خليفة ص١٠٣ .

(٣) اليسع بن خلف : ذكره ابن منده وابن حجر في الاصابة على أنه أبو اليسع الصحابي / الاصابة ٤/ ٢٢١ والاستيعاب ٢٢١/ .

(٤) الرازقي بن غانم : لم أعثر على ترجمة له .

(٥) سهل بن ثابت : لعله سهل بن ثعلبة الزبيدي وليس ابن ثابت وقد عدَّه البخاري في التابعين / الاصابة ٢/ ١٣٢ .

(٦) الحارث بن زرارة : هو الحارث بن سراقة الأنصاري . وما ورد تصحيف وخطأ في النقل / الاصابة ١/ ٢٧٩ .

(٧) عقبة بن كامل : في اسمه تصحيف ولعله عقبة بن مالك الصحابي وترجم له البغوي في حرف الميم ولكن ابن حبان أخرجه عن أبي يعلى على أنه ابن مالك وهو الأصح . الاصابة ٢/ ٤٩١/ .

والقعقاع بنُ أُسيد[1] ، وصارمُ[2] بن الأشعث ، ونعمانُ بن عامر[3] ، وطلحة بن[4] يعسوب وابراهيم ابنُ اليَسَع بن خلف . ومعهم مائة من المهاجرين والأنصار .

وإنَّهم استأذنوا عياض بن غنم أن يَشُنُّوا الغارة على ميَّافارقين فأذن لهم .

قال : فخرجوا بعد صلاة العصر وعبروا الدجلة ، وساروا وهم يتحدثون بحديث الفتوح ، وربما كان ذكرهم الرسول عليه السَّلام ، يحدِّثهم عن أمر كنوزِ كسرى وقيصر وهم يصلُّون عليه . قال : والأرض تطوى لهم تحت أرجلهم وأرجل نُجُبِهِم .

قال : فما مرَّ هزيعٌ من الليل إلا وهم على باب ميَّافارقين ، فلما رأوا الصخور سبَّحُوا وهلَّلُوا وداروا بها ، إلى أن داروا من الجانب الشرقي ، ووقفوا عند برج يعرف ببرج[5] الشاه . فقال الحكم بن هشام . وددنا من الله تعالى لو فُتحت لنا هذه المدينة بلا قتال ولا نزال ، فما استتم كلامه حتى انفتح لهم باب من جدار البرج ، فدخلوا على نجبهم يخترقون المدينة وأَنَاخُوا مطاياهم عند كنيسة القوم ، وتُعرف ببيعة ماريا . وكانت ليلة الأحد ، وليلة عيدهم الكبير وإنَّهم أَتَوا إلى البيعة للصلاة والقربان ، فوجدوا أصحاب رسول الله ﷺ على باب البيعة[6] .

---

(١) القعقاع بن أسيد : انظر اسد الغابة ٤/ ٢٠٧/ .

(٢) صارم بن الأشعث : لم أعثر على ترجمة له .

(٣) نعمان بن عامر : هو النعمان بن عمرو من بني مالك بن النجار : انظر أسد الغابة ٥/ ٢٧/ .

(٤) طلحة بن يعسوب : انظر أسد الغابة ٣/ ٦٣/ .

(٥) برج الشاة : في الأصل برج الشاة وما أثبت من معجم البلدان أنه باب الشهوة وهو برج الملك ، وقد يكون ذلك تصحيفاً شاع ذكره ونقله / معجم البلدان ٥/ ٢٣٧ والأعلاق ٣/ ٢٦٧ .

(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .

فارتفعت الضَّجة وتسامع كلٌّ من في المدينة . فأقبلوا يهرعون من كل جانب ومكان ، وأما ملكهم فسمع بخبر أصحاب رسول الله ﷺ فقال : فمن أين جئتم ؟ قالوا : من عسكرنا . قال : ومتى خرجتم ؟ قالوا : بعد صلاة العصر . قال : فمن فتح لكم الباب ؟ قالوا : فتح لنا من بيده مقاليدُ الأمور . قال : أوَمَا تفزعون منَّا ؟ قالوا : كيف نفزع من مخلوق لا يضرُّ ولا ينفع ؟ وهو تحت جَبْرِ أحكام القهر متى أَذِنَ له فعل ، وقد قال الله تعالى لنا في الكتاب المبين : ﴿ فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين ﴾[١] .

فقال لهم اسلاغورس[٢] : إنَّ دينكم محدثٌ وديننا قديم والقديم أفضل من المحدث .

فقال الحكم بن هشام : إذا كان ما قد ذكرت هو الحق ، فَفَضِّلْ إذاً إبليس على آدم لأن إبليس أقدم ، فإنَّ طينته مشكاة زجاجة الله ، وصدرهُ سراج توحيد الله . ﴿ أَفَمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه ﴾ [الزمر : ٢٢] ، أشرق نور قلبه في وقت تجلِّيه ، فاشتعل كلٌّ يتقد ، وفيه نظر إبليس إليه ، وظنَّ أن قميص عُبوديته أبيضُ بالتوحيد ، وإذا هو أسودُ بالشِّرك ، أبان بعث القديم نَفد وَقته بقوله ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] كان سائراً في أرض الشرك ، تحتَ ظلِّ ليل الجهل فما زال يقطع منازل العبادات بالمجاهدة[٣] وهو في عماه ، عن اتصال جمال المشاهدة ، ظهرت أنوار مصباح الإلهية من مشكاة الآدمية ، استنار له ، وجه صورة حاله فإذا هو قد

= انظر فتح ميافارقين في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

(١) سورة آل عمران . الآية ١٧٥/ .

(٢) اسلاغوروس بطريق ميافارقين كما ذكر الواقدي في حين أن اسمه عند ابن الأعثم الكوفي (فطوس) وأن الذي فتح ميافارقين مالك بن الأشتر النخعي ومعه جمع من المسلمين وأن فتحها جرى صلحاً على الجزية / الفتوح لابن الأعثم / ٢٥٨/ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .

سئم من حرارة الشمس وأن عليه اللعنة وأما آدم فإنه لما طار من وكر بشريته بأجنحة همته في جو الطلب تعالى عن حضيض أرض إنسانيته ، حتى دنا من نيران المحن واقترب فاخترقت أنوار القسم بالله أجنحة اصطفائه ، وحصن قوادم ارتقائه فوقع في جبال ابليس ، ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ ، فلما تاه في أودية محبته ، ورمى غمامها بصواعقه ﴿ فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، فلما خرج إلى بيداء كبريائه استقبلته مواكب آلائه مبشراً باجتبائه . واصطفائه . ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[١] [طه : ١٢٢] .

قال الراوي : فلما سمع إسلاغورس كلامهم أمرهم أن يدخلوا البيعة . فقال الحكم بن هشام : وما الذي نصنع ببيعتكم ؟ . قال : تذكرون فيها ربكم . قالوا : وما كنَّا لِنُدعىٰ إلى ذكر ربِّنا . قال : وإنما أراد البطريق دخولهم البيعة ، لأنه كان زخرفها وبنى فيها ، وصوَّر صورة بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة ومحراب داود ومهد عيسى ، وأمه مريم ، وعلَّق فيها السُّتور والأطباق الذهب والفضة[٢] .

قال الراوي : فلما توسَّطها أصحاب رسول الله ﷺ قرأ الحكم بن هشام : ﴿ وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله ﴾ الآية[٣] . ثم رفع صوته ، وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فوالله لقد ماجَتْ البيعة بالقوم ، وتزلزلت واصطفقت القناديل بعضها إلى بعض إعظاماً لقول : لا إله إلا الله . وكان للبيعة قسٌّ عالم بالأديان والشرائع ، وكان اسمه عبد المسيح فلما نظر ما حلَّ بالبيعة والقناديل ، صَلَّب على وجهه وكذلك كل من في البيعة ، وحردوا ودمدموا وقالوا لصاحبهم : أيها الملك ما أردت إلا هلاكنا إذ أدخلت

---

(١) سورة طه . الآية ١٢٢/ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .
(٣) سورة المائدة . الآية ١١٦/ .

هؤلاء العرب إلينا ، ألا ترى كيف غضب المسيح علينا ، وأراد أن يقلب البيعة علينا . فقال البطريق : لا وحقِّ المسيح ، ما هو إلا أن وحَّدوا الله تعالى وذكروا نبيَّهم ، فظهر لهم معجزاتُ مارأيتموه ، يا ويحكم إذا كان قد انفتح لهم باب سور المدينة ودخلوا إلينا . كيف لا تهتزُّ البيعة وتصطفِقُ القناديل إذا دخلوا فيها ؟ وإن كنتم في شكٍ من القوم فناظروهم على دينهم .

قال الواقدي رحمه الله : وكان هذا البطريق خادماً لبتركِ بيت المقدس . فكان يوم فتح بيت المقدس بها، وشاهد عمر بن الخطاب رضي الله، وسمع من البترك وهو يقول: هذا الذي يفتح الأرض، ومحمد هو الذي بشَّر به المسيح، ولقد سألوه لما رأى المسلمون يعظمون الصخرة ويقبِّلون القدم الذي بها[1] .

فقال البترك : إني لأرى المسلمين يعظمون قدم المسيح ناموساً على الروم والنصارى . قال : أَوَ عُرِجَ به يعني محمداً ﷺ . فقال : نعم أُسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وصلى بالنبيين والملائكة مثنى مثنى . وكان قد استقر عنده الحق ، وإنما قال للقس : ناظرهم ليُعَرِّفَهُم فضل دينهم وأنهم على الحق ، ثم نظر الحكم بن هشام ، إلى صورة مريم والمسيح وهما جالسان تحت النخلة فقرأ : ﴿ فناداها من تحتها ألَّا تحزني قد جعل ربُّك تحتك سرياً ، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي وقري عيناً ﴾[2] إلى قوله : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ﴾[3] إلى قوله تعالى : ﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾[4] .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .
(٢) سورة مريم . الآية ٢٤ .
(٣) سورة مريم . الآية ٣٩ .
(٤) سورة مريم . الآية ٣٣ .

قال : فلما سمع القُسُّ قول الحكم التفت إليه بغيظ وحنق وقال : ما هذا الكلام الذي نطقت به .؟ قال : هذا كلام ربنا جل جلاله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ . الذي لا تفنىٰ عجائبه ولا غرائبه ولا تُبَدَّلُ كلماته ولا تملُّ آياته . فقال القُسُّ : ما معنى تفسير الذي ذكرت ؟ فقال الحكم بن هشام : إنما قول الله تعالى : إخباراً عن عيسىٰ عليه السلام حيث قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ فإنه فإنَّهُ يُعَلِّمُ الخلق أنه عبد الله ليس بولده[1] ، جلَّ الواحد الصمد . وقوله : ﴿ آتاني الكتاب ﴾ حتى أعرف الأحكام ، وعَرَّفكم الحلال والحرام . وأما قولُهُ : ﴿ وأوصاني بالصلاة ﴾ معناه أني عبدٌ مأمور بالطاعة والخدمة مثلكم ﴿ والزكاة ﴾ إن لله في مالي حق . وأما قوله : ﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ﴾ يعلِّمُ الناس أنه مولود ، والمولود لا يستحق أن يكون معبوداً . وأما قوله : ﴿ ويوم أموت ﴾ يُعلمهم أنَّه يموت . ومن يموت لا يكون له العزَّة والجبروت . ومعنى قوله : ﴿ ويوم أُبعثُ حياً ﴾ فيعلمهم أنه وإياهم يبعثون إلى القيامة ، موقف الحسرة والندامة ولو كانا إلهين ، لكان لهما إرادتان ووقع الخُلف بينهما ، وترى الحكمة غير فاشية وعلى وحدانيته مشاهدته . قال : فلما سمع القُسُّ هذا القول من الحكم بن هشام قال : مَنَّتكم أنفسكم بالأباطيل وغَرَّقتكم في بحر الأضاليل وقلتم قولًا وتنسبوه إلى الله عز وجل . فقال الحكم بن هشام : الله يعلم من هو تائهٌ في تيه المحال ، متَّبع الكفر والضَّلال مشركٌ بالملك المتعال ، الذي لا سماءَ تُظلُّه ولا أرض تُقِلُّه ، ولانهار يكنُّه ، ولا ضياءَ يُظهره ولا ظلام يستره ، ولا يقهره سلطان ، ولا يغيِرُهُ زمان ولا ينوبه الحدثان ، كلُّ يوم هو في شأن ، أمالكم بصائر ؟ أما منكم من ينظر ويعتبر في قدرة القادر ، أما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار ؟ وإقبال الليل أما آن لكم أن تُنَزِّهوه[1] ؟ . آما آن لكم أن توحِّدوه ؟ أما سمعتم أن الذي

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٩ .

تعبدونه وتوحدونه وتعظمونه ، يعني المسيح قد أقرَّ بالعبودية ؟ وذلَّ لعزِّ الرُّبوبيَّة . وقال : إني عبد الله ولقد بشَّر بنبيِّنا قبل مبعثه وعرَّف بني اسرائيل بقربه من الحق وكرامته ؟ أما سمعتم بمعجزاته ؟ أما ظهر لكم من دلالاته ؟ أما انشقَّ له القمر أما كلَّمهُ الضَّبُّ والشَّجر ؟ أما خاطبه البعير والحجر ؟ أما هو أطيبُ بيت في مُضَر(١) ؟ .

قال الواقدي رحمه الله : فلما سمع القُسُّ كلام الحكم بن هشام قال لأصحاب رسول الله ﷺ : أما والله مافي دينكم مراء ، وإنكم على الحق الواضح ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ببيت المقدس ثمَّ هَربتُ إلى هذه البلاد وكان عليها ابن عمّ لي ، فلما مات وُلِّيتُ الأمر بعده ورجعتُ إلى ديني الأول . فإن أنا رجعت إلى دينكم ، أيقبلني ربي على ما ارتكبت من المعاصي(٢) ؟ فقال له الحكم بن هشام رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « بأي شيء يكون ابن آدم فرحاً ؟ فقال قائل : بالأهل ـ فسكت ﷺ . فقال آخرٌ : بقدوم الغايب على أهله . فسكت وسكت المسلمون فقال ﷺ : « لا يكون ابن آدم اشَدُّ فرحاً منه إذا كان في مفازةٍ ومعه راحلته وعليها زاده وماؤه وحَذْواه ومنافعة ، فإذا كان في بعض المفازة اشتد عليه الحر فآوى إلى ظلٍ فنزل عن راحلته وتوسد ذراعه فنام ثم انتبه وقد ذهبت راحلته ، وعليها طعامه وشرابه وغذاؤه ومنافعه فانطلق في طلبها يميناً وشمالاً فلم يجدها ، فرجع إلى موضع راحلته ليموت فيه وقد أيقن بالهلاك فنام ثم انتبه فوجد راحلته كما هي ، وإذا هو براحلته عليها ماؤه وزاده وحدواه ومنافعه فأخذ عظاماً . ثم قال النبي ﷺ ، لله أشد فرحاً بتوبه عبده المؤمن من ذلك الرجل بتلك الراحلة » فلما سمع إسلاغورس كلامَ الحكم بن

---

(١) مضر : هو مضر بن نزار من ولد اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، ومضر شعب تنتسب إليه قبيلة قريش وغيرها / انظر : اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٢٢٢/ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٩ .

هشام دمعت عيناه وأخذهم إلى دار الإمارة ، فقال : بان الحقُّ وظهر ثم أسلم وحسن إسلامه ودعا بغلمانه ومن يلوذ به فرضوا لأنفسهم ما رضي لنفسه ، ثم أحضر كلَّ من في البلدة من المحتشمين وأخبرهم بإسلامه ، وقال لهم : إني أريد لكم ما أريد لنفسي ودين هؤلاء القوم يعلو ولا يعلى عليه ، فمن آمَنَ منكم أمِنَ ، ومن أبى فلنفسه ظلم ؟ وهؤلاء القوم قد نزلوا على آمد ، ولا بد لهم من ديار بكر جميعاً ، ومن خالف عليهم وعصى نهبوا بلده واستعبدوا أهله . وإن انتم سَلَّمتم إلى هؤلاء أَمِنْتُم على أنفسكم وبلادكم . فقالوا : أيها الصَّاحب أَخِّرنا إلى ثلاثة أيام حتى نُدبِّرَ أمراً .

قال الواقدي : فتركهم وانصرفوا من عنده . فلما كان من اللَّيل مشى بعضهم إلى بعض وتحالفوا أن لا يُسَلِّموا للعرب أبداً ، ولو هلكوا عن آخرهم ، وأضمروا أيضاً أن يقتلوا أصحاب رسول الله ﷺ . قال : فلما كان بعد ثلاثة أيام[1] جمعهم البطريق فلم يجبه إلا القليل ، وأتته العين الصَّافية بما أضمر القوم وتحالفوا عليه فقبض على من قدم إلى دار إمارته ، وسمع أهل المدينة ، فدخلوا تحت السلاح وزحفوا إلى دار إمارته بأجمعهم فقاتل البطريق وغلمانه قتالًا شديداً ، ودافعوا عن أنفسهم ؛ فلما جن الليل خرج أصحاب رسول الله ﷺ من باب السر ، وقال لهم البطريق : انطلقوا إلى أصحابكم وحدِّثوهم بأمرنا لعلهم ينصرونا فقال الحكم : نحن نفعل ذلك إن شاء الله تعالى . ثم ودَّعوه وساروا فلما وصلوا إلى تلٍّ هنالك يسمى تل[2] الراهب سمعوا قعقعة اللُّجم ودوي الخيل ، فوقف الحكم بن هشام رحمه الله ومن

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٠ .
وذكر ابن الأثير أن المسلمين قاتَلوا أهل ميافارقين حتى طلبوا الصلح فصالحوهم على صلح الرها / الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٤ .

(٢) تل الراهب : هو موضع على نهر دجلة تحت ميافارقين يصب عنده وادي الرزم ولعله تل فافان القريب من ميافارقين / مراصد الاطلاع ٣/ ١٠١٥/ .

معه ، وإذا خمسمائة فارس من العرب يقدمهم ضبّة ابن[1] عديّ الضبّي من بني ضبّة[2] وهو حليف لرسول الله ﷺ ، وكان السبب في قدومه ، أن عياض بن غنم رضي الله عنه . صلّى وِرْدَهُ ونام فرأى رسول الله ﷺ ، وهو يقص عليه قصة ميافارقين ، وما جرى له لصاحبها ويأمره بأن يُسيِّر له كتيبة من المسلمين لنصرته ، فاستيقظ من نومه وجرَّد من ساعته ضبة بن عدي ومعه خمسمائة فارس .

قال : انطلقوا إلى ميّافارقين ، وانصروا صاحبها فإنه مؤمن بالله مُصدِّق برسول الله ﷺ ، واعلموا أن الله تعالى يطوي لكم البعيد[3] ، ويُسهِّلُ عليكم كلَّ صعب شديد . فخرجوا من العسكر ، وقد مضى من الليل الثلث الأول . وطوى الله لهم البعيد ببركة رسول الله ﷺ . فالتقوا بالحكم بن هشام وأصحابه بالليل فسمي بتلِّ الضَّبيِّن[4] . فقال الحكم من نَفَّذكم من بعدما سلَّم عليهم . قال ضبة : بعثنا الأمير عياض بن غنم بأمر رسول الله ﷺ . قال : فعادوا وقصدوا باب السِّر ، وطرقوه ، وإذا بالبطريق يقول : مرحباً بكم ، لبَّيكم لبَّيكم ، فقام وفتح الباب . فقالوا : من اعلمك بقدومنا . قال : المصطفى رأيته وأنا قد نمت من ضيق صدري ، بقتال أهل مدينتي فرأيت شخصه الكريم

---

(١) ضبّة بن عدي الضبيّ : ضبْم الضبي ، التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢/ ٣٤٢ .

(٢) بنو ضبة : وينسبون إلى ضبة بن أد بن طابخة بن الباس بن مضر . وهم قبيلة كبيرة . وشاركت هذه القبيلة في فتوح الشام وفي وقعة الجمل بالعراق إلى جانب عائشة . / اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ٢٦١/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٠/ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ . ونجد في رواية الواقدي أن ضبة الضبي وعشيرته دخلوا ميافارقين منجدين لبطريقها اسلاغورس وفتحوا المدينة عنوة بالسيف . في حين أن المدينة فتحت صلحاً عند ابن الأعثم في فتوحة ، وفاتحها هو مالك بن الأشرُ / الفتوح لابن الأعثم ١/ ٢٥٨/ .

(٤) تل الضبيِّن : هو تل الراهب ويطلق عليه أيضاً تل فاقان وسمي باسم الضبين الذي بعثهم عياض بن غنم إلى ميافارقين لفتحها / مراصد الاطلاع ٣/ ١٠١٥/ .

وهو يبشرني بقدومكم فاستيقظت أنتظر قدومكم حتى مَنَّ الله عليَّ بكم .

قال الراوي : فلما حصلوا في دار الإمارة ، لبسُوا وتدرَّعُوا وخرجوا إلى باب الدَّار إلى رحبة هناك واسعة ، كان يقف فيها خيل البطارقة لخدمة صاحبهم . فلما كان من الغد زحف أهل المدينة لقتال صاحبهم ، فوجدوا الخمسمائة فارس أصحاب رسول الله ﷺ . جند من حديد ، وصاح ضبه بن عدي والحكم بن هشام : يا أعداء الله وأعداء رسوله حلَّ بكم البوار ، وأحاطت بكم الأقدار من أصحاب محمد المختار ﷺ ، ووضعوا السيوف فيهم فولوا إلى منازلهم[1] ، وتحصَّنوا بديارهم ، لما نظروا إلى ما لا طاقة لهم بدفاعه . وعلموا أنهم قد أخْطَأوا على أنفسهم فصاحوا (لاغُونْ ، لاغون) فأمَّنهم ضبة ونادى مناديه من خرج إلينا فهو آمن ولكم ذمام الله وذمام رسوله . قال : فوثقوا بقولهم وخرجوا إليهم . فقال لهم ضبة بن عدي : قد أمَّناكم على أنفسكم ولسنا نأخذ منكم شيئاً إلا السلاح .

فأتوا بأسلحتهم وسلَّموها لأصحاب رسول الله ﷺ . وقالوا : إذاأمَّنتمونا وفيتم لنا بعهدكم لنا ، وإنا لا نريد بدينكم بدلًا . ثم أسلموا إلا القليل وكانت بيعتهم معظمة فقسم المسلمون البيعة بينهم وأخذ النصارى الجانب الشرقي ، وأخذ المسلمون الجانب الغربي . وأقام فيها ضبة بعد الفتح ثلاثة أيام ، وترك فيها الحكم بن هشام لأجل عمارة الجامع والمساجد ومعه أصحابه العشرة . يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام .

ورجع ضبة إلى عياض بن غنم ، وحدَّثه بما كان من أمر ميافارقين . وكيف عفا عنهم ولم يأخذ منهم إلا السلاح . فقال عياض : لقد وفقك الله يا ابن عدي . ولقد احتوت محبتنا في قلوب أهل هذه البلدة بصنيعك لهم .

---

(١) فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٠ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ .

فتح مدينة آمد

قال الواقدي رحمه الله : بلغني أنهم أقاموا عليها[١] خمسة أشهر ، وكان خالد رضي الله عنه كما ذكرنا من ناحية باب الماء وكان كل يوم يركب في جيشه وهو جيش الزحف يدور بالمدينة[٢] ، فإذا جاء الليل ينصرف إلى نحو الباب ، ويصلي بأصحابه ويدخل قبته ليفطر وكان غلامه هماماً يخبز له ثلاثة أقراص من شعير ويعزلها قي القبة ، فإذا فرغ خالد من صلاة المغرب ، تَنَفَّلَ بركعات بين العشاءين وهي صلاة الغفلة ، ثم يدخل يطلب إفطاره ، فلم يصبه فأقام على ذلك ثلاثة أيام متوالية ، فسأل غلامه هماماً فحدّثه بالأمر أنه كل ليلة يعزل له ثلاثة أقراص من شعير . فقال له خالد إني لم أجد شيئاً غير ثمرات عندي أتبلغ بها وإلا كنت ضعفت لقلة الأكل وقد قال الله تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ﴾[٣] فقال : والله يا مولاي ما عندي خبز . فلما كان من الليلة الرابعة . ترك هَمَّام زاد خالد في القبة على رسم العادة . وجلس بالبعد لينظر من يأكله . وإذا بكلب قد أقبل من نحو المدينة ، ودخل القبة وأخذ الزاد وخرج به في فمه ، فقام همَّام فتبعه وإذا به قد دخل المدينة من موضع يخرج منه الماء المُتسَربُ من جانب السور .

قال : فتركه همَّام وعاد . فلما فرغ خالد من صلاته . قال له همام : يا مولاي جرى من الأمر كذا وكذا . فقال خالد : يا همام أرني الموضع . قال : فاراه الموضع فقال خالد : الله أكبر فتح الله ونصر . ثم عاد إلى عسكره ودعا بأصحابه وقال لهم : جرى من الأمر كذا وكذا[٤] ، وقد عَوَّلت أن أدخل

---

(١) أقاموا على حصن مدينة آمد .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٠ /والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤/ والفتوح ، / لابن الأعثم الكوفي ١/ ٢٥٨/ .
(٣) سورة الأنبياء . الآية ٨ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .

المدينة من مَسْرب الماء وأريد منكم مائة رجل يَهبُون أنفُسَهم لله ولرسوله ، ويعلمون أن الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار وفاء لمن أخذ منها ، ودار رجاء لمن تزوَّد منها ، وداز نجاة لمن فهم عنها . الدنيا مهبط وحي الله ، ومُصلَّى ملائكته ومسجد أحبابه ومتجر أوليائه ، فأنجحوا تربحوا الرحمة ، وتفوزوا بالجنة رحمنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ، فمن أراد الزاد من هذه الدار الفانية إلى يوم حشره ، فليبادر إلى التجارة الرَّابحة ولا يغرَّه طول الأجل ، فيخلدُ إلى التقصير في العمل ، ألا وإني قد بعت نفسي من الله عز وجل . ثم قرأ : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾[1] فمن باع فليبادر ولا يخاف مما يحاذر ، فالموعد بيننا عَرَصَات القيامة ، وموقف الحسرة والندامة ، فاتَّبعوا سلفكم الطاهر ، وما كانوا عليه من الحق الظاهر والدين الباهر ، قوموا على بركة الله وعونه . ثم انتخب مائةَ رجل من قومه وتركهم يلبسون السلاح ، ثم ركب وسار إلى عياض بن غنم ، فأعلمه بما قد عزم عليه من الدخول في السَّرْب . وقال له : كن على أُهبةٍ إذا سمعت التكبير . فقال له : أعانك الله وظفرَّك ، سر على بركة الله وعونه[2] .

قال : فودعه خالد ورجع إلى أصحابه ، فوجدهم قد أخذوا على أنفسهم ، فسار أمامهم وهم رجالةٌ ، إلى أن أتوا إلى باب السَّربْ ، وذلك عندما تهوَّر الليل ، وأمر الله عزَّ وجلَّ سلطان النوم فاستولى على من كان على السور من الحرس لأن الله تعالى إذا أراد أمراً هيأ أسبابه ، فأول من دخل في السَّرب خالد رضي الله عنه ، وتبعه عامر بن الأَخْوص[3] ، وحُذَيفةُ بن[4]

(١) سورة التوبة . الآية ١١١ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .
(٣) عامر بن الأحوص : انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١/ .
(٤) حذيفة بن ثابت : انظر أسد الغابة ١/ ٣٨٨ .

ثابت ، وعمرانُ ابن بِشْر وسَلاَمَة[1] بن يَعْسُوب وماجدُ بنُ طلحة[2] ، والمثنى بن عاصم[3] ، وسالم بن عدي[4] ، ومالك[5] بن حَفص ، وخطّابُ بن جابر[6] ، وأَفْلَحُ بن سَاعدة[7] ، ومثل هؤلاء السادة رضي الله عنهم أجمعين . ما منهم إلّا من تسرب ، ومن كان منهم جسيماً لم يقدر على العبور لضيق الموضع رجع متأسفاً على الشهادة ، ويدخل غيره حتى حصل في المدينة ثلاثون رجلاً ولم يصحبهم ، من العُدَّة غير السُّيوف والخناجر ، وكان كل واحدٍ منهم يُناوِلُ درعه أَوْ بيضَتَه أو سيفه لمن دخل قبله ، فلما تكامل القوم تدرَّعُوا واختَزَمُوا وكبَّروا تكبيرة واحدة ، فارتجَّت لهم المدينة ، واستيقظ الراقد وثار القاعد ، ولزموا مطالع السور ولم يدعوا أحداً ينزل ، وأخذتهم الحجارة من كل مكان ، وتوكَّل عَشَرةٌ من أصحاب خالد[8] بالباب فكسروه ، وأزالوا الأقفال وقطعوا السلاسل[11] وفتحوا الباب ، وكان عياض بن غنم لمَّا فارقه خالد جاء ووقف على الباب ، وإذا به قد فتحه أصحاب خالد فدخلوا قبل استيقاظ أهل البلد ، وإذا بأهل البلد يهرعون إلى نحو السور ، والمسلمون لاقُوهم وكان الليل قد غَسَقْ ، والظلامُ قد اتَّسَقْ والقُتُامُ قد أطبق ، وقد بَعُدَ انفلاقُ الفلَق والنجومُ كأنها محدقة إلى المخلوقين ، والرجال تتضارب بسيوف المحترقين ، فهذا قد قام من مرقده ، والسيف متطيِّر ناعمَ يده أو رأسَهُ عن

---

(١) سلامة بن يعسوب : انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .
(٢) ماجد بن طلحة : انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .
(٣) المثنى بن عاصم : انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .
(٤) سالم بن عدي : انظر أسد الغابة ٢/ ٢٤٨ .
(٥) مالك بن حفص : لم أعثر له على ترجمة .
(٦) خطاب بن جابر : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) أفلح بن ساعدة : انظر الاصابة ١/ ٥٧ .
(٨) خالد بن الوليد : انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٩٤ وأعلام النبلاء ١/ ١٠٣ .
(١١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .

جَسده ، وهذا قد قام عن أولاده ، والسيف قد نزل من عاتقه إلى فؤاده ، وخالد يَكُرُّ ، وعياض يرتجز ويقول : انقطعت والله بهم الأسباب ، وجار عليهم القضاء الغلاب ، وأحاط بهم العذاب ، دونكم وكَفَرةُ الكتاب ، اضربوا القلَل ، واستعينُوا بالرَّبّ عز وجلَّ ، ولا تستشعروا المَلَلْ واخْشَوا الزَّلَلْ واستعمِلُوا السُّيوف وبادِرُوا الحُتُوف ، هذا خالد قد سرح ، وفي ميدان الحرب قد مرح ، ولقتال الكفار فرح . قال : ولم تزل الأقيالَ تُجرح والأبطالُ تُطرح ، والصُّدور تُشْرح ، والنُّحور تذبح والعواتق تُقطع والشُّجعان تُصرع والأنوف تُجدع ، والصَّوارم في الرقاب ترتع والسيف لا يرفع والقلب يجزع والجبان يفزع ، والقوارع تقرع والأقدار تمنع ، والعينُ من مخافة الأجل تدمع ، والأضلاع من رجفات الأكباد تتضلع ، والرؤوس من وجل النفوس تتصدع والمرهفات في حُنْدُس معسكر غَسقِ مُحْلَولكِ الليل تلمع ، فلا شافع يشفع ، ولا مانع يمنع ، ولا دافع يدفع ولا داعٍ يسمع ، ولا قلبٌ يرقُّ ولا يخشع ، حتى رأيتَ الليْلَ على الرحيل أزمع والصبَّاح قد عوّل أن يطلع ، وخالد يصيح صياح الشَّمعْمَع [1] ، حتى طوى الليل مطارقَ الدُّجى ، ووقعت العين على العين عند انتشار رايات الضياء ونظر أهل (آمد) إلى ما حلَّ بهم ونزل عليهم فأقبلوا إلى دار الإمارة يطلبون الملكة مريم . فلم يجدوا لها خبراً ولا وقفوا لها على أثر ، قال : وكان السبب في ذلك أنها لما علمت أن أصحاب النبي ﷺ حَصَّلُوا معها في المدينة وعلمت أنها لا تخلص من أيديهم ، فأخذت مالَها وخيلَها وبِغَالَها ونزلت بهم في سرب مصنوع في بيعة مرقوما [2] . وهو سرب عظيم تحت المَدينة إلى باب[3] الجبل فخرجت من صَوب بلاد الرُّوم .

---

(١) الشمعمع : هو الطَّرِبْ .

(٢) بيعة مرقوما : وهي بيعة آمد الكبرى وفيها سرداب ينتهي إلى بلاد الروم / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٩ .

(٣) باب الجبل : هو أحد أبواب آمد / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٤ ، ٣٠٥ .

قال الواقدي رحمه الله : ولما علم أهل آمد بهروب الملكة ، أذعنوا بالنداء ونادوا (لاغون ، لاغون) فأمر عياض برفع السيف ، وأمر أهل المدينة بالاجتماع إليه .

فقال لهم : ارموا سلاحكم ، فرموا سلاحهم بين يدي عياض بن غنم رضي الله عنه وكان ذلك الجمعُ في ميدان المدينة فلما اجتمعوا إليه قال لهم[1] : إن الله سبحانه وتعالى قد نصرنا عليكم وظفَّرنا بكم ، ولولا أن الله تعالى جعل نبينا نبي الرحمة ، وأسكن الرحمة في قلوب المؤمنين ، لأفنيتكم بالسيف عن آخركم ولكن قد أَمَرنا ربُّنا بكظْم الغيظ والعفو . فقال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٣٤] وقد أصبحتم الآن في قبضتنا ، وأموالكم وأولادكم حلال لنا ، فمن أسلم منكم تركناه ، وأعطيناه من ماله ما يقوم بأَوَده وأهله ، ومن أبى منكم حكمنا عليه بما أردنا . فقام إلى عياض شيوخ القوم وكبراؤهم وقالوا : أيها الأمير إنما نصركم الله بِحُسن صبركم ، وصدق نيتكم والعدل ، والنَّصَفة في الأحكام وطيب المعاشرة . والآن نحن أصبحنا في قبضتكم وتحت قهركم فاصنعوا معنا ما الله يُجَازيكُم به يوم القيامة .

قال الراوي رحمه الله : وكان بآمد رأسُ جَالوت اليهودي ، وكان عالماً في دين اليهودية والنصرانية ، ويزعم أنه من أولاد داود عليه السلام . وكانت بنو اسرائيل يقصدُونه ويُعظِّمونه ويأتونه بالهدايا والتُّحف . ولما دخل عياض آمد . وجمع أهلها إلى الميدان ، وتكلم المشايخ بما تكلموا قام هو وتكلَّم في وسط القوم ، وكان اسمه ميشا بن حُنينا ، فتقدم إلى عياض وسلَّم عليه وعرَّفه بمكانه ، وأنَّهُ مقدم بني إسرائيل من ولد داود عليه السلام ، وقال : إن الله

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠١ .
وابن الأعثم الكوفي / الفتوح ١/ ٢٥٨/ .

سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام[1] في الزبور ، « يا داود اسمع مني والحقُّ أقول : من لقيني وهو خائف منِّي أمَّنْتُه عقابي يا داود اسمع مني والحق أقول : من لقيني بحسنة واحدة أدخلته جنتي . قال داود وما الحسنة . قال : فرِّج عن مكروب ولو بثمرة واحدة . يا داود إني أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك عليهم رحمة ، وأيّما قوم كانوا على المعصية ، جَعلتُ الملوك عليهم نقمة ، فلا تُشغِلُوا أنفسكم بسبِّ الملوك ، وتوبوا إليَّ أُعطِّفُ قلوبهم عليكم » وقد تبنا إلى الله من مخالفتكم وعصيانكم ، وندمنا على ما كان منَّا إليكم من غلق الأبواب في وجوهكم واستحقارنا لكم ومع ذلك فإن الله تعالى أعطاكم النصر علينا وظفَّركم بنا ، وأنتم أصحاب نبيّ الرحمة وقد قال الله تعالى : خلقتُ الرحمة وأسكنتها في قلوب المؤمنين وقد فضَّلكم الله علينا وعلى سائر الأمم ، وقد أنزل في صحف ابراهيم وموسى يقول : « إنِّي أبعث في آخر الزمان نبياً أمياً ، أجعل أمته أفضل الأمم وأسكنت الرحمة في قلوبهم وبهم أُباهي ملائكتي يوم القيامة ، أبعثهم غُرّاً محجلين من آثار الوضوء » .

وإن داوود عليه السلام لما أصاب الذَّنْبَ وتفرّق عنه الوحش والطير ، خرج يوماً إلى فلاة من الأرض ، وقال : إلهي ما هذه الوحشة التي بيني وبينك وكنت إذا تَلَوْتُ الزَّبُورَ سكن الماء الجاري عن جريه ، وأنسَ الوحشُ إلى محرابي ، وأظلّني الطَّير[1] ؟

قال : يا داود تلك أُنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، يا داود أطعتنا فأطعناك وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلى ما كان منك إلينا قبلناك . فقال : إلهي بحق النبي العربي الذي تبعثه في آخر الزمان ، إلَّا غفرت لي .

فأجاب الله دعوته وقبل توبته . فلما سمع عياض رضي الله عنه كلامه . قال : إن الله عَفُوٌّ يحب العفو وقد عفونا عنكم . قال أهل المدينة : فإذا عفوت

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

عنّا فنحن إذاً نرجع إلى دينك ، فأسلم أكثرهم ، وضرب الجزية على من لم يسلم ، من العام القابل وأخذ سلاحهم .

وحملوا له شطر أموالهم فقبلها ممن أسلم ، وممن بقي على دينه ، وبنى الجامع على ثلث بيعتهم الكبرى وهي توما ، وأقام فيها اثني عشر يوماً ، وولى عليها صعصعة[1] بن صوحان العبدي ومعه خمسمائة فارس من العرب . وارتحل عياض إلى الحصون .

٣ ـ فتح الحصون وهي :

الجبابرة[2] وآكل[3] واليمانية[4] . فنفَّذ معاذاً إلى اليمانية ، فأسلم أهلها ، ونفَّذ النعمان بن المقرن إلى آكل فأسلم أهلها ، ونَفَّذ حذيفة إلى نُورِسْ[5] فأسلم أهلها فسميت اليمانية ، إذ فتحت على يد حذيفة بن اليمان . ومضى عياض إلى حانى[6] ففتحها أيضاً صلحاً . ونزل إليه أهل جبل جور[7] ،

---

(١) صعصعة بن صوحان العبدي ، انظر فتوح الشام ٢/ ١٠٢ وكذلك رواية داود .

(٢) قلعة الجبابرة : إحدى قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٦/ .

(٣) قلعة أكل : قلعة حصينة عالية تقع في شمال ديار بكر وتتبع لماردين ، بناها زعيم قبيلة بني كلاب مرداس ابن ادريس / معجم البلدان ١/ ٢١٠ الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٦/ .

(٤) قلعة اليمانية : قلعة هامة فتحها حذيفة بن اليمان فسميت باسمه / الأعلاق ٣/ ٢٤٨/ .

(٥) قلعة نُورِسْ : قلعة هامة فتحها حذيفة بن اليمان فسميت فيما بعد باليمانية / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٨/ .

(٦) حانى : قلعة هامة في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٤٧/ .

(٧) جبل جور : أحد الحصون المانعة في ديار بكر ، الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

والسِّيوان[١] ، وذو القرض[٢] ، وأخذوا من المسلمين عهداً وصلحاً على ما اتَّفقَ بينهم عليه .

وارتحل عنهم . حتى نزل على الهتاخ فأبىٰ أهله أن يُسلِّموا ، وعَوَّلُوا على القتال ، ونصب أهل الحصن العَرَّادات والمنجنيقات لرمي المسلمين[٣] .

٤ ـ فتح الهتاخ[٤]

ونظر عياض إلى ذلك فعظم عليه وقال : هذا حصنٌ مانع ومتى تركناه ومضينا عنه أغاروا على البلاد ، وأذا قُوامن دخل في صلح المسلمين شراً وقد لَزِمَنَا من أهل الذمة وممَّن أسلم مَلْزَمٌ لا محيدَ عنه . قال خالد رضي الله عنه : فانزِلْ بنا عليه ولعل في العَرَضيَّات ما لَمْ يَكُنْ في الحساب . فقال عياض : على الله توكلنا . قال الراوي : وزحف عياض لقتال أهل الهَتَاخْ وعاد على السملمين من النَّبل وحجارة المنجنيق وأقام عياض ينتظر ما يفتح الله به من تدبيره في خلقه . قال الراوي رحمه الله : وكان صاحب الهتاخ شيطاناً مريداً ، وجبَّاراً عنيداً واسمه يَانِس ابن سُلَيْموس .

وكان قد تزوج بمَيرُونَة ابنة أرمويل بن كَلُوص صاحب (قُلبْ[٥] والحصـن[٦] الجـديـد . . . .

---

(١) السِّيوان : أحد الحصون المانعة في ديار بكر ، قرب ماردين / الأعلاق ٣/ ٤٣٥ ، ٤٤٠/ .

(٢) ذو القرض : تصحيف لحصن ذي القرنين في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

(٣) الهتاخ : قلعة حصينة قرب ميافارقين في ديار بكر ، انظر : اللؤلؤ المنثور ٥٢٠/ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

(٥) قلب : أحد الحصون المنيعة في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

(٦) الحصن الجديد : أحد الحصون المنيعة في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

وشاقا[١] ودب[٢] الكلاب) وكانت قد زُفَّت عليه ودخل بها ، وأقامت عنده سنة وإنها مضت إلى زيارة أبيها وأمها ، وأقامت عندهما شهراً ، فلما هَمَّت بالرُّجوع إلى الهتاخ إلى بعلها ، جاءها الخبر أن المسلمين قد نزلوا على الهتاخ فلم تبرح ، وكان يانس يُحبُّها ولا يصبر عنها ساعة واحدة ، فلما رأى المسلمين قد نزلوا عليه علم أنه لا يقدر يجتمع بالجارية ميرونة ، واتفق رايه على الصُّلح حيلة ومكراً على المسلمين ، حتى تحصل زوجته عنده ولا يُعطي طاعةً لأحدٍ . فبعث إلى عياض يقول له : اعلم أنك لو أقمت علينا مدة عمرك ما قدرت علينا[٣] ، ولكن نصالحك سنة كاملة شمسية قمرية ، فإن أنت فتحت ما بقي من ديار بكر وديار ارمينية فنحن نرجع إلى طاعتكم ، وإنْ لم تقدروا على فتح البلاد ، فلا طاعة لكم علينا ، ونَفَّذَ رسولًا بهذا الخطاب إلى عياض ، وكان الرسول من متنصِّرة العرب من ربيعة الفرس ، وكان مدبِّر بلاد الهَتَّاخ وجماعته وبني عمه ، وكان اسمه مُرْهِفْ بن واقد ، وكان قلبه لبني عمه العرب أكثر مما هو إلى الروم ، فلما أوصل الرسالة إلى عياض أجابه إلى الصلح لئلا يطول أمره على الهتاخ ، ويطلب البلاد الآهلة بالخلق والجيوش ، فلما همَّ مُرهِف بالرجوع قال العلج قد اتَّفق رأيه على كذا وكذا ، فإن كنت تصالحه على أنك ترحل وتكمن لزوجته في الطريق ، وتأخذها ومن معها فافعل فإنه يُسَلِّمُ إليك . فقال عياض : ما كنَّا نقول قولًا ولا نفي به . ولعل الله ينظر إلى صدق نياتنا فيفتح لنا .

قال : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن مالك السعدي ، قال : أخبرنا موسى بن أبي القاسم بن عبد ربه قال : حدثني الأشعث بن مالك عن أبي يحيى

---

(١) شاقا : أحد الحصون المنيعة في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .
(٢) دب الكلاب : بلدة تقع عند مخرج نهر جلاب في ديار بكر وحالياً تقع في تركيا / معجم البلدان ٢/ ١٤٩/ .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

عن أبي عازِم الخولاني ، قال : حدثني جدي بشر بن عامر وكان ممن حضر فتوح ديار بكر وديار ربيعة ، قال : بينما مُرهِفُ بنُ واقدٍ يُحدِّث الأمير عياض بحديث يانس بن سَيْلَمُوس[1] ، وإذا بِغَبْرةٍ قد أقبلت . فقال عياض لميسرة بن مسروق[2] : اركب وانظر لنا ما تحت هذه الغبرة ، فركب ميسرة في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وغاب هو ومن معه غير بعيد وإذا بهم قد عادوا وميسرة يقول : أبشر أيها الأمير بالفتح . قال : ما الخبر يا ابن مسروق قال : أيها الأمير هذا قَيسُ بن هُبيرة[3] المازني قد أغار على هذه الأرض ، وقد أتى بالأموال والرجال والغنائم والنساء والأطفال والجواري والأسارى . قال : فظهر البشر على أسارير وجهه رضي الله عنه ، وبقي يتطاول إلى قدوم قيس بن هبيرة ، وإذا هو قد أقبل وترجل وسلَّم على عياض وعلى المسلمين . وعرض عليه الأموال وما جاء به . ومرهف بن واقد المتنصر واقف يتأملهم وينظر إليهم ، إلى أن قدمت جاريةً روميةٌ ، تخجل الشمس من بهائها وعليها زَيُّ الملوك فأطرق المسلمون إلى الأرض ، واستعملوا الأدب مع الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارهم ﴾[4] فلما نظر إليها مرهف قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ . دينكم حقٌ وقولكم صدقٌ . فعندها قال عياض : ما لَها أيُّها الرجل قال : هذه والله امرأة يانس صاحب الهَتَاخ قد طرحها الله على أيديكم . فسجد عياض لله شكراً لله تعالى[5] ، فلما رفع رأسه قرا : ﴿ ومن يتقِّ الله

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

(٢) ميسرة بن مسروق العبسي : البلاذري فتوح البلدان ص١٦٨ /وابن سعد طبقات ١/ ٢٩٥/ .

(٣) قيس بن هبيرة المازني : انظر أسد الغابة ٤/ ٢٢٩/ .

(٤) سورة النور الآية ٣٠/ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣/ .

يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾[1] .

قال الواقدي رحمه الله : وكانت ميرونة قد خرجت من حصن قَلَّب[2] إلى زيارة أهلٍ لها بالحصن الجديد ومعها جماعة من بنات البطارقة في صحبتها مُرافقَة لها ، فاتفق أن قيس بن هبيرة أغار على تلك الأرض لأمرٍ يريد أن يُتَمِّمَهُ الله عز وجل فأخذها ومن معها وأتى بالجميع إلى عياض بن غنم رضي الله عنه .

قال الراوي : وأسلم مرهف بن واقدٍ ، فقال له عياض : اتق الله وكن منه على حذر وإيّاك أن تغترَّ بإمهاله لك ، فإن الله من عادته أنّه لا يَعْجَلَ على من عصاه ، وكن شاكراً في السرِّ والعلانية ، وعظ نفسك بما رأيت في يومك هذا من لطف الله بنا وتيسيره لنا وما قد شملنا من بركة نبينا ﷺ ، ومن ليس له واعظ من نفسه فليس تنفعه الموعظة .

قال الواقدي رحمه الله[3] :

وليس لمن لا يَعْدِلَ النَّفسَ رادعٌ ... وإنْ قالَ في يومٍ فأكثرَ عاذل
إذا ما أراد المرءُ لم يَكُ طاهراً ... فَهيهَات لا يُنْقيهِ بالماء غاسلُ

ثم قال : أيها الناس قال ربكم عزَّ وجلَّ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[4] . وقال : اصبروا عند المصائب وصابروا على الصلوات ، ورابطوا أعداء الله في سبيل الله[5] ، واعلموا أنَّ أصول الشَّر ثلاثة وفروعه ستة ، فأما أُصوله الثلاثة : الحرصُ

(١) سورة الطلاق . الآية ٢/ .
(٢) حصن قلب : من حصون ديار بكر الحصينة / فتوح الشام ٢/١٠٦ ، وشرف نامة ١/٢٦٢/ .
(٣) البيتان في فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .
(٤) سورة آل عمران . الآية ٢٠٠/ .
(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣ .

والكِبْرُ والحسد ؛ فالحرصُ أخرج آدم من الجنة ، وبالحسد قتل ابن آدم أخاه ، والكبرُ منع إبليس ان يسجد لآدم .

وفروعه الستة : حُبُّ الدنيا ، وحُبُّ الرّئاسة ، وحُبُّ النساء ، وحُبُّ الشَّبع وحُبُّ الراحة ، وحُبُّ المال . ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أوحى[1] الله تعالى إلى داود عليه السلام ، يا داود تُريدُ وأريد ، فإنْ تركَتَ ما تُريد لِمَا أُريد أعطيتك ما تريد ، وإن لم تترك ما تريد أَتعَبْتُكَ فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد » . وإنما ضربت لكم هذه الأمثال ، لتتَّقوا الله حقَّ تُقاته . ثم تلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تُقَاتِه ولا تَمُوتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[2] . ثم التفت إلى مُرهِفْ بن واقد وقال : ارجع إلى صاحب هذا الحصن واكتم إسلامك وأخبره بما رأيت من أسر أهله ، واستعمل النصيحة للمسلمين ، فإنما أساس ديننا النصيحة ، بعضنا لبعضٍ ولمن هو من أهل ملَّتنا ، ولمن يريد أن يتبع شريعتنا ، ومن غشَّنا فليس منا . وقل له : إن أراد الصلح عليه أن يُسلِّم لنا هذه القلعة ومهما أراد امْتَثَلْنَاه . قال : فرجع مرهف إلى يانس ، وحدَّثه بما رأى وعاينَ من أسر ميرونة . قال : فعظم عليه وكبر لديه[3] ، وقال لِمُرْهِفْ : ما الَّذي رأيت من الرأي ؟ فقال له مُرْهِفْ : اعلم أيها الصاحب أن هؤلاء القوم ، ما قالوا قولًا إلَّا وَفَوا به ، وبذلك نصرهم الحق ، وأرى لك من الرأي أن تسلِّمَ الحصن إلى القوم ، ويُسلِّمُوا لك زوجتك وجميع مالك ومهما أردت ، وأنا الضَّامن لك بذلك .

فقال يانس لمرهف : انزل إليهم وائتني منهم برجالٍ يحلفون لي على ما أريد وأشترط ولا تأتني منهم إلاّ بمن يُقْبَلُ قوله ، ويُعرفُ فضْلهُ ، وأريد منهم عشرة حتى أستوثق لنفسي منهم ، ولعلَّ الرجل الذي شاع ذكرهُ بالشَّجاعة

---

(١) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٦٢١٥/ .
(٢) سورة آل عمران . الآية ١٠٢/ .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣ .

وهو الذي فتح الشام يعني خالد بن الوليد منهم . وإنما أراد الملعون ذلك حتى يقبض عليهم . فقال مرهف : سأفعل ذلك وأجهدُ إلّا إنْ امتنَع القوم .

فقال : ولقد بلغني أن اللعينَ أراد أن يَحصُلَ العشرةُ عنده ، ثم يمسكهم رهائن إلى أن يسلِّمُوا له زوجته . فقال : فنزل مُرهفٌ إلى عياض وحَدَّثه بما قال له العلج . فقال له عياض : يا بن واقد إنه يريد أن يخدعنا ، ونحن جُرْثُومةُ الخداعِ والمكرِ والحيلِ ، وإنِّي أرجو أنَّ وبالَ خديعَتهِ ترجعُ عليه ومقيلهِ إليه . ثم قرأ : ﴿ إن الله لا يُصلحُ عملَ المفسدين ﴾[1] فقال خالد : دعنا أيها الأمير حتى نصعدَ إليه والله الموفق . فقال عياض : اعْزِمْ على بركة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فنهض خالدٌ[2] والمِقْدادُ ، وعمَّارٌ[3] وسعيدٌ[4] بن زيد ، وعمرو بن معدي كرب[5] ، والمسيب بن نجبة[6] ، وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ، وضرار بن الأزور وعبد الرحمن[7] بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين ، وساروا ومرهف يقدمهم إلى أن أتوا باب القلعة ، وقد رتبت الغلمان في دهاليز القلعة ، وأمرهم أن يأخذوا لأمة حربهم ، ففعلوا ذلك إلا خالداً وضراراً وعبد الرحمن ، قالوا : وما كنا نسلِّم لغيرنا عزَّنا ، إن أرادنا أن ندخل إليه بعُدَّتنا ، وإلا رجعنا من حيث جئنا .

---

(١) سورة يونس الآية ٨١/ .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٩٤ ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١/ ١٠٣ .

(٣) عمار بن ياسر : الطبقات لابن سعد ٣/ ٢٥٤ وأسد الغابة ٤/ ٤٣ .

(٤) سعيد بن زيد : انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٤٦ ، وذيول تاريخ الطبري ص٥١٣ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣/ .

(٦) المسيب بن نجبة : بن ربيعة الفزاري ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢١٦/ .

(٧) عبد الرحمن بن أبي بكر : السيرة النبوية لابن هشام ص٥٣٨ ومختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١٨٩/ .

فدخل مرهف وقال : أيها الأمير ما سبقت لهؤلاء القوم سابقة أن يغدروا ولا يمكروا ، وأيضاً إن منهم ثلاثة بالعدة ، ما الذي يقدرون عليه ويصلون إليه ؟ دعهم يدخلون كيف شاءوا ، فلو أنهم نار ما أحرقوا ، وأيضاً فلا تريهم الجزع فيطمعوا . فقال : وحق المسيح لقد صدقت . دعهم يدخلوا كلهم بعددهم ، حتى يعلموا أننا لا نخاف منهم ولا نرهب ، وأيضاً لا تنفر قلوبهم منا ، فلا يقعون في قبضتنا .

قال : فخرج مرهف وقال للحجاب والغلمان : رُدُّوا عليهم لأمة حربهم ، فإنا نبغي الصلح ولا نبغي المعاندة . قال : فردوا عليهم لأمة حربهم وأسلحتهم .

قال : وتوسَّطُوا القلعة وإذا بيانس على كرسي تكبُّرِهِ ، فلما وقعت عين يانس على أصحاب رسول الله ﷺ وقع رعبهم في قلبه لأنه من خاف الله ، خاف منه كلُّ شيء ، فجعل يصعقُ لهم وقد وصَّى غلمانه وقال[1] : إذا رأيتموني قد قربت من القوم كي أصافحهم ، فَدُونكُم وهُمْ . ونظر خالد إلى القوم فعلم ما عندهم ، فلما همَّ البِطْريقُ أن يتقدم قال له خالد : مكانَكَ أيها البطريق فنحن قومٌ لا نؤتى من حيلة ولا مكر ، لأننا قهرنا الملوك وأبناءهم بهذا السيف الذي لا ينبو في الحرب ولا يَكِلُّ يوم الضرب . ثم دعا بأصحابه وانتضى سيفه وزعق بيانس زعقةً أدهش بها من في الحصن ، وضرب يانس على عاتقه ، فأطلع السيف من علائقه . ولما نظر أصحاب خالد إلى فعله ضرب كلٌّ واحد منهم يده على قائم سيفه ، ووثبوا على غلمان يانس ووضعوا السيف فيهم .

قال : فتكاثر عليهم العدو وتزايد ، واشتعلت الهيجاء وخاب الرجاء ونَخَر النجاء وامتلأ الهُتَاخ بالزَّعْقَات ، وحمل كلُّ بطريقٍ وطِمْراخ ، وكشَّرت

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣ .

البطارقة عن أنيابها ، وقاتلت الشيوخ مع نسائها ، وتفرقت الأحبَّاء عن أحبابها ، وقاتل خالد والمقداد ، وساعدهما الثمانية الأنجاد وعَظُمَ الجلاد ، وتبدلت الأجياد وذابت من الخوف الأكباد وأيقنت النفوس بالبعاد ؛ فلله دَرُّهمُ فلقد أَبْلَو بلاء حسناً ، وأتبعُوا جادَّة الجهاد مسنا وسننا ، فأفصحوا في الحرب جناناً ولسانا ، ونادوا : لسنا ممن يفزع من المدد الكثير ولا من الجمع الخطير ، بل نتّكلُ على مولانا نعم المولى ونعم النصير [1].

قال الراوي : ودخل إليهم أهل الرَّبض وانحرفَ عليهم العَرضُ ، وفاتهم الغرض وفاجأهم المرض وما من العشرة إلا من للموت تعرَّض ، واتَّكَلَ على الله وفوَّضْ ، وقاتل أعداء الله وحَرَّضْ ، وأراد الجمع وانْطَرشَ السمع ، والعشرةُ يكُرُّون كرَّ السِّباع ، والأعداء أمامهم كالضِّباع ، وقد كسر خالد القنا وافتخر بدينه ، واشترى الجنة بنفسه من الله وعامله وباعَ ، وظهر صَبرُه وارتفع قَدْرُه وسُمع شِعرُه . وهو ينشد ويقول[2] : [البحر الطويل]

سَيعلَمُ هـذا الجمـع أنِّـي غَضنفـرٌ   أُبيـدُ الأَعـادي بـالحُسـام اليمـانيـا
وألقـــاهُـــمُ والله لله نَخْـــوَةً   وأَحْمي عن الإسلام ما دمت كاليا
وأملك هذا الحِصْنَ بالسَّيف عَنْوةً   وأَضـربُ أعنـاقَ اللِّئـامِ الأعـاديـا

قال الراوي : وكان في ربض الحصن قوم من أعمال الهتاخ ، وهم أهل أَقْشاط وبُوشَاط وكان قد جمعهم يانس وألقاهم في الرَّبض ليقاتلوا أصحاب رسول الله ﷺ فلما كان من أمر خالد وقتله ليانس كما ذكرنا اجتمع الروم والأرمن والنصارى على أصحاب رسول الله ﷺ ، ودخلوا إلى الحصن في جملة من دخل ، فنظروا إلى صبرهم وقتالهم وحُسْنِ نزالهم فانْتَخَوا وقال بعضهم لبعضٍ : أنتم تعلمون أن العَرَبَ ما يَسكُتون عن أصحابهم وقد ملكوا

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣ .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٤ .

البلاد[٢] ، ولا أحدُ يقاومهم ، ومن ملكُوا مثلَ آمد ، كيف يبقى بين أيديهم الهتاخ أو غيره ؟ ولكن دونكم قاتلوا معهم واتخذوا عند العرب يداً تشكرون عليها .

قال : فأجابوا إلى ذلك وكانوا زهاء ثمانين رجلاً ، فجرَّدوا سُيوفهم ورجَعُوا عن حرب خالد ومن معه وضربوا من كان بالحصن بالسُّيوف ، وبادأوهم بالحتوف فلم يكن لهم غير الهرب ، وحَلَّ بهم العطب .

وسمع عياض رضي الله عنه الصياح فقال : أما والله إنَّ خالداً ومن معه قد فازوا في القلعة . ثم قال : دونكم وإياهم فبادرَ أبو الهول راجلاً وأصحابه الأربعمَائة ، فتسلقوا في الحبال فوجدوا من خرج من القلعة وهم منهزمون ، فبادروا إليهم وصاحوا بهم ، ووضعوا السيف فيهم فما نجامنهم أحد ، وما وصلوا إلى باب القلعة إلا وخالد قد ملكها ، واحتوى على كل ما فيها وصعد إليها عياض بن غنم رضي الله عنه ، وأخذ كل ما فيها من مال ورجال ، وولى عليها مولاه سالم ، وسلم إليه مائة رجل ، وكتب لأهل أَقْشَاط[١] وَبُوشاط[٢] كتاباً لا يَزِنُوا[٣] وزناً براءةً أبداً . وشهد في الكتاب خالد والمقداد وعمار ومعاذ وشرحبيل وضرار وعبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهم فبينما هم على ذلك لا يغير عليهم أحد ، أطلق عياض بن غنم ما أتى به قيس من الأسرى . وارتحل عياض يريد ميَّافارقين[٤] . فالتقاه في الطريق أهل تلك الجبال ، وأهل الجدَيْدَة[٥] وقلب وباتاساه[٦] ودُبُّ الكلاب ، فأعطاهم

---

(١) أقشاط : قرية من كورة الهتاخ قريبة من الحصن / الواقدي ٢/ ١٠٤/ .

(٢) بوشاط : قرية من كورة الهتاخ قريبة من الحصن / الواقدي ٢/ ١٠٤/ .

(٣) لا يزنوا : أي لا يؤدوا جزية لا نقداً ولا وزناً .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٤ .

(٥) الجديدة : هكذا وردت بالأصل . ولكنها حصن الجديد الهام من حصون ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

(٦) باتاساه : هي أحد قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١/ .

الأمان وردَّهُم إلى مواضعهم وفرض عليهم الجزية ، وخرج كُلُّ من في ميَّافارقين للقاء عياض بن غنم رضي الله عنه ، ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسلَّموا عليهم ودَعَوا لهم وشكروهم على حُسن سياستهم وعدلهم ، ونزل من صَوب الميدان في لَحْفِ الجبل ، وأقام عليها عشرة أيام ، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم في أمره وقال : إني قد عوَّلت على المسير إلى ديار أَرمِينية[1] وإلى أرزَن[2] الروم . فأشيروا عليَّ رحمكم الله في أيِّ طريق نسلك وبمن نبدأ . فقال رجل من المعاهدين ممن هو أعرف الناس بتلك البلاد : أيها الأمير أتأذن لنا ، في الكلام . فقال : من له رأي منكم فيتكلم . فقال : أيها الأمير ، اعلم أنك إن قصدت إلى أرض أرمينية اتسعت أمامك البلاد ، وربُّما طال أمرك فيها .

٥ ـ فتح حصن لغوب

واعلم أنه بالقرب منك بيوم واحد بالجبل حصن منيع الجناب ، واسع الرحاب يقال له : حصن لَغُوب ، وقد غلب عليه اسم صاحبه ، وهو نَاطِلُون بن كيفا بن عَيْربُوس ، وله جيش عرمرم يزيد على ثلاثة آلاف فارس ، وتحت يده معاقل كثيرة ، وربما أنْ بَرِحَ ركائبُكَ من ها هنا ، تَوَلَّعَ بالبلاد وشنَّ الغارة عليها صباحاً ومساءً وأذاق أهلها شراً[3] ، ومن الرأي لو وجَّهتَ إليه جيشاً ، فلعلَّ الله تعالى يفتح على يدك ، فإن أنت فتحت الحصن ورَجَعَ بحكم المسلمين ، مضيت حيث تريد ، تكون طيِّب القلب ممن تخلَّف من أصحابك في هذه البلاد . فقال عياض بن غنم رضي الله عنه لأصحابه : ما تقولون فيما

---

(١) ارمينية : انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٣٣ ، ومراصد الاطلاع ١/ ٦٠/ .

(٢) أرزن الروم : سماها العرب بهذا الاسم (أرض الروم) وتقع في بلاد قاليقلا / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٩/ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٤ .

تكلم به هؤلاء القوم : فقال خالدٌ : أيها الأمير لقد تكلموا بالحق ونَطقُوا بالصدق والرسول ﷺ قد قال : « الحكمةُ ضَالَّةُ المؤمن »[1] فعوِّل على هذا الرأي أيها الأمير ، كان الله لنا ولك ونصرنا وإياك . ثم انصرفوا من عنده وبات ليلته يفكر في من يُنْفِذ إلى الحصن . فوقع على أن يُنفِذ إلى الحصن عبد الله يوقَنّا .

فدعا به وقال : يا عبد الله قد اتَّفق رأيي على أن أُنفِذك إلى الحصن فما الذي ترى ؟

فقال : أصلح الله الأمير ، قد بلغني أن الحصن منيع . وربما إن نزلنا عليه طال الأمر ونَفَذت المُدَّة ، ولم ندرِ ما يكون بعد ذلك ، ولكن أَهَبُ نفسي لله ولرسوله وتأخذ من بني عمي جماعة ونتزيًا بزيِّ الفلاحين ، ونأخذ نساءنا وأولادنا ونركِّبهُم على البقر وندخل في جملة الحافلين ، فإن حصلنا في الحصن ملكناه إن شاء الله تعالى . فقال عياض بن غنم رضي الله عنه : اعلم يا عبد الله أنَّ أمرك اشتهر عند جميع النصرانية[2] ، ونخاف أن تسير أنت ومن معك فيقبضوك ، والله تعالى يقول : ﴿ ولا تُلقُوا[3] بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وإنما نقاتلُ أوفق ، كان الله معك ولك . فقال يوقَنّا : أيها الأمير إذا أبيت ذلك ، فأمرني أن أَشُنَّ الغارة على بلاد القوم . فقال عياض : قد أذنت لك ذلك . فخرج يوقَنّا ومعه ألفٌ من قومه ، وساروا ليغيروا على أَرْزن واسْعَردْ[4]

---

(١) انظر الحديث في : كنز العمال / ١٦/ ٤٤٠٨٨/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٤) اسعرد : مدينة تقع شمال دجلة وتبعد عن ميافارقين مسيرة يوم ونصف جنوبيها / تقويم البلدان ٢٨٩/ .

وباهَمرْد[1] وبَاتاسَا[2] وحَيْزَان[3] والمَعْدَنْ[4] .

قال الواقدي : وكان من قضاء الله وقدره ، أن صاحب اسعرد وحيزان والمَعْدن وباهَمَرْد وباتاسا وطَنْزَا[5] ، كان اسمه خَرْشَلُّوا بن باكير ، وكان بينه وبين نَطَالُون بن كيفا حربٌ عوَار . يغير بعضهما على بعض وقد خرَّبوا البلاد بينهما ، وانتشرت الأخبار بقدوم أصحاب رسول الله ﷺ ، وأنهم على ميافارقين ، فالتجأ أهل تلك الأرض إلى الحصن ، وعلم خرشَلُّوا صاحب اسعرد والمعدن وحيزان وباهَمَرْد وطبزا وباتاسا أنه لا طاقة له بالعرب فاتخذ هدية سنيَّة ومضى بنفسه يريد نَطَالُون حتى يصطلحَ معه ، ويكونا يداً واحدةً على قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، فبينما هو سائرٌ والهديَّة صُحبتُه ، وقد نزل على قرية اسمها ارْعَنَز[6] وعلق على خيوله ، وعوَّل على أن يسري إلى الحصن ليلاً ، فبينما هو ينتظر الليل وأن تَأكُلُ خيولهم عليقها ، وإذا قد كَبَسَهُم يوقنَّا وأصحابه[7] وقد أحاطُوا بالقرية وأخذوا كلَّ من فيها وأسروا البطريق ومن معه ولم يبرح يوقنَّا من القرية تلك الليلة . قال : فلما كان من الغد عُرِضَ عليه أهل القرية والأسارى ، فقال لهم : إن الله سبحانه وتعالى قد نصرنا عليكم ، واعلموا أني كُنتَ ملكاً من الروم وملكتُ الشَّام وقُدتُ الجيوش والعساكر ، وأَمرتُ ونهيت وعَبدْتُ الصَّليب وقَرَّبتُ القُربان ، فلما أتى الله بهؤلاء القوم

---

(١) باهمرد : أحد قلاع ديار بكر الحصينة / زبدة الحلب ٢/ ٢٧٦/ .

(٢) باتاسا : أحد قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

(٣) حيزان : مدينة غنية بالمياه والبساتين في ديار بكر تقع قرب اسعرت / الأعلاق ٣/ ٣٤٩/ .

(٤) المعدن : إحدى مدن وقلاع ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥٠/ .

(٥) طنزا : مدينة في ديار بكر بجزيرة ابن عمر واسم قلعتها كهلوك / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٣٤٩/ .

(٦) ارعنز : إحدى القرى القريبة من حصن لغوب / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٥/ .

(٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٥ .

وأختبرتهم وما هم عليه وبان لي الحقُّ معهم تبعتهم وقلت بقولهم وقاتلت معهم ، ولقد كُنا بالشام تفزعُ منَّا الملوك : كسرى وقيصر والجرامقة[1] والدَّيلم[2] والتركِ ، ولنا أكثر الأرض وما كنَّا نلتفت إلى العرب ، ولا نَعُدهم حتى خرجوا علينا وأذاقونا شراً ، وذهبت شجاعتُنا في أيديهم وملكوا معاقلنا وحُصوننا ، واحتووا على ملكنا ونصرهم علينا ربُّ السَّماء لأنهم يشيرون إليه بالوحدانية ، وقد فَزِعُوا إليه بالكُلِّية فإن آمنتم به ووحدتموه كان لكم الرِّبح في الدنيا والآخرة وسأطلقُ سراحكم وإن أبيتم ذلك قتلتكم عن آخركم . فقالوا : اتركنا يومنا هذا إلى اللَّيل ندبِّرُ فيما أمرتنا به . قال : فتركهم ثم خلا بخَرْشَلُّوا البطريق وحدثه في السِّر وقال : يا هذا اعمل في خلاص نفسك ورقبتك من النار ، وأسلمْ وإلا فَافْدِ نفسك بشيء . قال بماذا ؟ قال يوقنَّا : بلغني أنَّ بينك وبين صاحب الحصن وقائع[3] .

قال البطريق : لقد صدقك الذي أخبرك . قال وما السَّببُ الموجبُ لعداوتك معه .

قال : فقال لي : إنه طلب أن يتزوج بابنتي وبعث إليَّ هديةً ، فرددتها إليه ، فصار عدوِّي وصرتُ أُعاديه ، وإنما قدمت إليه في هذه المدة حتى أكون

---

(١) الجرامقة : هم قوم من الأعاجم سكنوا الموصل في أوائل الإسلام . وقيل بأنهم من أصل آرامي وكانوا في عيلام في منطقة تعرف بالجرمق ببلاد فارس ، وعادوا إلى بلاد آشور فعرفوا بالجرامقة وكان سكنهم بمدينة الموصل في خلافة عمر بن الخطاب / القاموس المحيط مادة جرامقة / والعرب واليهود في التاريخ ص٢٦٧/ .

(٢) الديلم : شعب سكن الجبال التي تقع جنوب بحر قزوين والتي تعرف بهذا الاسم . وكانوا من الوثنيين حتى الفتح الإسلامي . واستخدمهم الخلفاء والولاة كجنود ومرتزقة . وإقليم الديلم يجاور أذربيجان من الغرب وطبرستان وجيلان في الشرق . يعتمد على مياه الأمطار لخلوه من الأنهار وطبيعة جبلية / انظر : القاموس الإسلامي ٢/ ٤٢٢ / والأعلاق الخطيرة ٣/ ٣٢٨/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٥ .

أنا وإياه يداً واحدة على قتالكم ، فَخرجتَ أنت فأسرتني . فقال له يوقنّا : إني أريد لك من الخير ما أريد لنفسي ، وليس أُحرجُكَ على أن تتخلى عن دينك ، ولكن تعاهدني أنْ لا تغدرَ ، وأخلي سبيلك وتمضي إلى صاحب الحصن وترمي نفسك بين يديه ، وتقول له : أيها الصاحب قد ندمتُ على ما كان مني إذ رددتُكَ عن زواج ابنتي ، وإني قد أخذتها وزيَّنتها وسُقتُ معها أموالها ، على أن أهديها لك ، فلما كنت في موضع كذا وكذا ، خرج قوم من العرب وأخذوا ابنتي والمال ، ونجوتُ بنفسي وأتيت إليك ، لتأخذ بثأري وتُنْقِذَ ابنتي من العرب . فإنه إذا سمع ذلك دعاه الطمع واستخرجه الأمل ، أن يَخرجَ إلينا ولعلَّ الله سبحانه وتعالى أن يظفرنا به ، فإن ملكناه يكون الحصن لنا إن شاء الله تعالى ، ويكون مُجازَاتُك أن تبقى في بلدك آمناً ومطمئناً ، واعلم أن ذمامي هو ذمام العرب مهما قلت امتثلُوه وفعلوه . قال : فلما سمع البطريق ما قال يوقنّا . قال : أنا أفعل ذلك ولكنِّي أخاف من المسيح أن يغضب عليَّ إذا خَامرتُ على أهل دينه [1] .

فقال يوقنّا : أنا أتحمَّلُ هذه الأوزار عنك ، ودع عيسى بن مريم يطالبني بها يوم القيامة . فقال البطريق : إذا كان هذا الذي ذكرت فأنا أفعله وليس يصعب عليَّ ولكن أخاف إن فعلتُ الذي أَمرتني به أن لا ينزل إليَّ من الحصن وربُما يبعث معي بعض أصحابه فلا تحصل على طائل من عدوك . فقال يوقنّا : فما التدبير ؟ فقال البطريق : الرأي غير هذا ؟ قال وما هو ؟ قال : تبعث من أسرت منّا ومن أهل هذه القرية (ارْعَنز) إلى أصحابك وتسير جريدةً بالخيل وأنا معك ، ما نُصبِّحُ إلا ونحن على الحصن ، فإذا أشرفنا عليه تعطيني جوادي ولأْمَة حَربي ، وأسير على فرسي في حال العجلة فإني أجده في ميدانه في أرباب دولته ، فإذا وقعت عيني عليه ترجَّلت عن ظهر جوادي ، وحثوت

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٥ .

التراب وأصيح به . فإذا استخبرني حدثتُه بما حدثتني به . فإذا قال : وأين هم ؟ أقول على فرسخ من بلدك . فإذا سمع قولي لم يمكنه التأخر عن نُصرتي ، ولا بد أن يُسرع إليكم ؛ واعلم أن أكثر جنده قد فرّقهم على المعاقل والحصون وما عنده في ركابه ألف فارس .

فلما سمع قوله يوقنّا وثق به وبعث الأُسارى إلى عياض . فلما وصلوا إليه قال لهم : إن نحن أطلقناكم وأحسنّا إليكم أتعرفون لنا ذلك ؟ قالوا : نعم . فأطلق سبيلهم حتى يسمع من يليهم فينزلُ إلى طاعته . وأما يوقنّا رحمه الله فإنه سار جريدةً في ألف فارس باقي ليلته(*) ، فما برق ضياء الصُّبح إلا وقد أشرفوا على الحصن ، ولاح لهم من بعيد فعندها أطلقوا البطريق وسلَّمُوا له جواده ، وتركوا الكِتَافَ على يده الواحدة وكأنه قد أفلت يده الأخرى ، وساق على شوط واحد إلى الحصن ، وإذا بالقضاء المقدَّر أنه وجد نطالون بن كيفا قد بعث إلى اسعرد ألف فارس وألفِ راجل مُعدةٍ .

وكان السبب في ذلك أن قوماً من أصحاب البطريق (خَرشَلُّوا) ، ومن أهل أرْعَنْز لما كبسهم يوقنّا ، قد أقبلوا إليه وحدثوه ، بما تم عليهم فعبر لعلَّه يستخلصهم من يد يوقنّا . فلما قدم البطريق ورأى صاحب الحصن ، ترجَّل بين يديه وحلاًّ الكتاف على يده الواحدة وصقع له وحدَّثه بما جرى وبكى بين يديه . قال : فرقَّ له ولحاله ، وقال له : كيف تخلصت ؟ فقال له : تركتهم حتى ناموا وما زلت أعالج الكتاف حتى تخلصت يدي الواحدة كما ترى ثم سَلَلْتُ هذه الفرس فركبته ، وأحس القوم بي فركبوا في إثري وها هم بالقرب منّا . قال : فلما سمع نطالون بن كيفا قوله أمر بعض غلمانه فأزالوا الكتاف عنه ، وركب من وقته وسار يطلبهم فلم يكن إلا ساعة حتى التقت الفئتان وأشرف بعضهم على بعض . وقال يوقنّا لأصحابه : هذا الذي أردتم من أمر الجهاد ، قد قرَّبه الله إليكم[1] ، دونكم والقوم . فلم يمهلوهم وحمل بعضهم على بعض

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/١٠٦ .

واستعملوا العجلة فتطاعنوا بالرماح وعجلوا ، وفشت الجراحات في الفئتين واقتتلوا ، وصبر يوقنّا على الخطب العظيم والأمر الجسيم ، واستعانوا بالرحمن الرحيم ، ووقع عليهم الصائح ، ونشرت أجنحتها النَّوايب واستخدموا القواضب ، واستعان أصحاب يوقنا بإله المشارق والمغارب . فبينما هم قد أشرفوا على المعاطب ، إذ أشرفت عليهم غُرَرُ الخيل كأنها الليل ، فتأمّلوا إليها وأحدقوا نحوها وإذا بهم يتسابقون ونحوهم يسرعون ، فتأملهم يوقنّا وإذا بهم أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف فارس يَقدُمُهم خالد بن الوليد رضي الله عنه . وكان السبب في قدومهم أن عياض بن غنم خاف على يوقنّا وبني عمه ، فأرسل خالداً في إثرهم ، فوجدهم في القتال فأطلق عنان جواده وشرَّع سنانه وقال : يا أهل الإيمان ويا حملة القرآن دونكم وعبدة الصُّلبان ، ومن يجعل مع الله ثان ، ارفعوا أصواتكم بكلام ربكم ، واجعلوا على الله اعتمادكم ، واعلموا أن القرآن لا تنطفئ مصابيحه ، وشهاب لا يُخمُد عُرى زِنده ، وحبلٌ لا ينقطع أركانه ، وقسْطٌ لا يحيف سلطانه ، وحصنٌ لا يضعف بنيانه ، وجند لا تنهزم أنصاره ، وخبرٌ لا تفنىٰ عجائبه ، وبحر لا يدرك غرائبه ، ومعدن لا تنقطع كنوزه [1]، ومعقلٌ ينبع من الهلكة جاره ، اتَّكِلُوا على الملك الجليل . فنعم النَّاصرُ والوكيل .

قال الرَّاوي : فَضجُّوا بقراءة القرآن ، وذكروا الواحد المنَّان وداروا بالقوم واستنصروا بمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، ونظر يوقنّا إلى النُّصرة قد أتت وغرر الخيل قد أقبلت فعظم نشاطه ، وكثر في الحرب انبِسَأطُه والتقى ناطلُون بن كيفا فعرفه بزيّه ، فتطاعنا طعاناً شديداً ، وتضاربا ضراباً شافياً ، إلا أن يوقنّا طعن صاحبه فأرداه على الأرض ؛ ولقد صنع فيهم خالدٌ وأصحابه ما تصنع النار في الحطب ، وأبادهم بضرب كاللَّهَبْ . ولما قتل يُوقنّا صاحب الحصن ، قطع

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .

رأسه وألقاه على رأس سنانه وقال : على من تقاتلون وقد قتلنا صاحبكم ؟ فلما رأوا رأسه ولّوا الأدبار ، ومات أكثرهم غرقاً في النهر وولّى أكثرهم نحو الجبال والتلال .

قال الرّاوي : ووقع الصائحُ في الحصن أن نطالون قد قتل وكثير من أصحابه ، فصاح الصائح وناح النائح ، وجُزَّت الشُّعور وأيقنوا بالويل والثبور .

قال الواقدي رحمه الله : وكان لناطلون زوجة عاقلة لبيبة صابرة صاحبة رأي وتدبير . فلما رأت ما حلَّ بأهل الحصن وقد قتل زوجها . ومن كان معه قد تفرّق شملُهم بالهزيمة والقتل والغرق ، فأيقنت بزوال مُلكها وخراب بيتها ، فجمعت مشايخ الحصن من الطَّرامخة[1] والدهاقنة[2] والأَقِسَّة والرهبان[3] وقالت لهم : اعلموا أن الملك قد قتل ، وتفرق شمل عسكره ومن كان معه وقد وصلكم ما صنع هؤلاء العرب مع ملوك النصرانية ، وبني ماء المعمودية وكيف ملكوا الشَّام وأرض مصر وديار بكر وأرض ربيعة ، وقد دانت لهم الأمور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ، ودخل في دينهم الملوك والبطارقة فما نزلوا على حصنٍ إلا وملكوه ولا وافَوْا جيشاً إلى هزموه ، والآن فقد حصلوا بساحتكم ونزلوا بأوطانكم ، فما ترون من الرأي ؟ فقالوا : أيتها الملكة ما تكلَّمت بشيء إلا وقد عرفناه والأمر بعد هذا إليك . قالت : اعلموا أن صاحبكم قد قتل ، وأن العسكر قد انهزم ، ولم يبق في الحصن جيش ولا من

---

(١) الطرامخة : الأعيان والوجهاء في المدينة ، وهي مرتبة رومانية كانت موجودة عند الفتح الإسلامي .

(٢) الدهاقنة : مفردها دهقان . وهي كلمة فارسية تعني : صاحب القرية مالك الأرض ، وتأتي أيضاً . بمعنى من يحفظ السنن والروايات الايرانية / انظر : المعجم الذهبي ص٢٨٥ . د. محمد التونجي .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .

يذُبُّ عنكم ، والصَّواب أنكم تحقنون دماءكم وتصونوا حريمكم وأموالكم ، وتدخلون فيما دخل فيه أهل البلاد ، وتصالحوا هؤلاء العرب ، فتأمنوا على أنفسكم وأهليكم ومالكم ، وتعيشوا في ظل دولة العرب .

قال القوم : هذا هو الرأي . قالت : لينطلق منكم رجال إلى هؤلاء العرب واعْتَقَبُوا لنا منهم صلحاً . قال : فخرج من عندها ثلاثون رجلاً وساروا حتى قطعوا الشَطَّ إلى عسكر المسلمين . فلما رآهم المسلمون علموا أنهم من أهل الحصن استقبلوهم ، ورحبوا بهم ومشوا بين أيديهم إلى قبة خالد ، وإذا هو جالس على التراب وأصحابه حوله يُكثرُون من ذكر الله تعالى [1]، وليس لهم حاجب ولا بوّاب . فسلَّموا عليهم ، فقال خالد : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو رُدُّوها ﴾ [النساء : ٨٦] . فتقدم كبراء أهل الحصن من أهل التقدمة والعلم في دينهم وقالوا : أيُّكم الأمير حتى نخاطبه ؟ قالوا : ليس فينا أمير ، ولا من يلحظ أخاه بعين الذُّل ، لأن الإسلام شملنا ونحن عباد الله ، أكرمنا على الله أتقانا ثم قرأ : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[2] وإنا قوم نطلب الآخرة ، وما عند الله سبحانه وتعالى .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[3] وقال نبيُّنا ﷺ : « كلُّ شيء فضلٌ إلا ظِلَّ بيتٍ وحُروفَ الخُبز وثوباً يواري به ابنُ آدَمَ عَوْرته »[4] وقال ﷺ : « لا تنظروا إلى من هو فوقكم فتزدرُوا نعمة الله عليكم ، ولكن انظروا إلى من هو دونكم فإنه أجدرُ أن تشكروا نعمة الله عليكم »[5] . وكان ﷺ يقول : « أفْشُوا السَّلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصَلُّوا

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٧١٣١ ، ٧١٣٢ .
(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ١٦/ ٤٤١٥٨ .

بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »[1] فنحن نتبع ما كان عليه نبيُّنا .

قال : فلما سمع القوم ذلك قالوا بأجمعهم : والله ما نُصرتم إلا باتباع الحق وقول الصدق في دينكم ، وإنَّا نريد منكم أن تحملونا على العادة وتشركونا فيما دخل فيه أهل البلد . فقال خالد : كم تبذلون لنا في صلحكم ؟ قالوا : مهما أردتم امتثلناه . فقال خالد : إنا لا نريد إلا ما يرضى به أهل الذمة[2] ، حيث تطيب قلوبهم ومن لا يرحم لا يُرحم ، ولقد سمعت نبيَّنا ﷺ يقول وهو الصَّادق المصَدَّق : « [3]لا تُنزع الرحمة إلا من قلب شقي » وقال : « ارحموا[4] تُرحموا واغفروا يغفر لكم » .

ولقد جاء رجل من أعراب المدينة فقال : يا رسول الله إني لأَجدُ العنزَ فأرحمها . قال له : « إن[5] رحمتها يرحمك الله » ولقد دخل ﷺ يعود إنساناً وامرأةٌ تنسجُ رداء عندها صبيٌّ لها ، فأحياناً تضربُ بخفِّها ، وأحياناً تقبلُ على صبيها ففعلت ذلك مراراً . فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه تَرحمُ صبيَّها فقالوا : نعم : فقال : إن الله تبارك وتعالى أرحمُ بعباده من هذه بصبيِّها »[6] .

قال الراوي : فلما سمع القوم ذلك تهلَّلت وجوههم فرحاً وقالوا : لقد جئتم بحق ، وما نرى إلا أن دينكم الحق ، ثم أسلموا وعادوا إلى قومهم ، واجتمعوا إلى كنيستهم وحدَّثوهم بما كان منهم ومن حسن سيرة أصحاب رسول الله ﷺ . فقالوا : ما كنَّا بالذي نرفع أنفسنا عنكم ، لأنكم أهلُ الرأي والتدبير ، وقد رضينا ما رضيتم لأنفسكم . ثم أسلَمُوا إلا القليل منهم .

---

(١) انظر الحديث في : كنز العمال ١٥/ ٤٣٤٤٧ ، ٤٣٥٠١ .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .
(٣) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٥٩٧٣ .
(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٥٩٧٦ .
(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٦٩٧٨ ، ٦٩٨٦ .
(٦) انظر الحديث في : كنز العمال ٤/ ١٠٤٠٢ .

وسمعت الملكة بذلك فطاب قلبها ، وبعثت العلوفة والإقامة إلى خالد ، وأمَرَتهُ أن يعبر إلى جانبها ، ونَصبت لهم الجسر فعبر خالد ومن معه الشِّعْب ونزلوا بالبيعة بحيث أنها تشرف عليهم ، وتنظر إليهم فرأت قوماً قد طلَّقوا الدُّنيا وطلبوا الآخرة[1] ، ليس فيهم من يشتم أو يخالف ، قد اشتغلوا بالذِّكر وتوشَّحوا بالصَّبر ، ونَظرُوا في عيوبهم وأقبلوا على ميرونة وقالوا : هؤلاء زهِدُوا عن كلِّ مرغوب ، وتجافُوا عن كل مطلوب ونزَّهوا قلوبهم اشتغالاً عن كل محبوب ، فأخلصهم لمحبَّته واصطفاهم لمخاطبته أَحَلَّهم بحظيرة القدس ، وجعل قلوبهم أضْوأَ من الشمس ، فَضَّلَهم على كثير من الإنس تفضيلا ، ورفعهم بما خصَّهم به جُملَةً وتفصيلا ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلُوا تبديلا ﴾[2] : [البحر البسيط]

لله قــومٌ إذا مــاالليــل جَنَّهــمُ قامُوا من الفَرْشِ لايَهدونَ عُبَّادا[3]
ويــركَبُــونَ مطــايــا لاتمــلُّ بهــم ويسمعُونَ مُنادي الصُّبح قد نادى
فالأرضُ تبكي عليهم حين فَقدِهمُ كــأنَّهــم خُلِقُــوا لــلأَرض أوتَــادَا

قال الراوي[4] : فلما نظرت إلى حُسن عبادتهم ، نزلت إليهم وسلَّمت عليهم وأسلَمَت على أيديهم . فقال خالد رضي الله عنه : تَقَبَّلَ الله منك ورضي عنَّا وعنك فالزَمي قلعَتَكِ ولا سبيل لأحدٍ عليك . قال : ونظرها يوقنَّا رحمه الله ، فقال لخالد : وَدِدْتُ لو كانت هذه لي أهلاً ، فإني سمعتُ أمين الأمة أبا عبيدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مسكينٌ مسكينٌ رجلٌ لا امرأة له ومسكينَةٌ مسكينةٌ امرأة لا بعل لها[5] » .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٦ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .
(٣) انظر الأبيات في فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ .
(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ١٦/ ٤٤٤٥٥ .

قال فنفَّد خالد إليها وشاورها في الأمر فأجابت إلى ذلك . فقال خالد رضي الله عنه حتى تتمَّ عِدَّتُكِ أربعة أشهر وعشراً . فقالت : مبارك إن شاء الله تعالى . وبعث خالد رضي الله عنه إلى عياض يخبره بالأمر وبما جرى . فبعث إليه الجواب : أن لا تترك شيئاً من بلاد الحصن إلا تنزل عليه .

٦ ـ فتح أسعرد وبهمرد

قال : فعوَّل خالد بالعُبُور إلى جانب (أسْعَرْد وطَنْزَه وبَهْمَرْد) وإذا قد ورد عليه من أهل طنز وطُور عَبْدين يطلبون الصلح وأن يكونوا طوعاً للمسلمين . قال خالد : من أسلم منكم كان له مالنا وعليه ما علينا ومن بقي على دينه فعليه الجزية من العام القادم . فأجابوا إلى ذلك فكتب لهم عهداً .

وعَبَر إلى طنزه وبهمرد واسعرد وحيزان والمعدن وارزن ففتحوها صلحاً على ما تقدم ورَضُوا به ، وانقضت عِدَّةُ صاحبة الحصن وهي مُوجَأنُوسَة ابنة صِرْفِتَاس وتزوجها يوقَنَّا رحمه الله . قال : ولحق بعياض بن غنم فوجده على سَوقارِيَا[١] ، وهي مدينة جالوت ، فلما نظر خالد رضي الله عنه إليه ، سلَّم الناس بعضُهم على بعض فأقاموا خمسة أيام ، وعوَّلوا على أن يسيروا إلى بدْليس[٢] واخْلاَط . وإذا قد جاءهم الخبرُ أن طارون ابنة سَطينُوس ، وهي زوجة الغلام الذي تقدم ذكره ، وفتح كفرتوثا وكان من أمرها أنها هربت إلى أبيها ورجعت إلى دينها[٣] .

---

(١) سوقاريا : بلدة وحصن قريبة من آمد بين ديار بكر وأرمينية / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٥١٢/ .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير / ٢/ ٥٣٥/ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ .

قال الراوي : فصعب عليهم ذلك .

حدثني محمد بن يونس ، قال حدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني اسماعيل بن قيس عن جرير بن حصين ، عن هؤلاء السادة . أن طارون لم تتنصَّر ولا عادت عن الإسلام ، وإنما مضت إلى أبيها لتدبر الحيلة عليه وتسلِّم أخلاط بلده للمسلمين ، لأنها أرادت أن تصنع مثل ما صنع بَعلُها بكفرتوثا ، فاتفق رأيها وبعلها على ذلك . فقال لها : أمَّا أنا فما أتّبعُك لأني أفزعُ من أبيك أن يقبض علي ويُسَلِّمني إلى أهلي فَيَنْتَقِمون مني . فقالت : الزَمْ مكانك فلَستُ محتاجةً إليك ، ثم إنَّها لما عوَّلت على المَسير ، دعت غلمانها إليها في حال السِّر . وقالت : إني قد عوَّلت على أمر وأخاف أن أبوح به إليكم . فقالوا : أيها السيدة ما على العبد إلا طاعةُ مولاه ، فأوقفينا على سِّرك . فقالت : اعلموا أنِّي قد كرهتُ المقام بين هؤلاء العرب ، وأيضاً قد اشتد شَوقي إلى أهلي ووطني . وقد عوَّلتُ على المسير ، وأقول : إني أريد أن أسير معكم إلى الصيد في الجبال ، ثم إذا جنَّ اللَّيلُ طلبنا أهلنا وأرضنا ، فلما سمعوا قولها ، صَعَقُوا بين يديها ، وقالوا : أيها الملكة نحن بين يديك متى أردت . فقالت : إني لستُ أَكرهُكم على مالا تريدون فمن كان في قلبه المُقَامْ ، ومالَ بكُلِّيتِهِ إلى دين الإسلام فَليُقِمْ غير مَلُوم ، ومن أراد وطنه ومال قلبه وهمَّتُه إلى دينه الأول[1] واشتاق إلى أهله فَلْيَعزِمْ على بركة المسيح ، فإني الليلة معولة على المسير ، وحق ما أشير إليه ، إن بلغني أن أحدكم فشا سرِّي إلى بوغور أو لأحد من العرب ، لأجعلنَّ عتبي عليه ضرب عنقه . فقالوا : أيها الملكة ليس فينا من يبوح بسرِّك ، فإنا عبيدك وغلمان أبيك ، وتربية نعمتك ، وكيف نقابل الإحسان بالإساءة ؟ .

فقالت : فمن كان عازماً على المسير معي فليشدَّ عليه ويلحقني إلى

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ .

حرزم[1] . قال : فأجابوها إلى ذلك . فلما جن الليل ودَّعت بوغور ، وخرجت بآلة الصيد ومضت .

وقد تبعها من غلمانها اثنا عشر غلاماً . كانوا لا يريدون الإسلام ، وأيضاً قلوبهم عند أوطانهم وتخلف غلمانها كلهم بكفرتوثا ، وكانوا مائتي غلام ، قد رسخ الإسلام في قلوبهم ، أحبُّوا أصحاب رسول الله ﷺ ، لحِسُنِ سيرتهم وعدلهم .

قال : ومضت تجدُّ السير إلى أن توغلت في البلاد ، وجعلت تكمن نهاراً وتسير ليلاً ، إلى أن تركت أرزن[2] وراء ظهرها ، وأشرفت على بدليس[3] ، فنزل صاحبها إليها بالإقامة والنزل . فتسلمت ذلك منه وأقامت على بدليس يوماً .

---

(١) حرزم : تقع بين ماردين ودنيسر من أعمال الجزيرة وأكثر أهلها أرمن ونصارى وفيها نهر وبساتين وهي حالياً في تركيا . / انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٤٠ والأعلاق الخطيرة ٣/ ٥١٤/ .

(٢) ارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط في ارمينية وبها قلعة حصينة / انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٥٧٤ .

(٣) بدليس : مدينة بنواحي أرمينية قرب خلاط ، وهي ذات مياه وبساتين / معجم البلدان ١/ ٣٥٨ .

الفصل الرابع

فتح بلاد أرمينية

١ ـ فتح بدليس وأرزن

وكان من قضاء الله وقدره أن عياض بن غنم لما نزل على سوقاريا ولحق به خالد رضي الله عنه ويوقنا ومن معه ، فرح بسلامتهم ، وحدثوه بما جرى ، فسجد لله تعالى شكراً ، ثم بعث يوقنا رسولًا إلى صاحب بدليس . وكانت أرزن وقف وانظر وبدليس وغيرها من القلاع لبطريق اسمه سروَرَنْد بن بولش[١] ، وإنَّ يوقنًا مضى بالرسالة إليه في مائة من قومه ، فوافوا بدليس والجارية طارون هناك ، فلما رأى خيامها وزِيَّها عرفها وكان لها سرادقٌ من الديباج المدَنَّر الأزرق وحَوافّه من الذهب الأحمر . قال : فلما ورد إلى بدليس رسولًا إلى البطريق سُرُورنْد . كان البطريق عند طارون يودِّعُها ، فلما علم أن يوقنًا أقبل إليه في الرسالة صَعَد إلى قلعته حتى يسمع ما أتى به يوقنا . قال : ولما علمت طارون بقدوم يوقنا ركبت إليه وسلَّمت عليه وأخذته إلى جانب وقالت له : يا عَمِّ لا تظن أني هاربة وإلى الرُّوم طالبة ، وإنما أريد النصيحة لله تعالى ولرسوله وقد اتفق رأيي على أن أغدُرَ بأبي وأقتله وأسَلِّم معاقِلهُ للمسلمين ، وأرجو من الله في ذلك الثواب والجنة ، ولكن يا عم أشر

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧/ .
والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

عليَّ بما أصنع ، فأنت تعلمُ أن هذا الدَّرب الذي بين بدليس وأخلاط[1] عليه قلعة « قف وأنظر » وإذا أرادت العرب القدوم ، فليس لهم طريق ، فما الذي ترى ؟ وأخاف إن حصلتُ عند أبي ، لا أقدر على الرجوع إلى بعلي ولا إلى المسلمين . فقال لها يوقنًا : اعلمي أنك إذا سرت في هذه النيّة ، إن الله جلَّ جلاله يطَّلعُ على نيّتك ، ويصنع لك الخير ويُعينُك ولكن امضي على ما أنت عليه ، فإنِّي إن شاء الله لا بد ما آتي بالرسالة إليه من الأمير عياض[2] ، وها أنا أستكثر من الرجال ، وإذا حَصَلْتِ هناك ، كان لنا تدبير نصل به إلى ما نريد . ثم علَّمها ما تصنع وودَّعتْهُ وعادت إلى غلمانها . وقالت : إن هذا اللَّعين العديم العقل ما بَرِحَ يُعذِلُني أن أعود إلى دينهم وما عَوَّلت عليه من الرُّجوع إلى دين المسيح ، ولولا أني أخاف ممَّن معه ، ومن صاحب هذه المدينة أن يُعينَه علينا لكُنْتُ قبضت عليه . ثم إنها سارت تجدُّ السَّير ، وقد بعثت بعض غلمانها يُبشِّر أباها بقدومها . فارتجَّت المدينة وركب أبوها وبطارقتُه ، وساروا بالمواكب والكتائب والتقاها عند تطوانه[3] ، فلما نظرت إلى مواكب أبيها ترجَّلَتْ وترجَلَ أبوها ، وترجَّل غلمانها ومن كان من البطارقة ، وصعقوا بين يديها ، وأقبل أبوها عليها يُقَبِّلُها . وقال لها : يا بنية كيف كان أمرك ؟ فقالت : إنَّ بوغور نصب عليَّ وأخذني وقصد إلى عسكر العرب وأسلم ، فلم

---

(١) أخلاط : ويقال لها أيضا خلاط : مدينة تقع على الحدود ما بين بلاد السملمين والأرمن ويتكلم أهلها ثلاث لغات العربية والفارسية والأرمنية . وهي في طرف بحيرة (وان) الغربي وتعتبر من أهم مدن أرمينية مبنية على سهل منبسط وفيها مياه وبساتين وحصن منيع ويخترقها نهر عظيم . فتحها عياض بن غنم فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ورجع عياض إلى الجزيرة / معجم البلدان ١/ ٣٨٠ ، ٣٨١ . سفرنامة ٣٩ ، بلدان الخلافة الشرقية ٢١٨ / والأعلاق الخطيرة ٣/ ٥٤٠ ، ٥٦٤/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

(٣) تطوانه : أحد الحصون المشهورة في الطريق إلى خلاط . / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٥٦٤ .

يكن لي بد أن أرجعُ عن دينهم خيفةَ منهم ، إلى أن دخلوا ديار بكر ، فوجدتُ خلسةً فهربتُ إليك . قال : فَصَلَّبَ على وجهها وهنأها بالسلامة ، وركبَ وركبتْ وسارت الملوكُ من حولها ، إلى أن دخلا دار مملكتها ، والتقتها الجواري والخدم بين يدي أمِّها ، وترامَوا عليها وبَكَوا وبَكَتْ ، وأَخرجَت الصَّدَقات والنذور للبيع والكنائس ، وباتت تُحدِّثهم بما مرَّ لها وبحديث الملك شِهرِيَاض وأَخذِ رأس العَيْن .

فقال أبوها : يا بنية كيف تَرَيْنهم في دينهم[1] ؟ قالت : أيها الملك إن القوم يتظاهرون بالدين والعدل ويطلبون الآخرة ، وهم بخلاف ذلك ، وإنما لهم ناموسُ الدين والعدل ، لكي يرجع الناسُ إليهم ، وبالله دينُ المسيح أفضلُ وقد نذرت أني متى خلَّصني الرب من العرب ، لا أقرب قرباناً ولا آكل لحماً ولا أشرب خمراً ولا أنغمس في ماء المعمودية ، إلى أن أتعبَّدَ في بيعة يوحنا الدَّيلَمي شهرين كاملين ، فإذا أنا طَهُرْتُ من دينهم فحينئذ أُقرِّبُ القربان وأقبِّلُ الصُّلبان . ففرح أبوها بقولها . ولما كان من الغد ركبت إلى البيعة وأخلى لها موضعاً برسمها ، وأقبلت تتصدَّق على فقراء دينهم ، وتُوري النُّسك والعبادة وأقامت تنتظر ما وعدها يوقَنَّا بالرسالة .

قال : حدثني أبو محمد الفقيه الزاهد القُبَلاعي رحمه الله قراءةً مني عليه ، وهو ينظر في أصلِ كتابه في البطحاء قال : أخبرنا عبد الله بن محمد البصري بالبصرة . قال : حدثني أبو الحسن أحمد بن الفضل إمام المسجد الجامع بالأهواز[2] قال : حدثني احمد بن محمد بن الفضل الأهوازي قال : أخبرنا علي بن عبد الحميد قال : حدثنا عَفَّانُ بن حكيم قال : حدَّثنا مبارك بن فضالة عن أبي عُمر بن الجَوْني ، عن قيس بن هبيرة المازني ، قال : كنت فيمن

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٨ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

(٢) الأهواز : كورة هامة وكبيرة تقع بين العراق وبلاد فارس . فتحها المسلمون من أهل البصرة بقيادة عتبة ابن غزوان . / معجم البلدان ١/ ٢٨٥/ .

صحب يوقنّا رحمه الله حين سار بالرسالة إلى صاحب بدليس وذلك أنّه لما تحدثت معه طارون ومضت أنْفَذَ صاحب بدليس إليه[1] فاستحضره وأنا في صحبته ، فلما أتيناه وهو على سرير تكَبُّرِه فَسلَّمنا عليه وجلسنا فقال يوقنّا : إن أمير جيوش المسلمين بأرض ربيعة وديار بكر عياض بن غنم ، صاحب رسول الله ﷺ بعثنا إليك يدعوك إلى توحيد الله وتصديق رسالة نبيّه ﷺ ولك ما لنا وعليك ما علينا ، واعْتبرْ بمن سَلَفَ من الملوك أصحاب الأقاليم والعزم ، قد أصبحوا هالكين وفي الحُفَر جاثمين ، وما نفعهم سلطانهم ولا ردَّ عنهم المنونُ أَعوانَهُم ، وقد ظهر دين الإسلام واضمحلَّتِ الأديان ومضى العزُّ والإمكان ، وذَلَّت الصلبان ، وفَلَّتِ الأَقِسَّةُ والرُّهبان ، وذلَّتْ الشَّمامِسَةُ والقربان ، ولا بقي أحد إلا وهلك ، ولا سلطانٌ إلا ارتبك ، وقد جئنا إليك لتدخل فيما دخَلتْ فيه الملوك ، وأجاب إليه كُلُّ غنيْ وصُعلوك ، وما بقي في هذه الدائرة سواك ، فما الجواب ؟ فقال : أيها السيد اعلم أني كنت أريد أن أرسلَ رسولاً إلى أمير العرب في طلب الصُّلح ، يأخذُ مني شيئاً وأبقى على ديني ، فما أريد بدين المسيح بدلًا ، ومن أراد من أهل بلدي أن يرجع إلى دين القوم فلست أمنعُهُ من ذلك .

قال يوقنّا : كم تريد أن يَطيبُ قلبُكَ أن تدفع للقوم في صلحك عن بدليس وأرزن وما تحت يدك من البلاد ؟ فإني إذا أمضيتُ الصُّلح أَمضَتهُ العرب . فقال : أيها السيد أُعطيهم عن البلاد التي تحت يدي كلِّها مائة ألف دينار . وخمسمائة زرد[2] وألف قوس[3] ، وألف ثوبٍ من الديباج وخمسمائة لبس ، وألف شِهريٍّ ولا يزحزحني عن ملكي حتى أموت ، ولا يتركون عندي أحداً من قبلهم إلا رجلاً أو رجلين حتى يعلِّموا من يَصبُوا إلى دينهم وشرائع ملَّتهم ،

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٨ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٥ .
(٢) الزرد : يقصد بها الدروع .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٨ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٥ .

ويكون أمري نافذاً في أهل بلدي ، كما كنت أول مرة إلا من رجع إلى دينهم فلا حكم لي عليه . فقال يوقنّا : قد أمضينا صُلحَك ، وأتممنا عهدك قال : ومن يحلف لي ؟ . قال قيسُ بن هبيرة : أنا أعطيك عهد الله وعهد رسوله على ماذكرت . وأعطاه يده على ذلك ، وهادنَه بالمهادنة ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب قيس إلى عياض يخبره بما استقر عليه الحال . فلما وصلَ كتاب مِن قيس إلى عياض رحلَ من شوقارِيَا ، إلى أن نزل ببدليس ، فوجد البطريق قد أخرج ما وقع عليه الصلح والإقامة ، وغير ذلك . فلما قدم عياض وجد (سُرُورَنْد) قد نزل وتلقَّاهم بجيشه ، وأحسن التحية ، ومشى في ركاب المسلمين ، حتى نزلوا في مرج هناك . فلما استقرُّوا قدَّموا الأموال وكتبوا له بذلك عهداً . ونظر المسلمون من أهل اليمن وبادية العرب إلى الأرمنيات والرُّوميَّات وحُسنِهِنَّ وجَمالهِنَّ ، فمالت هممهم إليهنَّ واشتغلوا بهنَّ عن الجهاد ، وتَسَرُّوا أكثرهُنَّ ، فلما نظر عياض رضي الله عنه إلى ما فعلوا صعب عليه وكبر لديه ، فأمَرَ مواليه أن يأتوا بهم إليه ، فافترقوا[1] في طلبهم فمن أذنب منهم ذنباً أُمِرَ به ، فَأُخِذَ منه حَقَ الله وقال : « أَكُفْرٌ بعد إيمان أم ضلالة بعد برهان . أَبِهذَا أُمِرْتم ، أم لهذا خلقتم ؟ أَمَا سمعتُم ما قال من أَمْرُهُ بين الكاف والنون ، ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[2] والله لقد كنت عند رسول الله ﷺ في المسجد حال خُلْوَة إذ دخلَ أبو ذرِ الغِفاري رضي الله عنه فسلَّم ثم جلس ، فقال له النبي ﷺ : « أَرَكَعتَ »[3] فقال : لا قال : قم فاركع ركعتين فإن لكل شيء تحية ، وتحية المسجد ركعتين ، فقام فركع ثم جلس . فقال : إنك أمرتني بالصلاة فما الصَّلاة . قال : يا أبا ذرِ خيرُ موضع من شاء استكثر ومن شاء استقلل . قال : أي الأعمال أفضل ؟

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٨ .
(٢) سورة الحجرات . الآية ١٣ .
(٣) انظر الحديث في : كنز العمال / ٧/ ٢١٧٣٢/ .

فقال : الإيمان . فقال : وما الإيمان . قال : الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله . قال : فأي المسلمين أسلم ؟ قال : من سلم الناس من لسانه ويده . قال : فأي المؤمنين أكمل ؟ قال : أكملُهم أحسنُهم خلقاً . قال : فأي اللَّيل أفضل ؟ قال : جوف الليل الفائر . قال : فأي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت . قال : فأي الصدقة أفضل ؟ . قال : جَهدٌ من مُقِلٍّ إلى فقير من يُسْرٍ . قال : فأي المجاهدين أفضل ؟ قال : من عقر جوادَه وأُهريق دمهُ . قال : فأيُّ آية أنزل الله عليك أعظم ؟ . قال : آية الكرسي . ثم قال : يا ابا ذرٍ ما السمواتُ السَّبع والأرضون السَّبع في الكرسي إلا كحلقةٍ في أرضٍ فلاةٍ ، وفضل العرش على الكرسي ، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة . قال : فكم عدد الأنبياء ؟ قال : مائة ألف نبي واربعة وعشرون ألف نبي ، جمٌّ غفير يعني كثيراً طيباً . قال : فكم المرسلون منهم ؟ قال ثلثمائةٍ وثلاثة عشر . قال : كم كتابٍ أنزل الله عز وجل ؟ . قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيت خمسين وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى عشرَ صحائف من قبل أن يُنزل التوراة ، ثم أنزل الله التوراة والزبور والانجيل والفرقان . قال : فمن كان أول الأنبياء مكمَّلاً ؟ . ثم قال : يا أبا ذرٍ أربعة أنبياء سُريانيُّون آدم وشيتُ وأخنوخ وهو ادريس ونوح . وأوَّلُ من خطَّ بالقلم إدريس . وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيُّكم ﷺ . قال : يا رسول الله من كان أوَّلُ المرسلين من أنبياء بني إسرائيل ؟ قال : موسى قال : فمن كان آخرهم قال : عيسى وفيما بينهما ألف نبي . قال : فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالًا كُلُّها مثل : أيها الملكُ المغرورُ المبتلى إنِّي لم أُخَوِّلك في دار الدنيا على أن تجمع الدنيا بعضها إلى بعض إنما خوَّلتك لتردَّ عني دعوة المظلوم ،[1] فإنِّي لا أردها ، ولو كانت من كافرٍ ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن لا يغفلَ عن أربع

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٨ .

ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعةٍ يتفكّرُ في صنع ربه وساعةٍ يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بحاجته فيما يحلُّ ويجمُل . فإن في هذه الساعات عوناً على الطاعات وإجماماً للقلوب ، وحقيقٌ على العاقل أن لا يَظْعَنَ إلا في ثلاثٍ ، زادٍ في معاد ومرمَّةٍ في معاش ، ولَذَّةٍ في غير تحريم ؛ وحقيق على العاقل أن يحفظ لسانه ، ويعرف أهل زمانه ويُقبلُ على شأنه . قال : يا رسول الله ﷺ : وما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبراً وأمثالاً كُلُّها : عجبتُ لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ؟ وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح . وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يفرح ؟ وعجبت لمن رأى الدُّنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها حالّا بعد حال وعاماً بعد عام ؟ قال : يا رسول الله أفي أيدينا شيء مما أنزل الله عليك من صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ؟ قال : اقرأ ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ [الأعلى ١٤] إلى آخر السُّورة قال : أوصني . قال : أوصيك بتقوى الله فإنه جماعُ الأمر كلِّه قال : زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن واذكر الله تعالى كثيراً فإنَّ ذكره نورٌ لك في السماء ، ونور لك في الأرض »[1] . قال : زدني . قال : عليك بطول الصَّمت فإنه مطردةٌ للشياطين وعونٌ على أمر دينك ودُنياك . قال : زدني . قال : لا تأخذك في الله لومةِ لائم . قال : زدني . قال : حِبَّ المساكين وجالسهم . قال : زدني . قال : إياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب ماء الوجه . قال : زدني . قال : عليك بالجهاد فإنه رُهبانيَّةُ أمتي . قال : زدني . قال : يا أبا ذرٍ لِيَسُعَكَ بيتكَ وابْكِ على نَفْسِك ، كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال ، أن يعرف من الناس ما يَجهلُ من نفسه وأن يُعيب الناس بما يعلم من نفسه ، وأن يؤذي جليسه . يا أبا ذرٍ لا زينَ كالورع ، ولا ورع كالزُّهد ، ولا زهد كحسن الخلُق ، وإياك والخمر فإنه جماعُ الإثم ورأس البلايا ومكْمنُ الشّر ، وباب المعاصي إياك وإياك » .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ .

قال : عياض بن غنم وإنما ذكَّرتُكُم بوصية نبيِّكُم كي تعلموا صدقها وتعملوا بها ولا تفسدوا جهادكم بمعاصيكم [١] . وبعد هذا عزيمةٌ من الله تعالى ورسوله ومن خليفته في الأرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه . إنْ بلغني أنَّ رجلاً منكم ارتكب معصيةً أو شرب خمراً لأجْعَلَنَّ رأسه غمداً لسيفي هذا . ثم قرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ ، والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾[٢] . قال : فتابوا على يديه ، وصافحوه ودعا لهم وقال : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

٢ ـ فتح أرمينية وأخلاط وقف وأنظر

قال الراوي : ولما كان من الليل دخل إليه يوقنّا في حال الخفاء من الجواسيس وحدثه بأمر طارون ، وأنها قد وهبت نفسها لله تعالى ومضت لتنظر كيف تعمل حيلة في تسليم المدينة للمسلمين وقدوعَدْتُها أن أسير إليها لأعينها على ذلك .

قال عياض رضي الله عنه : على ما ذكرت ، فيجب علينا أن نطلع عليه خالداً والصحابة .

فقال يوقنّا : افعل ما فيه الصواب . قال : فاستحضر عياضٌ لخالدٍ ومعاذٍ وقيسٍ والمسيب[٣] بن نجبة ، وعمرو بن معدي كرب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهم أجمعين وحدَّثهم بالحديث . وقال : ما ترون من الرأي ؟ فقال خالد : أصلح الله الأمير ، إذا كان الأمر على ما ذكرت ؟ فابعث

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ .
(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(٣) المسيب بن نجبة : ابن سعد ، طبقات ٤/ ٢٩٢ و٦/ ٢١٦/ .

يوقنّا رسولًا ونحن معه ، فإذا حصلنا هناك رأينا الأمر وجوهاً ، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب . قال عياض : فَعوِّلوا على بركة الله وعَونهِ ، وامضُوا رسُلاً إلى صاحب أخلاط[1] .

قال الراوي : فَشَدُّوا على أنفسهم وساروا صحبه يوقنّا ، وهم خمسة وثلاثون من الصحابة وعشرون من غلمان يوقنّا ، وساروا مُجدِّين إلى أن أتوا إلى أخلاط ونظرت إليهم الأرمن والروم فعرفوا أنهم رسلٌ من العرب ، فأعلموا الملك يوسطينوس[2] بقدوم أصحاب رسول الله ﷺ فأمر بإحضارهم إلى مجلسه فخرجت البطارقة والحجاب إلى باب روما[3] وهو باب بدليس ، فوجدوهم هناك قياماً على خيولهم ، فقالوا لهم : إن الملك قد أمر بحضوركم إلى عنده . قال : فمَضوا إلى باب دار الإمارة فأوقفوهم هناك ، ودخلوا ليستأذنوا لهم فأذن لهم ، فدخلوا فلما توسَّطُوا الدهليز أراد الغلمان أن يُزيلُوا سُيوفهم عن عواتقهم . فقال خالد : إنَّا قومٌ لا نسلِّم عزَّنا لغيرنا ، فإن الله تعالى بعث نبيَّنا ﷺ بالسيف ، وقد قلَّدنا إياه فَلَسْنَا نزيل ما خصَّنا الله به ورسوله . فدخل الحجَّاب إلى الملك وحدَّثُوه بما دخل منهم . وقالوا : ما يدخلون إلا بسيوفهم . فقال الملك : فكأنَّا أمرنا بخلع سُيوفهم وسلاحهم خيفةً منهم وإنما هو ناموس الملوك ، وإذا أَبَوا ذلك فدعوهم ، وما اختاروا لأنفسهم . قال : فخرج الحُجَّاب ودخلوا بهم إليه فلما وقعتْ أعيُنُهم عليه سلَّمُوا بتحية الإسلام ، وجلسوا على الأرض كأنهم السِّباع ، وكلٌّ منهم قد جعل يده على قائم سيفه ، وكان الملك يوسطينوس قد بلغه ما هم عليه من الدِّين والزُّهد في الدنيا فأوصى أصحابه أن لا يزعقوا عليهم ولا يأمروهم

---

(١) أخلاط : انظر ص٢٠٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

(٣) باب روما : باب بدليس أحد أبواب خلاط / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٥٥٣ .

بالسُّجود ، فإنهم لا يجيبون إلى[1] ذلك ، وربّما يكون إخراقاً بناموس الملك ، فلما استقر بهم الجلوس تكلم ترجمان الملك[1] . وقال : يا هؤلاء لمَ أتيتم إلينا وقدمتم علينا ؟. فقال يوقنّا : أمير جيوش المسلمين بأرض ربيعة[2] وبدليس بعثنا رُسُلاً إليكم ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتدخلون فيما دخل فيه كافة الناس . أو تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون . قال : فأعلم التُّرجمان بما قال يوقنا .

قال : حدَّثنا محمد بن أحمد بن النضر الأزدي . قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثني زائدة بن قدامة . وربّما أنه لم يكن ترجمان بين يوقنّا وبين صاحب خلاط ، وإنّما كان المتكلم بالرُّومية يوقنّا وهو لسان القوم .

قال الحسين بن حميد بن الربيع . حدَّثنا مالك بن إسماعيل النَّهدي ، قال : حدثنا عبد السلام بن حرب . قال : كان الترجمان بينهم حاجبه لأنَّ نَسْطُورِس كان أرمنياً لا يتكلم إلا بلسان الأرمن . قال الراوي : وكان يوقنّا روميّاً وأحدهما لا يُحسن بلسان الآخر وهذا هو الأصح .

قال الراوي : فلما بلَّغ الحاجب الرسالة من يوقنّا للملك صعب عليه وغضب ، وقال : وحقِّ ديني وحقِّ الإنجيل ، وما فيه من التحريم والتحليل ، لا أطعناهم ولا دخلنا في ملّتهم أو نموت عن آخرنا ، وإن الذين لَقَوا هؤلاء العرب لم يكونوا من رجالنا ولا من جنسنا ، ولسنا مثل جيش الرُّوم ، بل لنا الشِّدة والبأسُ والقوة والمراسُ ونحن نرمي عن الأقواس بالنشّاب[3] ، والعرب

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ .

(٢) أرض ربيعة : بلاد واسعة في الجزيرة ، وقصبة مدنها نصيبين ومن مدنها وآمد ودارا وراس العين وكثير من القرى والقلاع / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٥ ، المسالك والممالك ص٩٥ ، معجم البلدان ٣/ ١٠٢ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ .

تسمّيه قاطعُ الأسباب ، وها أنا أبعث إلى صاحب خَوَى[1] وسلواس[2] . وهو (البَرنَجمُ بن قالا) ، ونستنصرُ عليهم باسْلاغُورس ابن ميخائيل ملك[3] الكرج ، ونردُّهم على أعقابهم ونستخلصُ البلادُ من أيديهم ، وليس لهم عندنا غيرُ هذا . قال : فَبَلَّغَ الترجمان ليوقنّا ما تكلم به الملك . فعند ذلك قال يوقنا لترجمان الملك : قل لصاحبك يأذنِ لنا في الإنصراف لِنُعلم الأمير بالجواب . قال : فحدَّث الترجمان الملك بما قال يوقنّا . قال : قد أذنتُ لهم في ذلك ، ولكن يباتُوا عندنا الليلة وغداً ينصرفوا . ثم أمر بهم إلى موضع ينزلُوا فيه . فخرجوا من عنده إلى الموضع الذي أعدُّوه لهم ونزلوا فيه ينتظرون ما يكون من أمر الجارية طارون . قال : فلما خرجت الصَّحابة من عند الملك ، ركب من ساعته إلى بيعة يوحنا وجاء إلى ابنته ، فقال : يا بنية إن العرب قد وجَّهوا إلينا رجالًا رسُلاً منهم ، وقالوا : كذا وكذا وأجبتُهم بكذا وكذا . فما ترين من الرأي .؟ فقالت : أيها الملك وأين هم ؟ قال : عَوَّقتهم هذه الليلة حتى أشَاوِرَك في الأمر . فقالت : أريد أن أرى هؤلاء القوم ، وأنظر من هم من المسلمين ، فإنه لا يخفى عليَّ منهم أحدٌ ، فإن كانوا من وجوه العرب والأمراء فدعني أتحدث معهم ، واسائلُهُم وسوف أُطيِّب قلوبهم أنَّكَ تدخلُ في صُلحهم وأُطْمِعُهم في ذلك[4] . فإذا اطمأنُّوا، إلى ذلك ، أَمَرْتُك بالقبض عليهم ، وأتركُهُم في دار الإمارة ، حتى لا يكون لهم خلاص ، فإذا قبضتَ عليهم ، نَفِّذ إلى صاحبهم أنَّك متى تقدمت إلينا مرحلةً واحدةً نَفَّذتُ برؤوسهم إليك ، فإذا سمع بذلك لم يتقدم ويقع الصُّلحُ على أن تسلِّم إليهم أصحابهم ، وينصرفوا

---

(١) خوى : إحدى نواحي الجزيرة ، تبعد عن تكريت مسيرة يومين ومثلها عن مدينة ماردين انظر مدينة ماردين ص٣٣٢ / وفتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ .
(٢) سلواس : إحدى قلاع أرمينية الهامة / فتح الشام للواقدي ٢/ ١١٢/ .
(٣) الكرج : قوم يسكنون جبل القبق وبلد السرير / معجم البلدان ٤/ ٤٤٦/ .
(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٩ .

عنك وعن قتالك وليس رأيٌ أَوفقُ من هذا . قال : يا بنيّة المسيح يُطوّلُ عمرَكِ ويرفع قدرك ، قومي بنا إليهم وأشرفي عليهم ودعي هذه البيعة والزمي البيعة التي لنا في دارنا ، فإنّك كلما أقمت ها هنا كان إخراقاً بنا ، وإن كان مقصودُكِ العبادة ، فالعبادة حيث كُنتِ . فلما سمعت قوله قالت : لستُ أبرح من ها هنا أو يأمرني بِترَك هذه الأرض . قال : فبعث الملك بعض حجابه فأتاهُ بالبترك . فلما جاءه قام إليه الملك وعظّمهُ وأَجلَسَهُ إلى جانبه وحدّثه بقصة ابنته . فقال لها البترك : أنا أذنتُ لك أن تتعبدي حيث شئت ، وقد استوهبت ذنوبك من المسيح وغفرت لك . قال : فقبلت يده وأعلى وجهه ودعت له ، وقُدِّمَ لها بعض مراكيب أبيها ، فركبت ، ومضت إلى الدَّار التي نزل فيها أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم يدخل سواها وابوها . فلما نظرت إلى يوقنّا فرحت واستبشرتْ . وقالت : أيها السَّيد إن أبي جاهلٌ بأموركم[1] ، وحقِّ ديني ما رأيت منكم إلا خيراً ، وسوف أُجاريكم على ذلك . ولولا محبةُ الوطن والمسيح ما كنت فارقتكُم ساعةً واحدةً . ثم خرجت ومضت مع أبيها إلى قصرة . وقالت : أَبَشِّرُكَ بما يَسُرّك ، إن هؤلاء القوم هم وجوه عسكر المسلمين ، والذي عليه زيّ الروم هو يوقنّا بِطْرِيقُ حلب الذي طرده المسيح عن بابه ، والرّأي أن تطلبهم إلى هذه الدار ثم نقبض عليهم من حيث لا يقف أحد على سرِّنا .

قال : ففرح بقولها وبعث حُجّابه ، فأتوا بأصحاب رسول الله ﷺ ويوقنّا وأنزلُوهُم في بعض الحُجَر .

قال الواقدي رحمه الله : وكان أصحاب عمل أبيها من البطارقة والمقدّمين ، من أهل القلاع والحصون ، قد أتوا بأجمعهم يُهنئون الملك برجوع ابنته وسلامتها ، وعَودِهَا إلى دين المسيح . قال : ولما كان بعد ثلاثة

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠ .

أيام قالت طارون لأبيها : من الصَّواب أنه إذا كانت هذه الليلة نسير أنا وأنت ونجلس عند القوم، ونأكل معهم ونؤنسهم هكذا ليلتين أو ثلاثاً حتى يطمئنوا إلينا ، وبعد ذلك تقول لهم : أريد أن أُشاورَ أرباب دولتي في أمركم ، فإما نصالح أو نؤدي الجزية أو نقاتل ثم نبعث لهم طعاماً مبنجاً فإذا حكم عليهم النوم قبضنا عليهم وفعلنا ما أشرت به عليك . قال : ففرح أبوها بقولها ، فلما جنَّ الليل جاءت مع أبيها وتحدثت معهم ساعةٌ واحدة ثم انصرفا جميعاً فلما كان من الغد خرج أبوها وقعد على سريره [1]، ودارت به أرباب دولته ، وأقبلت طارون إلى يوقنّا . فقالت : إذا جئت الليلة مع أبي فدونكم وإياه ، ولا تهملوه فإنه اتفق رأيه على كذا وكذا . فشكروها على فعلها .

ومضت عنهم فلما كان من الليل جاءت إليهم مع أبيها ، فتقدمت كأنها تحجبه وأشارت أن لا تعجلوا عليه بالقتل وامسكوهُ . قال : ثم تحدثوا ساعة وخرج الملك وطارون معه ، فلما استقرت في حجرته الخاص . قال لها : يا بنية أما ما ذكرت من أمر القبض على العرب في هاتين الليلتين أو ثلاث فليس بالصَّواب ، وذلك أنيّ أريد أن أجمع الملوك والولاة وكل من هو تحت يدي ، من سائر البلاد في البيعة المكرمة وهي بيعة يوحنا ، وأولئك على سائر بلادي ونأخذ لك عليهم عهداً ، واستحلفهم أن لا يخامروا عليك ، وأعطيهم المال والرجال والعُدَدْ نُقَوِّيهم ونبعث الأموال والخزائن والذخائر إلى قلعة يَرْقَيُوس[2] فإنها أَمنعُ قلاع الأرض وأحصنها .

قال الراوي رحمه الله : وهذه القلعة التي ذكر وسْطَ بحيرة أرجيش[3]

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠ .

(٢) قلعة يرقيوس : قلعة منيعة حصينة مبنية في وسط بحيرة أرجيش / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠/ .

(٣) بحيرة ارجيش : تقع في بلاد أرمينية قرب مدينة خلاط / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠/ .

لا سبيل لأحد عليها ، ثم إني إذا ولّيتُكِ أطلقتُ هؤلاء العرب ، ثم أقاتلهم فإن هزمتهم كان المراد ، وإن هزموني كان لي أسوة بالملوك وبمن قتلوه ، وقد أرسلت إلى الملك دَرْفشيْل بن لاوِزْ صاحب أَرْزُن[1] الروم أن يقدم إلي بجيوشه جميعاً ووعدته بزواج أُخْتِك (مَارونْ) فما ترين من الرأي ؟ قالت : أيها الملك فإذا عزمت على هذا الأمر ، فلا تترك هؤلاء العرب حتى تجتمع العساكر كُلّها ويقدم الملك دَرْفَشيل كما ذكرت بجيوشه ، ولا يتخلف أحد ، فعند ذلك أطلق العرب ، فإذا ساروا من عندك إلى أصحابهم ، أسير بالجيوش في إثرهم واكبس عليهم جيشهم .

قال : يا بنية ليس هذا رأياً جيداً أن نتركُهم من أيدينا ، بل نبعث إلى صاحبهم نقول له : إنهم مُكرمَون عندنا ، وقد اتفق أن نجتمع يوم عيدنا ، وندبّر أمرنا ، فإمّا نصالحكم بأداء الجزية وإما نقاتلكم وينصر الله من يشاء . ونأمرهم أن يتقدموا إلينا إلى مرج وسْطَان[2] ، فهو مرج واسع للّقَاءِ ، أو نأمر العساكر أن تضرب معهم مصافاً وندور من حولهم والبلاد بلادنا ونحن أخبر بها منهم ونَسدُّ عليهم الدُّروب فما ينجو منهم أحد ، وبعد ذلك نسير بالجيوش ونأخذ ديار بكر وأرض ربيعة ، فلا يبقى فيها ملك سوانا . فقالت طارون : افعل ما تشاء فأَنا بحكمك ثم تركته وانصرفت إلى موضع منامها . فلما علمت أنَّ أباها قد أغلق بابه تَسَللت وأتت أصحاب رسول الله ﷺ وحدثتهم بما كان من أمره وما اتفق عليه رأيه .

قال خالد رضي الله عنه : إن الله سبحانه وتعالى يهيىء أمورنا من غير

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠ .

(٢) مرج وسطان : سهل فسيح في أرمينية بالقرب من مدينة وسطان التي تقع على حافة بحيرة أرجيش (وان) . وفيه دارت معركة هامة بين المسلمين والروم وحكام أخلاط . / تقويم البلدان ٣٩٦ ، ٣٩٧/ .

تعب ، وإنه سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً هيأ أسبابه[1] .

فقال يوقنّا : وكيف ذلك يا صاحب رسول الله ﷺ ؟. قال : نعم ، إن أمورنا بحمد الله منوطة بالنَّصر ، وقد كفانا الله تعالى بكرمه أمر ديننا ودنيانا وعاقبة الصبر محمودة والعجلة بالخذلان مردودة ، ومن صبر قَدِرْ ومن تأنَّى ظفر ، واعلموا أن هذا الرجل قد عوَّل أن يجمع ملوك هذه الأرض وجيوشها ، ويُعوِّلُ على لقائنا ؛ والصواب أنَّا نصبر حتى يجتمعوا ، ويأتي صاحب أرزن الروم ؛ فإذا اجتمعوا كان لنا تدبير على أخذ القوم إن شاء الله تعالى . فقالت طارون : والله لقد صدقت يا صاحب رسول الله ﷺ ، وعليَّ إن شاء الله تعالى أن أجعل الملك في أيديكم ، فإن أبى لا يقدر أن يُولِّيني إلا في البيعة بمحضر من أصحاب القلاع والحصون والولاة ويأخذ العهد عليهم ، ولنا بعد ذلك تدبير ندبِّره ، وإن أتى صاحب أرزن الروم فهو تمام السعادة ، ولعلَّنانقبض على الكلّ ويسير العبد الصالح بزي صاحب أرزن الروم فهو تمام السعادة فلعله يملكها إن شاء الله تعالى . ونكون قد أظفرنا الله تعالى بالأرب ، وأنزلنا بأعدائنا العطب .

قال : ثم انصرفت من عندهم .

قال : حدثني صالح بن عمران قال : حدثني هارون بن معروف عن عبد الرحمن بن عوف بن الحسن عمن حدَّثه . قالوا جميعاً : أو من قال منهم : إنه لما اتفق رأي يوسطينوس الملك[2] صاحب أخلاط وبلاد ارمينية على ما ذكرنا ، وإنه لما أصبح بعث إلى سائر عُمَّاله وولاة الحُصون ليحضرهم عنده فجاؤوا جميعهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ ، وجاء دَرْفَشِيْل بن لاوز من أرزُن الرُّوم بعسكره ، وكان اجتماعهم في أيام عيدهم الكبير ، وزُيِّنت البيعة وأُسبلَتْ

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٠ ، ١١١/ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١١ .

سُتُورها وعُلِّقَت قناديلُها ، وجاءت الأقِسَّة والرهبان من كل جانب ومكان ، وحضروا في البيعة وصلُّوا وقرَّبُوا القربان ، فلما فرغوا من صلاتهم جلس الملك على سريره وابنته إلى جانبه ، قال للملوك والبطارقة : اعلموا أني ما جمعتكم إلا لأمرٍ أعرضهُ عليكم ، يكون فيه ثبات ملككُم ودينكُم ، وقد عوَّلتُ على أني أُوَلِّي أمركم إلى الملكة طارون ، فإنها كما علمتم من الشجاعة والبراعة والتدبير في الحرب ولقاء هؤلاء العرب ، فإن قضى الله بأمر تكون هي ملكة أمركم والخليفة فيكم . قال : فلما سمعوا قوله ، قاموا بأجمعهم وصعقوا له وقالوا : نِعمَ الرَّأيُ رأيتَ أيها الملك فأنجز أمرك . فعندها وثب قائماً وأزال التاج عن رأسه ، وألقاه على رأسها ومسك بيدها ، ووقف عن يمينها يحجبها ، ووقف درفشيل عن يسارها ، وصقع لها الملوك وأعطوها البيعة ، وتقدمت الأَقِسَّة والرُّهبان وأخذوا عليهم العُهود والمواثيق فأجابوا وأطاعُوا ، ثم بعد ذلك[1] زَوّجوا (فارون) بولد دَرْفَشيل صاحب أَرْزُن الرُّوم ، ثم خرجوا من البيعة إلى قصر الملك وأكلوا السماط وخُلع عليهم وزُينت المدينة ، ثم ضربوا خيامهم بظاهر المدينة وعوَّلوا على لقاء العرب .

قال : حدثنا عبد الله بن روجا قال : حدثنا إسرائيل بن إسحق عن أبي الأخوص . قال : بلغنا أن عياض بن غنم رضي الله عنه ، لما وجه خالداً وأصحابه إلى يُوسطينوس ملك أرمينية وأخلاط ، واستبطأهم ساءت به الظنون فارتحل من بدليس بجيوشه ، إلى أن نزل بمرج وسطان من أرض أرزن ، ووجَّه عيونه إلى أخلاط ، فغابوا عنه أياماً ثم عادوا يخبرونه ، أنَّ الملك قد ولَّى ابنته طارون في المملكة ، وعقد التاج على رأسها ، وقد بايعها سائر الملوك ، وقد زُينت المدينة لأجل ذلك ، وقد قدم من أرزُن صاحب الروم وزوَّجَ ابنهُ بابنةِ صاحب أخلاط أخت طارون والقوم قد عَوّلوا على لقائك .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١١ .

قال : فلما سمع عياض ذلك من عيونه . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، غرَّرنا بأصحابنا ورب الكعبة . قال المسلمون : وكيف ذلك يا صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، أصحابنا مَضَوا لأمرٍ يَأْمُلُوهُ وقد انْفَسَدَ عليهم ذلك . فقالوا له : اتَّق الله وتوكَّلْ عليه ، فإن الله لا يُضيعُ أجر المُحسنين ، وما كان الله سبحانه وتعالى يتخلى عن نُصرَتهم ، وقد توجَّهوا لإعزازِ دينه ونُصرة شرع نبيِّه ، فهو تعالى لا يُخلفُ الميعاد[1] قال جلَّ جلاله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[2] وأنت تعلم أنه من أصبح وجب عليه أربعة أشياء : أولها أن لا يخاف إلا الله ، والثانية أن لا يرجو إلا الله ، والثالثة أن لا يطيع إلا الله تعالى ، والرابعة أن يتوكل على الله تعالى . فقال عياض : توكلنا على الله تعالى وفوَّضنا أمرنا إليه .

قال الواقدي رحمه الله : وهؤلاء يريدون وقد قُضي ما يكون ، وذلك أَنَّ عياضاً أقام على وسْطَان عشرة أيام ، فمرض وأقبل الصحابة يعودونه . فقال : إذا أراد الله بعبده خيراً زَارَه ، ولقد كنت عند رسول الله ﷺ تحت شجَرةٍ ، وهو جالسٌ على كساءٍ فذكر الأسقام والأمراض وقال : « إنَّ[3] المؤمن إذا أصابه السُّقمُ ثم عُوفيَ ، كان كفارةً لما مضى من ذنوبه ، وموعظة فيما يستقبل ، وإن الكافر إذا أصابه السُّقم ثم عُوفي ، كان كالبعير عَقَلَهُ أهله ثم أرسلوه ، فيما لا يدري لماذا أرسلوه » . فقال رجل ممن كان قاعداً : أما أنا فما أصابني سُقمٌ قطُّ . فقال النبي ﷺ : « قم عنَّا فلست منا »[4] فبينما نحن في الحديث إذ أتاه رجل معه أفراخ طائرٍ قد ألحف[5] عليهن بكسائه . قال : يا رسول الله إني لما

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١١ .
(٢) سورة الروم الآية ٤٧ .
(٣) انظر الحديث في : كنز العمال / ٣/ ٦٦٨٦/ .
(٤) انظر الحديث في : كنز العمال / ٢/ ٤٦٦٩/ .
(٥) ألحف : تغطى بالثوب ، واللحاف : ما يلتحف به .

رأيتك مقبلاً مررت بِغَيْضة ذات شجر ملتف ، فيها أصوات أفراخ طائر ، فجئت فأخذتُهنَّ في كسائي ، وأقبلت بهنَّ فاستدارت أمهن على رأسي ، فكشفت لها فوقعت أُمُهنَّ بهنَّ وها هُنَّ معي[1] . فقال رسول الله ﷺ : « ضَعْهُنَّ فَوضعهنَّ فقال النبي ﷺ : لا تعجبُوا لأُمّ أفراخٍ لأَفراخِها فوالله إن الله أرحمُ بعبده المُؤمن من أُمِ الفِراخ بفراخها ، فارجع بهنَّ فضعهنَّ في موضع ما أخذتهُنَّ » .

قال الواقدي رحمه الله : وعُوفي عياض بن غنم رضي الله عنه ، فبينما نحن فرغنا من الحديث وإذا هو قد ركب مع وجوه أصحابه ، يسير وقلبه مشغول من جهة خالد وأصحابه ، وإذا قد أقبل سعيد بن زيد وهو ينادي : الرجال الرجال ، الوغى الوغى العجل العجل ؟ .

فأسرع إليه عياض رضي الله عنه وقال : ما بك يا ابن زيد ؟ قال : الحق خالداً ومن معه فقد وقَعُوا في بحرٍ لُجي ليس له ساحل . قال : فلما علم عياض بذلك عن القوم من سعيد امتقع لونه وتزعزع وقال : ياصاحب رسول الله وكيف ذلك ؟ . قال : أيها الأمير اعلم أن الجارية طارون ، لما ولَّاها أبوها وبارك فيها . استعجلت على الملك فقتلته ، وبعثت إلى الملوك بالليل على لسان أبيها وأحضرتهم فقتلتهم ، فاطلع على سرِّها أحد الغلمان ، فمضى إلى الولاةُ والبطارقة وحدَّثهم بما جرى ، فلسوا السلاح ، فلما كانت بالأمس ركبت في جيش أبيها إلى الميدان ، وركبنا لركوبها فما أَحسَسْنَا بالقوم إلا وقد حملوا علينا . وقالوا : أظننتم أن المسيح يغفل عن أمركم ولا يؤاخذكم بذنوبكم ، وقد أمكن الصليب منكم . ثم همُّوا بأخذنا فقاتلناهم قتالًا ما سُمِعَ بمثله[1] . وملأنا الأرض من قتلاهم ، فلما جنَّ اللَّيلُ ، ووضعت الحرب أوزارها ، وانفصل الجيش مع دَرْفَشيل بن لاوي صاحب أُرزُن الروم ، وبقي مع الجارية نفر يسير من غلمانها وغلمان أبيها ، وقد فاضت عليهم النِّعم والخلع ، وبعثت

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١١ .

إلى الأرمن والروم تقول : إنما فعلت ما فعلت شفقةً عليكم وصوناً لحريمكم ، لأنهم أرادوا أن يقبضوا على هؤلاء العرب ويقتلوهم ، وكان أصحابهم لا يتركون منكم مُخبِّراً ، فلما بلغهم رسالتها قال العقلاء منهم : لقد فَعلتْ معنا الجميل . وقد أجابها من القوم خمسة آلاف فارس ، وقد تركْتُ المصافَّ قائماً وجئتُ إليكم مُستنفراً . فلما سمع عياضٌ قول سعيد أمر الناس بالرَّحيل . وساروا عدواً أو خبباً إلى أن أشرفوا على القوم والحرب قد قامت على ساقها . قال : فكبر عياض وكبر المسلمون وحملوا على القوم ، وعمل الحسام فَفَلَّق الهام وهشِّمت العظام واشتدَّ الزِّحام ، وصبر الكرام وذاقوا طعم الحِمَام بالطعن العتيق والضرب الوثيق ، وعملت الصوارم عمل الحريق ، وجرت الدماء على الأرض مثل الوابل على الشَّقيق[1] ، واجتمعت المواكب بعد افتراقها ، وقامت الحرب على ساقها ، وجرت دماء الأبطال على أطواقها ، وطارت الرؤوس عن أعناقها ، وفاضت الدماء بإهراقها ، واسودَّت الأقطار من مطالع إشراقها ، وحجبت الشَّمس المبرزة بعد اشراقها ، ولقد قاتل خالد وأصحابه رضي الله عنهم قتالًا ما سمع بمثله[2] ، وفعل أصحابه كفعله ، واتبعوا في الجهاد جادة سبيله ، وسمعوا تحريضه على القتال وقوله ، واشتاقت نفوسهم إلى لذيذ وصله ، وقالوا : لعلَّ الله يَمُنُّ علينا بجميل فضله فقد وعدنا بذلك من له المنَّة وقال : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾[3] .

قال الرَّاوي : ونزلت سيوف الصحابة على رؤوس الأرمن والروم ، مثل نزول الصواعق ، واشتدت عليهم الطرائق وحقت الحقائق ، ونزل عليهم البلاء من الخالق ، ونزل على المسلمين النَّصرُ من رب المغارب والمشارق ، فلم

---

(١) الشقيق : جمع شقائق وهي نوع من الورود الحمراء .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ .
وانظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٥ .
(٣) سورة التوبة الآية ١١١ .

يزالوا كذلك حتى انقشع الغبار وزال القتار[1] ، وأقبل الليل يؤُبُّ[2] النهار ، وقد كثر جرحى الصحابة من سهام الأرمن وهلكت خيولهم ، فلما انفصلوا افتقد بعضهم بعضاً ، ففقدوا مائة وعشرين رجلاً من بادية الأعراب ، وافتقد معاذ بن جبل ولده فلم يجده ولما جنَّ الليل دخل رجال من المسلمين لموضع الوقعة فوجدوا ابن معاذ وإذا هو يجود بنفسه ، وقد نالته الجراح فحملوه إلى رَحْل معاذ بن جبل ، فوضعوه على الأرض فقعد معاذ عند رأسه ، فقال عبد الرحمن بن غنم أخو عياض : فلما رأيته يجود بنفسه بكيت وانتحبت .

فقال : مه فوالله لقد سرَّني أن لا يسخط عليَّ ربي ولو أن لي مثل أُحُدٍ ذهباً وما يعلم الله بحسن رضائي ، فهذا أحبُّ إليَّ من كلِّ غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ[3] . فقال له ابنه : يا أبت قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . ستجدني إن شاء الله من الصابرين . ثم وجب الحق فأغمض عينيه . وقال معاذ لأهله : عجِّلُوا جهازه ، وذلك حين أذَّن المؤذن لأذان الظهر فما انصرف أهل العسكر من صلاتهم إلا وقد كفن في درعه وهو مضمخ بدمائه . وجاء الناس من كل جانب ومكان من جوانب العسكر فوجدوه وقد دفن . فقالوا : رحمك الله أَلَا انتظرتنا حتى نحضر جنازته ؟ قال : ليس ذلك من السُّنة ، وأن التأخير بالجنازة من أفعال الجاهلية ، وقد كنا نُنْهى أن نبطئ بموتانا في دفنهم في ساعات الليل والنهار . قال : فلما انتهى به إلى قبره قام وسطه فصلى عليه ، ثم دخل حفرته مع رجل أظنه شرحبيل . قال عبد الرحمن بن غنم : فقلت : أنا الثالث . قال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون ، ثم ذهب ليخرج من لَحدِه فناولته يدي فأبى . قال : والله ما تركت ذلك لفضل قوة عندي ، غير أني أخاف أن يظن الجاهلية أنه استرجاع منى ، ثم رجع إلى رحله

---

(١) القتار : غبار المعركة .

(٢) يؤبُّ : يتلو .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ .

وأهله واستدعى بِغُسل فغسل رأسه ولحيته واندهن واكتحل ، ثم دعا ببردة فلبسها ، وخرج إلى خيمة عياض بن غنم رضي الله عنه وهو يكثر من الابتسام والتكبير[1]. ليس به إلا ما يَسْلَيه عن ذلك ثم قال : يا بني هنيئاً لك ما أبدلك الله به . قال عبد الرحمن : قلت : وما ذاك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات[2] له ابنْ وكان به ضنيناً وكان عليه عزيزاً فحسن عليه عزاؤه ولم ير منه شيء في قضاء الله تعالى إلا غفر الله عز وجل له وللميت ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله وزوجه الله من الحور العين ، وإن كانت بنتاً زوّجها الله من الشهداء »[2] . وأوجب الله للمصاب الصلاة والهدى والرحمة وكتب من الشاكرين ، وجاور أيوب عليه السلام في الجنة ، فيقول الميت ﴿ ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ [يس : ٢٧] وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيكم أصابته مصيبة فخرق جيباً خرق الله دينه ومن لطم خداً حرَّم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة ، ومن دعا عليه ويلاً احتجب الله من دعائه ، ولم ينظر إليه في الموحدين حيّاً ولا ميتاً ومن أقام عليه نائحاً كان حقاً على الله تعالى أن يسوق أصحاب المصيبة والنائحة ومن حضرهم على ذلك حتى يقذفهم في النار مع المنافقين في الدرك الأسفل ولم يجدوا لهم نصيراً » .

قال الراوي : فعزَّاه عياض والمسلمون . فقال : قد فعلت ثم تلا : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[3] . قال الواقدي رحمه الله : ولما كان من الغد ركب المسلمون يطلبون الجهاد ، وإذا بكتيبة من الخيل قد أقبلت بلا سلاح ، فلما قربوا من المسلمين ترجلوا وقصدوا الأمير فابتدر إليهم يوقنًا ، وقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن أصحاب أرزن الروم وهذا مقدَّمُنا ، وأشاروا

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ .
(٢) انظر الحديث في : كنز العمال / ٣/ ٦٦١٤/ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١/ .

إلى شيخ حسن الوجه منهم ، فخاطبه يوقنّا بالرومية وقال له : الله دلَّني عليك وقد بتُّ البارحة على نية القتال[1] ، فرأيت المسيح بن مريم في نومي ، وهو يأمرني باتباع دينكم ، وقال : نبيُّ هؤلاء العرب هو الذي بشّرتُ به وبقدومه ومن رغب عنه فليس مني . قال : فلما سمع يوقنّا قوله ترجَّل هو ومن كان معه ، ومشَوا بين أيديهم إلى قبة عياض رضي الله عنه وحدَّثه بما جرى . فقام إليه عياض وصافحه وكذلك المسلمون . ثم حدَّث عياضٌ مثل ما حدَّث يوقنّا ثم أسلم هو ومن معه ، ففرح المسلمون والجارية طارون بذلك ، وسلّمت إليه أختها ليسير بها إلى أرزن الروم ، ويسلِّمها إلى ولده ، ونفَّذوا معه عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الراوي رحمه الله : والعشرة : رواحة بن عبد الله ، وسلامة بن عدي ، والمرقالُ بنُ الأكوع[2] ، ويحيى بن خويلد[3] وجرير ابن صاعد[4] ، وعبد الله بن سبرة[5] وسهل بن سعد[6] ، ومصعب بن ثابت[7] ، وحازم بن معمر[8] ، وأبو نمير ابن بشّار .

قال الراوي : وودع درفشيل عياض بن غنم والمسلمين والعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وسار حتى أتى إلى أرزن الروم . وخرج أهل المدينة إلى لقائهم فلما استقر بهم الجلوس ، عَرضَ درفَشيل الاسلام عليهم وحدَّثهم بما رأى في نومه .

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ .
(٢) المرقال بن الأكوع : لم أعثر له على ترجمة .
(٣) يحيى بن خويلد : هو يحيى بن خالد الصحابي . وخويلد تصحيف / ابن مسعد الطبقات ٥/ ٤١٤/ .
(٤) جرير بن صاعد : انظر جمهرة النَّسب ٢٩٩ ، ٣٨٠ .
(٥) عبد الله بن سبرة : ابن سعد ، الطبقات ٧/ ٥٨ .
(٦) سهل بن سعد : ابن سعد ، الطبقات ١/ ٤٥٤ و٢/ ٣٧٦ .
(٧) مصعب بن ثابت : ابن سعد ، الطبقات ٥/ ٢٩٩ .
(٨) حازم بن معمر : انظر أسد الغابة ١/ ٣٦٠ .

قال الراوي : فأسلم أكثرهم وأقبل العشرة أصحاب رسول الله ﷺ . يعلِّمُونهم القرآن وشرائع الإسلام[1] .

قال : وسلَّمت القلاع التي كانت لأخلاط والقلاع والمعاقل للمسلمين ، فمن أهلها من أسلم ومنهم من أقام على الجزية من العام المقبل ، وبعث عياض بن غنم رضي الله عنه إلى خوى وسلواس وما يلي تلك الأرض ، فأسلم أهلها إلا القليل وبعث لهم رجالًا من المسلمين يعلِّمونهم الشرائع ثم إن عياضاً رضي الله عنه أمَّرَ طارون على أخلاط .

قال : حدثنا عبد الله . قال : حدثنا يزيد بن عبد الله . قال : حدثنا يزيد بن موسى القرشي . قال : حدثنا أحمد بن منصور الحشمي . قال : حدثنا عمرو بن قيس . عن عطية بن سعد ، قال : أخبرنا يوسف بن خالد قال : حدثنا موسى بن سالم عن عقيل الجعدي عن أبي إسحق الهمداني . قالوا جميعاً أو من قال منهم : أنه لما فتح الله ديار بكر وأرمينية وأخلاط على يدي عياض بن غنم ، بعد فتوح أرض ربيعة أرسل عياض بن غنم في طلب الغلام بوغور ، زوج طارون صاحب كفرتوثا ، فلما قدم قلده أرمينية له ولزوجته طارون وأخذ عليهما موثقاً من الله تعالى أن يحكما بالعدل ، وأن يتبعا الشريعة البيضاء . وأن يأمرا بما أمر الله به ورسوله . ففعلوا ذلك . فلما ارتحل عياض بن غنم رضي الله عنه من أرض أرمينية . بعد أن بعث أفْلَح[2] مولى رسول الله ﷺ ، ومائة رجل إلى بلاد العراق . حتى يدعوا الناس إلى الإسلام وواعدهم بالاجتماع على أرض نينوى[3] .

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٢ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .
(٢) أفلح : مولى رسول الله ﷺ روى عنه أحاديث كثيرة . / الاصابة ١/ ٥٧/ .
(٣) نينوى : انظر الصفحة ٢٣١ .

الفصل الخامس

فتح حصون ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة

قال : فانصرفوا بالرسالة ومضى عياض بن غنم سائراً على طريقه[١] الذي ورد عليه إلى أرزن الروم ، وعَرَّجَ منها إلى اسْعَرد وأخذ طريقه على عقبة[٢] بافيا إلى أن نزل بجبل مارون وهو جبل[٣] فنك .

قال الواقدي رحمه الله : وكان الذي بناها السموءل[٤] بن عَاديا ، وذلك أنه كان يسكن قبل ذلك بالأبْلَق[٥] الفرد ، من ارض تيماء[٦] ، ولما جاء وزير كسرى ، وطلبه هرب منه إلى هذه الأرض وبنى له فيها هذا البلد فلما نزل عليها عياض دعاهم إلى الإسلام ، فأجاب العقلاء منهم ، ومن أبى أقرَّ عليه الجزية ، وكتب لهم عهداً ثم نزل على الشَّمطاء[٧] وأساوح[٨] ، فأجاب أهلها وأن الذي

---

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥/ .

(٢) عقبة باقيا : تقع على الطريق من أرزن وقلعة فنك .

(٣) جبل فنك : قلعة قرب جزيرة ابن عمر / الأعلاق ٣/ ٢١٥ .

(٤) السموءل بن عاديا اليهودي : صاحب حصن الأبلق في ديار تيماء . / انظر معجم البلدان ٢/ ٧٢/ .

(٥) الأبلق الفرد : حصن في أرض تيماء كان للسموءل بن عاديا / معجم البلدان ٢/ ٧٢/ .

(٦) تيماء : بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى وصالح أهل تيماء النبي ﷺ سنة ٩هـ على الجزية / معجم البلدان ٢/ ٧٢/ .

(٧) الشمطاء : أحد حصون الجزيرة / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

(٨) أساوح : أحد حصون الجزيرة / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

بنى جزيرة ابن عمر رجل من بُرقعيدْ[1] . يقال له : عبد العزيز بن عمر فسميت باسمه وكانت تسمى دجلة وزار عياض جبل الجودي وموضع سفينة نوح وكان ملكها يسكن عادياء ، ثم إن عياضاً نزل على ثمانين[2] ، وزار أهل تلك القلاع ، وكان يملكها الحرُّ بن صالح ، وكان تحت يده من القلاع كَوَاشي[3] والزعفران[4] ، وقلعة قَفيز ودَرْبيس وقَلْنَاس وبَبلُون وأنشان واسطون ، وابَدا ووجَلْ والمنظُورَه وطمَاري وبان وكوكب ، والسِّنديّة والدير وبابَشرى وبَاكوكا ، وباشهر والشَّرِيفة[5] . قال فلما بلغ بلغت المراسلة إلى الحُرِّ بن صالح ، أجاب وأطاع وكان يسكن بعادياء فأقبل إلى عياض بن غنم رضي الله عنه ، فأسلم على يديه ، وكتب لأهل بلاده عهوداً ، وأمره أن يدعو أهل بلاده للإسلام ، ثم ارتحل عياض بن غنم إلى الجانب الغربي ونزل على بلدٍ كان فيها (بديع القبطي) فأجاب صلحاً على ما تقرر بينهم . وارتحل عياض إلى أن نزل بالإسْمَاعيليّات[6] .

---

(١) برقعيد : بلدة من أعمال الموصل من جهة نصيبين . / معجم البلدان ١/ ٣٨٣ .

(٢) ثمانين : قرية في طرف جبل الجودي / الإشارات إلى معرفة الزيارات / ٦٩ .

(٣) كواشي : هي قلعة أروشت قرب جزيرة ابن عمر شرق دجلة على جبل الجودي وهي حصينة / مراصد الاطلاع ١/ ٥٤ .

(٤) الزعفران : دير كبير حصين تحت قلعة كواشي / مراصد الاطلاع ٣/ ١١٨ .

(٥) انظر قلاع : قفيز ، دربيش ، قلناس ، ببلون ، أنشان ، اسطون ، ايدا ، وجل المنظورة ، طماري ، بان ، كوكب ، السندية ، الدير ، با بشرى ، با كوما ، با شهر ، الشريفة . / في فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

الفصل السادس

فتح الموصل والاسماعيليات ونينوىٰ

وبعث عَمرو بن جند الكندي في مائة فارس ليُغيرَ على الموصل[١] وأعمالها لأن أهلها ما أجابوا عياضاً من قبل ، فمضى ابن جند الكِنْدِي ، وكان يقال له : عمرو[٢] ابن كنْدَةَ فأغار على الموصل وكان فيها يومئذ فئتان أحدهما يقال لها : الجرامقة[٣] والأخرى الفُرسُ ، فلما وقع الصائح بغارة عَمرو بن جند ، خرجوا إليه وقاتلوه وانتزعوا الغنيمة من يده ، وقاتل حتى قتل ، ودفن بالجانب الغربي منها . ولما بلغ الخبر إلى عياض ، رحل من الإسماعيليّات[٤] ونزل على الموصل وخرج أهلها إلى لقائه بالعُدد والسلاح ، فكبَّر عليهم خالدٌ بعسكر الزَّحف فحطَمَهم حَطْماً ولم يكن عليها يومئذ سُورٌ يَمنَعُ ، فأخذها بالسيف .

قال : ونظر إلى نينوى[٥] فإذا هي مدينة آهلةٌ قد أخذت السَّهلَ فقال :

---

(١) الموصل : مدينة هامة في شمال العراق ومنها تقصد أذربيجان وخراسان . تقع على ضفة دجلة الغربية / بلدان الخلافة الشرقية ص١١٥ ومعجم البلدان ٥/ ٢٢٣ .

(٢) عمرو بن جند الكندي : لم أعثر على ترجمة له .

(٣) الجرامقة : انظر ص١٨٩ والقاموس المحيط مادة : جرامقة .

(٤) الاسماعيليات : حصون قريبة من الموصل / فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

(٥) نينوى : مدينة آشورية قديمة اندثرت وبادت . تقع شرق دجلة وقرب الموصل / بلدان الخلافة الشرقية ١١٦/ .

ما هذه فقيل : هذه نِيْنَوَى . قال : ولعلَّ هذه بلد يُونُس[١] ابن مَتَّىٰ عليه السلام . قالوا : نعم . قال الواقدي رحمه الله : وكان يملكها الملك الأَنْطَاق بن جَارُود ابن شَليشَان . قال : فكاتبه عياض بن غنم . فأبى إلا الكفر ، فَنَفَّذ إليه الحرُّ[٢] بن صالح يقول له : لئن لم تجب هؤلاء القوم إلى ما يريدون ، وإلا أَذَقْتُكَ شرّاً ولا أتركُ لك عيشاً صافياً . فكتب يقول : أصالحكم ستة أشهر حتى أرى ما يؤول من أمر كسرى ، فأجابه المسلمون إلى ذلك وصالحوه على موجبها ومَرْجْها وقلاعها[٣] . وهي : أَشبْ[٤] وقَوسَه والشَّعبَاني وشَمُوس ، والعُقْر ومكاس وسلْطُون ويشْتَايُود وشَارِخ وأمَّا غيرُها فمُحدَث مثل قلعة قَرْجْ وسِرْقَال ويَاهُو وكَربَاخ والجُدَيْدَى وقلعة هِلال وشهرَوَان والشَّقُورة ، وهِنْدِوَار ، وبُوريا وبَنا مسْتَى وباخُوْخَا ومدرا وباكيرَه وَبِدْيَانس وَبرت والطَّوْطَال وَقرجَمالس وَسُورجارس وهو قصر الحيَّات . فصالحهم عياض رضي الله عنه على ستة أشهر ، وكتب عياض رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعلمه بما فتح الله على يديه كتاباً يقول فيه : « بسم[٥] الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلِّي على نبيِّه . أما بعد فالحمد لله الذي أيَّد الإسلام بنصره ، ودحَضَ الشِّرك بقهره فلَّله المنَّةُ على ما أولى ومَنَحَ من الفتح ، وأزال وكشف ودفع وصَرف من دفع عظائم ، وأخفر

---

(١) يونس ابن متى : هو النبي يونس الوارد ذكره في القرآن الكريم .
(٢) الحر ابن صالح : لم أعثر له على ترجمة .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .
(٤) انظر قلاع : أشب ، قوسه والشعباني ، شموس ، والعقر ومكاس وسلطون ويشستايود ، وشارخ ، قرج ، سرقال ، ياهو ، كرباخ ، الجديدى ، هلال ، شهروان الشقورة ، هندوار ، بوريا ، بنامستي ، باخوخا ، مدرا ، باكيرة ، بديانس ، برت الطوطال ، قرجمالس ، سور جارس . / في فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .
(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

غنائم ، حمداً يزيد الآمال انفساحاً ، والصُّدور انشراحاً ، فقد لانَتْ الشِّدَة بعد صلابتها ، ورَقَّت الأنام بعد قساوتها ، ويسَّر الله زوال البأس من ترويق الكأس ، وإني أَورَدْتُ الأعداء مواردَ المهالك ، وضيَّقتُ عليهم المسالك ، فارتبكوا في ديارهم واشتبكوا في وثاقهم ، ولم يجدوا في الأرض فتقاً ، ولا في السماء رتْقاً ، واشتد بهم الفرق ، وأزعجهم القلق وحلَّ بهم العقاب ، وعاجلهم العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، وإنهم احتالوا واغتالوا وداهنوا وأظهروا التَّنصُّل من الآثام والرُّجُوع إلى الإسلام ، والتوبة من الظلم الرُّجوعَ إلى السِّلم ، فأقررناهم على ذلك بعد أن أشرفوا على المهالك ، فمنهم من أسلم وبايع ومنهم من قام تحت الذمَّة وتابع ، وقد نشر الله أعلامنا ، وأعزَّ ديننا وقهر أعداءنا وشحذ سُيوفنا ، وأعلى كلمتنا وأظهر شريعتنا ، وقد صرف عنا شرَّهم وأخمد نارهم ، وأزال نُصرتهم وكفى البلاد والعباد معرَّتهم ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته »[1] .

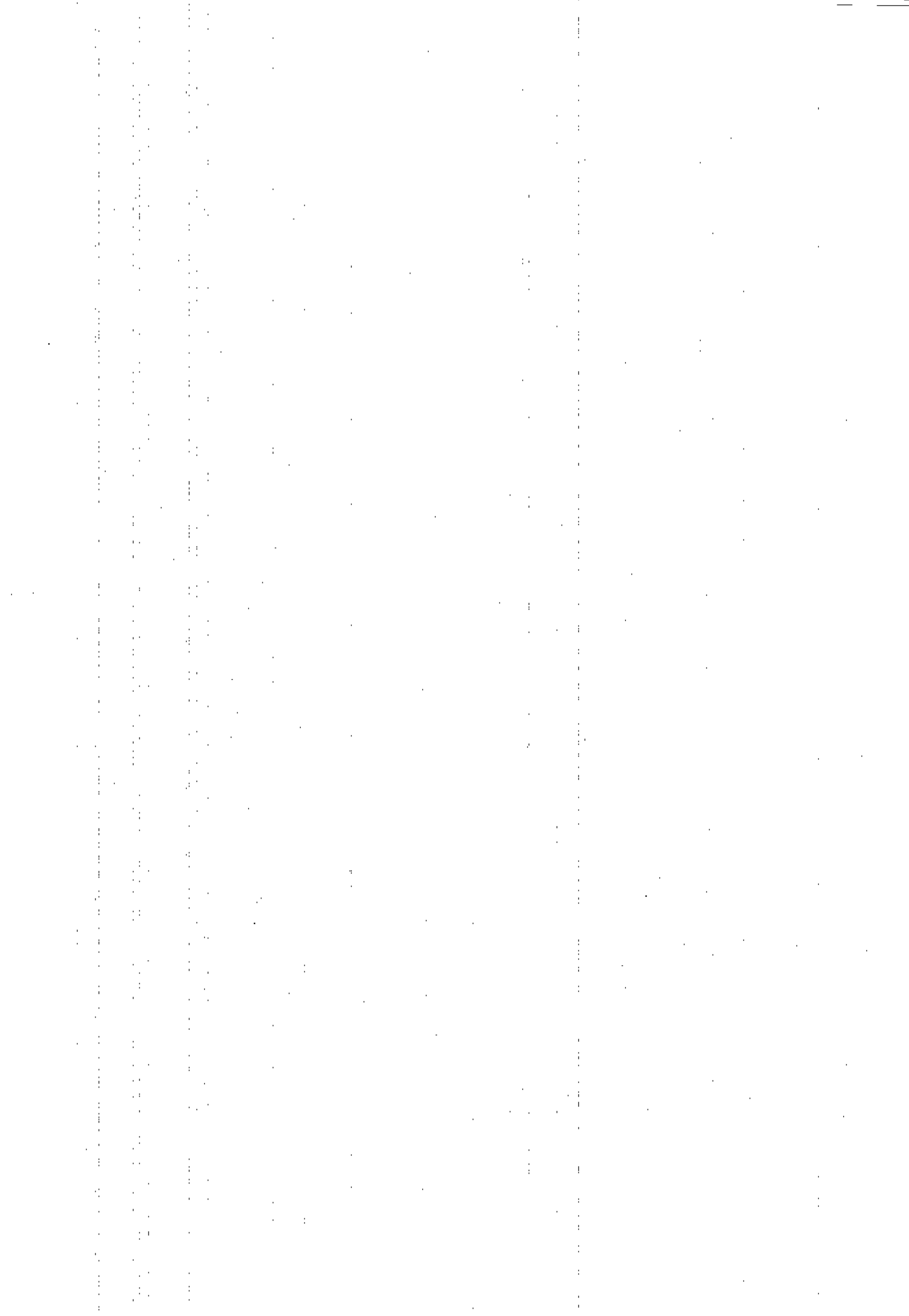
وبعث الكتاب وخُمسَ ما تحصَّل من ديار بكر من المال مع شرحبيل بن حسنة كاتبِ رسول الله ﷺ ، وضم إليه مائة فارس ، وتسلَّم المال والكتاب ، وأمره بالمسير فسار شرحبيل إلى المدينة ، وبعد أيام وصل من العراق عامر بن مزينة[2] رسولاً من سعد بن أبي[3] وقاص يستنجد بعياض على كسرى بن هرمز وهذا ما كان من فتوح ديار بكر وديار مضر وبلاد ربيعة على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان ، وصلى الله على سيدنا محمد ولد عدنان وسَلَّم .

ـ انتهىٰ ـ

---

(١) فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٣/ .
(٢) عامر ابن مزينة : عامر المزني ، أسد الغابة ٣/ ٩٥ .
(٣) سعد بن أبي وقاص : انظر : سير أعلام النبلاء ١/ ٩٢ .

فهرس الفهارس



فهرس الكتاب

الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث **الصفحة**

الحديث	الصفحة

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الغين

حرف الفاء

فهرس الأماكن والبلدان

(ت)

(ك)

فهرس القبائل والطوائف والأمم

فهرس الأشعار

فهرس المصادر المذكورة في الحواشي

- البداية والنهاية ، لابن كثير ، مصورة الطبعة الأولى ، بيروت .
- الجرح والتعديل ، للرازي ط. دار الأمم ، بيروت (بلا تاريخ) وصورة حيدر آباد .
- الخراج ، لقدامة بن جعفر ، طبعة ليدن ١٨٨٩م (مصورة) .
- الخراج ، لأبي يوسف/ المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٢ (مصورة) .
- الروض الأنف ، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، ط. مصر ١٩١٤ (مصورة) .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، للحميري ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط. مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٥م .
- أسد الغابة في أخبار الصحابة ، لابن الأثير ، مصر ١٢٨٠هـ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، على هامش الإصابة ، ط. دار صادر . بيروت .
- السلوك : للمقريزي/ ط.د. زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، ط. دار الكتب العلمية بيروت (مصورة الطبعة المصرية) .
- الصحاح في اللغة والعلوم ، تقديم عبد الله العلايلي ، إعداد نديم مرعشلي ، دار الحضارة بيروت .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، للطباخ الحلبي ، ط. حلب ، دار القلم العربي ، ١٩٨٨م .
- الأعلاق الخطيرة ، لابن شداد ، تحقيق : د. سامي الدهان ، دمشق ١٩٦٢م .
- الأعلام ، للزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩م .
- العراق في العصر البويهي ، محمد حسن الزبيدي .
- العرب واليهود ، أحمد سوسة ، ط. بغداد .
- الفهرست ، لابن النديم ، ط. القاهرة ، ١٣٤٨هـ .
- القرآن الكريم .
- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، تحقيق : نصر الهوريني ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢م .
- الاكمال لابن ماكولا ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، مصورة حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٢م .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- اللولؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، حمص ١٩٥٦م .
- المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، ط. بيروت . مصورة ليدن .

- المسالك والممالك ، للاصطخري ، ط بيروت ، مصورة ليدن .
- المعجم الذهبي . د. محمد التونجي ، ط الأنوار ، لبنان .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بمصر ، بإشراف عبد السلام هارون (بلا تاريخ) .
- المعارف لابن قتيبة ، تحقيق : د. ثروت عكاشة ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٦٠م .
- المغازي ، للواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس . ط. عالم الكتب ، بيروت (بلا تاريخ) .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد القادر العطا وزميله ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م .
- النظم الاقطاعية ، د. إبراهيم طوقان ط. القاهرة .
- الوافي بالوفيات ، للصفدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ومطابع مختلفة .
- بلدان الخلافة الشرقية . كي لسترنج . ترجمة كوركيس عواد . ط. بغداد ١٩٥٤م .
- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار . ط. دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط. المكتبة السلفية ، المدينة المنورة (بلا تاريخ) ط مصورة .
- تاريخ جرجان ، للسهمي ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، ط عالم الكتب ، بيروت ١٩٨١م .
- تاريخ الخميس ، حسين محمد الديار بكري ، ط. مصر ١٢٨٣هـ .
- تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق .
- تاريخ الدولة العربية ، عبد العزيز سالم ، ط. دار النهضة بيروت ١٩٧١ .
- تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ .
- تاريخ الفتوح ، لابن الأكثم الكوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لسنة ١٩٨٦م .
- التاريخ الكامل لابن الأثير ، ط. دار صادر ، بيروت ١٩٧٩م .
- تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري ، تحقيق : انطون صالحاني ، ط. دار الرائد اللبناني ١٩٨٣م .
- تاريخ الموصل ، سعيد دوجي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٢م .
- تاريخ المنبجي ، محبوب بن قسطنطين ، تحقيق فاسيليف طبعة بطرسبورغ ١٩٠٨ (مصورة) .
- تاريخ يحيى بن معين ، تحقيق : عبد الله أحمد حسن ، دار العلم ، بيروت (مصورة) .
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد اليعقوبي ، ط. النجف ١٣٥٨هـ (مصورة) .
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، دار إحياء التراث ، بيروت (مصورة الهند) ١٩٨٧ .
- تقويم البلدان ، لأبي الفدا إسماعيل ، (مصورة عن مخطوطة الأحمدية بالموصل) .
- تهذيب التهذيب لابن حجر ، دار صادر ، بيروت (بلا تاريخ) مصورة حيدر آباد بالهند .
- جمهرة النسب ، لابن الكلبي ، تحقيق : د. ناجي حسن ، ط. عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٦ .
- دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ١٥ مجلد تعريب محمد ثابت الفندي ورفاقه لسنة ١٩٣٣م .

- الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦ .
- ذيول تاريخ الطبري ، للقرطبي والهمداني والطبري . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م .
- رحلة ابن بطوطة ، ط. المطبعة الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ .
- رحلة ابن جبير ، تحقيق : د. حسين نصار ن دار مصر للطباعة ١٩٥٥م .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، دمشق ١٩٥١م (ط المعهد الفرنسي) .
- رحلة سفرنامه ، ناصر خسرو ، ترجمة يحيى الخشاب .
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق السقا ورفاقه ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥م .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١م .
- صبح الأعشى ، للقلقشندي ، ط. دار الكتب المصرية القاهرة (مصورة) .
- صورة الأرض ، لابن حوقل ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .
- طبقات خليفة ابن خياط ، تحقيق : د. أكرم العمري ، ط. دار طيبة ، الرياض ١٩٨٢م .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ط. مصر ١٢٨٤هـ .
- عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، القاهرة (مصورة) .
- فتوح البلدان ، للبلاذري ، ط. مصر (مصورة) .
- فتوح الشام ، للواقدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت (مصورة) .
- كتاب الرها ، ج.ب سيغال ترجمه ، يوسف حبرا ، مطبعة الأديب دمشق ١٩٨٨ ، دار الرها للنشر .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الهندي ، بيروت ١٨ مجلد .
- كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، تحقيق بالتقايا وكليسي ، ط. مكتبة المثنى ، بيروت (بلا تاريخ) .
- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، ط. دار الفكر بدمشق ١٩٨٤م .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ط. دار صادر ، بيروت ١٩٧٧م .
- معجم ما استعجم ، للبكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط. دار الكتب ، بيروت ١٩٨٣ (مصورة) .
- معجم قبائل العرب ، كحالة ، بيروت ١٩٦٨ .
- معجم المؤلفين ، كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥٧م .
- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق : محمد علي الكبير ورفاقه ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، ط. مؤسسة الأعلمي ، بيروت (مصورة عن ط الهند) ١٩٧٠ .
- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، ط. مصر ١٩٢٣ (مصورة عن ط الهند) .
- مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه الهمداني ، طبعة ليدن ١٩٦٧م (مصورة) .

- مروج الذهب ، للمسعودي ، تحقيق : شارل بلا ، ط الجامعة اللبانية ١٩٦٥ .
- مختار الصحاح ، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٢ .
- مراصد الاطلاع ، عبد المؤمن ابن عبد الحق ، تحقيق : البجاوي دار إحياء الكتب العربية مصر ١٩٥٤ .
- معجم الحضارات السامية ، هنري عبودي ، جروس برس ، لبنان لسنة ١٩٨٨ .
- نخبة الدهر ، شيخ الربوة ، محمد بن أبي طالب (مصورة عن الأوروبية) .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط . دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م .

كتب للمحقق

- تحفة الأنام لابن الإمام البصروي
- تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق للواقدي

*   *   *